



نشوة الشمول

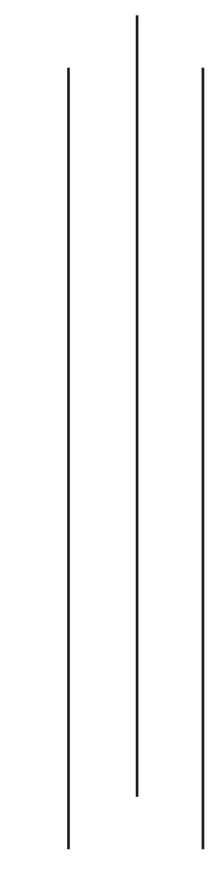
في السفر إلى اسلامبول

السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

تحقيق / د. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي



مركز التاريخ العربي للنشر



نَشْوَةُ الشَّمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلامْبُول

(رحلة الآلوسي من بغداد إلى إستانبول)

المركز الثقافي الآسيوي

مشروع الرحلات

(٤)

نَشْوَةُ الشَّمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلامْبُول

(رحلة الآلوسي من بغداد إلى إستانبول)

السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

(١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢- ١٨٥٤م)

تحقيق

الدكتور/ أحمد عبد الوهاب الشرقاوي



إهداء

إلى ولدي عمر

جعل الله لك من الفاروق قبسًا من اسمه وفهمه

وأسأله تَعَالَىٰ أن يجعل لك من ورعه وعزمه وحزمه

مشروع الرحلات

الرحلة هي متعة التاريخ وتاريخ المتعة، والرحلة هي لذة المشقة، وعين الجغرافيا، ومنظار الفلك، ومسبار الأنثروبولوجيا، وجسر الخبرات بين الأمم، وهمزة الوصل بين الشعوب، والرحلة هي سفير السلطان، ووثيقة المؤرخ ومكتبة العالم وحنكة السياسي ورافد الأديب الذي لا ينضب.

ويكأن الإنسان مخلوق رحالة، من عصر إلى عصر، ومن مرحلة إلى أخرى، يعيش حياته متنقلًا عبر الزمان والمكان، يرتاد الآفاق، ويخترق الأعماق، ما بين إسراء بالجسد، ومعراج بالروح، وسياحة بالعقل.

ولا أظنني مبالغًا فيما وصفت، فقد بدأت الرحلة منذ برهة وجيزة تعود لتكشف عن أهميتها في المجال البحثي الأكاديمي، وترتقي مرة أخرى مكانتها التي تبوأتها من قبل كإحدى رائدات العلم؛ مصدرًا ومنهاجًا.

فالرحلة تمنح الباحث في التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والأنثروبولوجي والآثار... وغيرها من مجالات العلم، تمنحهم مصدرًا ثريًا وواقعيًا نابضًا بالحياة، بعيدًا عن رتابة كتب الوقائع، وملل كتب الحوليات، وجفاف كتب التاريخ الرسمي، ونفاق المؤرخين المكلفين، وجمود جامعي الأخبار وناقلي الروايات.

الرحلة - إذا أحسن القارئ قراءتها والكاتب تدوينها - تصير حياة ثلاثية الأبعاد يحياها القارئ والمستمع، فتعطيه العلم مع المتعة، والخبرة مع المعايشة، والدقة مع الواقعية، والعمق مع الثراء.

ويبــدو الآن الاتجاه قويًا لدى الباحثين والمحققين في الاعتماد على كتب الرحلات، سواء العناية بتحقيقها وإخراجها من مظانها، وسواء بالاعتماد عليها كمصدر أكاديمي، وهو ما يعطي قفزة نوعية في البحث العلمي، شريطة الانتخاب الواعــي والاستشــهاد المحـص، والاســتنتاج المنطقــي، والنظـرة الفاحصــة، والاستقراء المتأني المتدرج، الذي يصفّ الجزئيات بعضًا إلى بعض، فيرسم منها لوحة فسيفساء، ولا يفعل العكس، فيعمد إلى اختلاق التعميمات من الأحداث الجزئية، ولا يعتمد على الغث في إدامه، ولا الهزيل في طعامه.

وعلــى قــدر ما تحملــه الرحلة من أهمية، لا تخلو أيضًا من زلات، قد تكثر فتصبح مضللات، إذ نرى بعض الرحالة يأتي إلى قطر غريب عن مشــاربه، وهو يحمـل في جعبتــه خلفيته الثقافية والعقائدية، محبًا أوكارها، عميـق الثقافة أو ضحلهــا، فاحــص النظـرة أو ســريع الانفعــال، متقلب الآراء والأحــوال، بل ترى البعض يكـذب مدعيًا أنه رأى ما لم يره الآخرون، واطلع من الأسرار على ما لم يستطعه غيره، فيستجلب إعجاب القارئ والمستمع على حساب الحقيقة والواقع.

لكن بــين أهمية الرحلة وخطورتها، يقف الباحث المدقق صاحب النظرة الفاحصة، فيستشف الحقائق، ويستنبط الأسرار، ويستنتج ما وراء الأحداث، ويقرأ ما بين السطور.

ونحن في «المركز الثقافي الآســيوي» نحاول من خلال «مشروع الرحلات» أن نقدم مجموعة منها في شــتى المناطق والعهود، لتغطية أكبر مساحة ممكنة في الزمان والمكان؛ لتكون حلقات مسلسلة في التاريخ، وخبرات متوارثة في

الجغرافيا، ومعلومات متراكمة في غيرها من العلوم، ومنبعًا ثرًا وغير تقليدي في البحث العلمي.

ومن خلال هذا المشروع نفتح الباب للتعاون مع الباحثين والمحققين والمترجمين للتواصل والتعاون، كي نسهم جميعًا في السعي نحو خطوة جديدة في طريق التقدم.

والله ولي التوفيق...

■■■

المقدمة

نقدم في هذا الكتاب رحلة مميزة وفريدة من ثلاثية العلامة الآلوسي عميد الأسرة الآلوسية في العراق وصاحب تفسير «روح المعاني». شهاب الدين محمود ابن عبد الله أبو الثناء الآلوسي / الألوسي (١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢-١٨٥٤م).

وصاحب الرحلة ليس رحالة بالمعنى المعتاد، وليس أديبًا بالمعنى المعهود، وإن كان قد أبدع في كلا الجانبين.

جاءت رحلاته الثلاث بأسلوب أدبي وبلاغي رصين، لا تكاد تخلو عباراته من السجع ولا من الصور البيانية، ومعظمها في غير تكلف، فقد كانت اللغة وبلاغتها طوع بنانه، كما يتجلى الذوق الأدبي فيما يورد أو يختار من أشعار، حتى عبارات المديح والإطراء التي هي محل التكلف، نجدها مستساغة -في الغالب- بما يضفيها عليها المؤلف من شعوره بالامتنان لأصحابها.

هذه الرحلة «نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول» هي أولى رحلاته الثلاث، بدأها من مدينة السلام/بغداد، وكانت محطتها الأخيرة عاصمة الخلافة العثمانية / إستانبول، أو إسلامبول كما دعاها المؤلف، ثم كانت رحلته الثانية «نشوة المدام في العودة إلى دار السلام»، وهي رحلة العودة من إستانبول إلى بغداد.

وأخيرًا رحلته الثالثة الفريدة من نوعها، وهي رحلة عقلية وسياحة علمية فصَّل فيها المؤلف ما أجمله في رحلتيه السابقتين، وأفاض في شرح ما تناوله من مسائل علمية خلال رحلتي الذهاب والعودة، وترجم للأعلام والعلماء الذين

لقيهم فيهما، لذا فقد سماها: «غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في السفر والإقامة والإياب».

جمعت هذه الرحلة - أو الرحلات الثلاث - الكثير من ميزات كتب الرحلات السابقة، سواء الرحلات المشرقية أو الرحلات المغربية والأندلسية، وسمات تطور وتنوع أهداف الرحلة على مر القرون السابقة. فقد حرص المؤلف على إيراد بعض التفاصيل الجغرافية والبيئية والاجتماعية والإدارية عن المناطق التي مر بها، وحرص كذلك على مناقشة الأمور العلمية في مجال تخصصه، بل عقد مجالس لمنح الإجازات، حتى هو نفسه سعى لنيل إجازات من قابلهم من العلماء.

أضف إلى ذلك أسلوب الكتابة والسرد الذي لم يشوبه كثيرًا تقعر العلماء وبرود أسلوبهم وملل سجعهم، وإن كان لا يخل من بعض التعقيد الناشئ من الصور البلاغية المركبة التي استخدمها المؤلف مع الكثير من التناص أو التضمين لأبيات من الشعر والأمثال العربية وغيرها من الروافد التراثية. وربما خفف من ذلك، تلك الروح المرحة التي تمتع بها المؤلف في وصف المواقف التي عانى فيها من صعوبات الطريق وحشراته، وبعض من لقيهم من الثقلاء.

وجهة الرحلة هذه المرة مختلفة، فلم تكن إلى العواصم والمعاهد العلمية لنيل الإجازات أو تحصيل الأسانيد العالية، ولا هي إلى الحرمين للحج والزيارة والمجاورة، كما أنها ليست سياحة في الأرض بغرض الوصف الجغرافي أو رواية الأخبار والطرائف والغرائب، ولا هي كذلك لمجرد المتعة الشخصية، إنما كانت رحلة إلى عاصمة الدولة لتوضيح موقفه وتحسين صورته التي شوهها الوشاة من أعدائه لدى المسئولين حتى تم عزله عن وظائفه، وربما كان هذا النوع من

الرحلات متعددًا في العهد العثماني، لكن -فيما أعلم- لم يقم أحد بتدوين رحلته تلك في ثلاثة كتب وبهذا المنهج.

قام الرجل برحلته في فترة عصيبة من عمر الدولة العثمانية، وكذلك في عمر العراق؛ إذ كانت فترة انتقالية بعد إنهاء حكم داود باشا آخر ولاة المماليك في العراق، وبداية عهد جديد للدولة العثمانية الساعية إلى التحكم المركزي في تعيين الولاة وعدم الاعتماد على الأسر المحلية الحاكمة في الولايات.

ورغم أن المؤلف كان متهما بالمشاركة في المقاومة أو الثورة ضد ولاة الدولة العثمانية الجدد - أو هكذا زعم الوشاة - وكان من المقربين إلى داود باشا، إلا أنه لقي من الدولة تسامحًا شديدًا معه، ربما تقديرًا لمكانته العلمية، وربما محاولة منها لفتح صفحة جديدة مع العهد الجديد، تمثل هذا التسامح وذلك التقدير فيما لقيه من حفاوة من الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، واسترداده لمكانته السابقة، وتوليته وظائف جديدة، بل الأكثر من ذلك، وهو الإنعام عليه من السلطان من السلطان بالوسام المجيدي.

وفي الرحلة الكثير من الإشارات إلى الأحوال العلمية والتعليمية في الدولة العثمانية، وكذلك النواحي الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها.

وهي رؤية عالم متعدد المشارب العلمية والروافد الثقافية، مطلع على أمور الحكم والإدارة في ولايته، قريب من دوائر صنع القرار، يتمتع في الكثير من المواقف بالروح والشفافية التي تمنحه نفاذ في بصيرته؛ فيحكم على الأمور من خلال بصر نافذ وميزان دقيق.

في وسط هذه الظلمات التي تتوالى على العالم الإسلامي والعربي، وفي القلب منه العراق وبغدادها، يأتينا من التراث نور يذكرنا بماضٍ تليد ومجد مؤثل، يمنحنا القوة والدافع، ويستنهضنا نحو المستقبل، ويدعونا نحو استكمال المسيرة الحافلة التي بدأها الأجداد والسلف.

ورغم ما كتبه المؤرخون من المستشرقين - وكانوا من سوء طالعنا في مناهجنا التعليمية والتثقيفية أنهم هم الذين تولوا تراثنا دراسة وتحقيقًا - حول التراث وعصره العثماني أنه كان عصر ظلمات وجهل وعواقب وخيمة على المشرق العربي، إلا أن الالوسي شهاب الدين يأتي نموذجا بشخصيته ومؤلفاته ورفقائه ورحلاته، ليفند الكثير من تلك المزاعم، ويفتح لنا آفاقا جديدة لننظر من خلالها إلى ذلك العصر، ونعيد قراءته ودراسته وتقييمه.

ومن نافلة القول التذكير بأن كتب الرحلات مصدر مهم وغير تقليدي للتأريخ في شتى مجالاته السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية بصفة عامة، وهذا الكتاب - ضمن ثلاثية رحلات الألوسي - يقدم لنا في ثناياه الكثير من تلك المعلومات التأريخية، ويقدم معها الدليل على أهمية كتب الرحلات كمصدر، وكذلك على ضرورة مواصلة الجهود الرامية للبحث عن مصادر جديدة لدراسة العصر العثماني.

وفي الكتاب الذي بين أيدينا (نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول) يجد القارئ والباحث بغيته من المعلومات الجديدة والمثيرة، ومن الأسلوب الممتع والشائق، ومن الصورة البانورامية التي يحاول المصنف رسمها للحياة والأحوال عبر طرق سفره من بغداد إلى استانبول.

داود باشا، والولاة المماليك العراق:

من أعاظم الوزراء، ولد في تفليس (١١٨٨هـ - ١٧٧٤م)[١] دخل بغداد مملوكًا، فاعتنق الإسلام، وتداولته الأيدي حتى دخل تحت ملك سليمان باشا الكبير[٢]، وسرعان ما ظهرت مواهبه الأدبية والعلمية والعسكرية، فترقى في المناصب إلى أن وجهت إليه الوزارة في بغداد سنة (١٢٣هـ - ١٨١٦م)[٣].

وكان داود باشا متدينًا؛ مشجعًا للتقدم العلمي، أسست على عهده مدارس ومطبعة[٤]، واهتم بجيشه، فهيأ له المعلمين الأجانب والأسلحة الحديثة، وكان رجلًا قويًا استقل بشئون العراق، وكان هذا سبب نقمة السلطان عليه[٥].

وكان داود باشا فاضلًا، ومن أكابر العلماء؛ متضلعًا في الشريعة والقانون، عارفًا باللغات العربية والتركية والفارسية، ناظمًا، وناثرًا. ولم يكن له قرين من الوزراء في العفة والحياء؛ على الرغم من اتهام بعض المؤرخين له بالقسوة والظلم[٦]. عزل عن الوزارة سنة (١٢٤٧هـ -١٨٣١م) وسير إلى القسطنطينية بأمر من السلطان محمود الثاني[٧].

---

(١) في كتاب لونكريك، «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث»، أنه ولد سنة (١١٨١هـ - ١٧٨٠م)، (٢٥٧).

(٢) وجه إليه إيالة بغداد يوم الخميس ١٥ شوال سنة (١١٩٣هـ - ١٧٨٠م) ٢٥٧. عباس العزاوي: «تاريخ العراق بين احتلالين»، (٦/ ٣٣١).

(٣) لونكريك: «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث»، (٢٥٧)؛ عباس العزاوي: «تاريخ العراق بين احتلالين»، (٦/ ٢٣٦، ٣٢٩).

(٤) لونكريك: «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث»، (٢٥٨، ٢٦٩، ٣٧١).

(٥) المرجع السابق، (٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢).

(٦) لونكريك: «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٩٥)؛ عباس العزاوي: «تاريخ العراق بين احتلالين»، (٦/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٧) عباس العزاوي: «تاريخ العراق بين احتلالين»، (٦/ ٣٣١).

وتوالى بعده ولاة كانوا يتبدلون بسرعة، ومن الذين عاصرهم الآلوسي، وكان على علاقات حسنة مع بعضهم:

■ عبدي باشا الذي تولى الوزارة سنة (١٢٦٥هـ-١٨٤٩م)، وعزل سنة (١٢٦٧هـ - ١٨٥١م).

■ ومحمد وجيه باشا الذي عين وعزل سنة (١٢٦٧هـ- ١٨٥١م).

■ ومحمد رشيد باشا الكوزلكي الذي ولي الوزارة سنة (١٢٦٨هـ-١٨٥٢م) وعزل في نفس السنة.

■ ونامق باشا الكبير الذي ولي الوزارة سنة (١٢٦٨هـ-١٨٥٢م)، وعزل (١٢٦٩هـ- ١٨٥٣م)[١].

ظهرت في العراق في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بوادر نهضة علمية أدبية خطيرة، كتلك التي شهدها القرن الرابع للهجرة في بلاط سيف الدولة بحلب، وكتلك التي شهدها عصر ملوك الطوائف في الأندلس، على اختلاف في بعض الفروع والتفاصيل. فقد نبغ في العراق إذ ذاك عدد كبير من أعاظم الفقهاء، والمحدثين، والمفسرين، والشعراء، والأدباء[٢].

إن الثقافة العربية الإسلامية لم تنقرض بانقراض الدولة العباسية، وإنما ظلت هناك مراكز ثقافية مهمة حاملة هذا المشعل في مدارس بغداد، والموصل، وكربلاء، وسامراء، وشهرزور (كردستان العراق)، وهذا يرجع إلى تشجيع الولاة

---

(١) المرجع السابق، (٧/ ٦٣ - ١٠٦).

(٢) محمد مهدي البصير: «نهضة العراق الأدبية»، (ص: ٩)؛ يوسف عز الدين: «الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر»، (ص: ١٦).

العثمانيين أمثال المماليك، ومنهم داود باشا، وأمراء الأسرة البابانية الشهيرة في لواء السليمانية، فلقد أسس هؤلاء مدارس جديدة، بالإضافة إلى المدارس القديمة، فانتشرت نتيجة لذلك الثقافة العلمية والأدبية[١].

وكان الوزراء الذين جاءوا بعد المماليك يقومون برعاية العلم، وتأسيس المدارس، وعمارة المساجد، وكانوا يشجعون العلم والعلماء، والأدب والأدباء[٢]، وكانوا يهابون العلماء، ويخافون أن يصدر منهم ما يعكر أمر السياسة؛ أي أن العلماء كانت لهم كرامتهم، وكلمتهم المسموعة[٣].

ونتيجة لهذه البذور الطيبة في نهضة العراق الثقافية، ظهرت بيوتات علمية وأدبية كثيرة في بغداد وغيرها، اشتهر منهم علماء وأدباء وشعراء منهم آل السويدي، وآل الراوي، وآل الواعظ، وآل الشواف، وآل المدرس، وآل العمري، وآل الآلوسي، وآل الزهاوي... وغيرهم[٤].

أما أشهر المدارس في بغداد التي رفعت مشاعل هذه الحركة المباركة[٥]، فهي: مدرسة الإمام الأعظم، والمدرسة السليمانية، والمدرسة المرادية، والمدرسة العلية، الداودية، ومدرسة جامع علي أفندي، ومدرسة جامع الوزير، ومدرسة مسجد آل شكري أفندي، ومدرسة مسجد الآصفية، والمدرسة الطبقجلية،

---

(١) محمد القزلجي: «التعريف بمساجد السليمانية» (٢٣ - ٣٠)؛ «نهضة العراق الأدبية»، (١٠ - ١٣)؛ «تاريخ العراق»، (٦/٣٣٣)؛ محمد الخال: «البيتوشي»، (٢٠)؛ «معروف النودهي»، (١٢).

(٢) عباس العزاوي: «تاريخ العراق بين احتلالين»، (٦/٢٤٧، ٣٣٠).

(٣) المرجع السابق، (٦/٢٤٤، ٢٩٢، ٣٣٤).

(٤) «التعريف بمساجد السليمانية» (٣٨ - ٣٩)؛ «تاريخ العراق»، (٦/٣٣٣، ٣٣٤).

(٥) قال الآلوسي في ترجمته لنفسه في رحلته غرائب الاغتراب أنه قام بالتدريس في عدد كبير من هذه المدارس.

والمدرسة العمرية، والمدرسة السويدية، ومدرسة جامع القمرية، ومدرسة جامع القبلانية، والمدرسة المرجانية، ومدرسة جامع حسين باشا، ومدرس جامع الفضل، ومدرسة جامع العادلية الكبير، ومدرسة جامع الأحسائي، ومدرسة جامع السيد سلطان علي، ومدرس جامع النعمانية، ومدرسة جامع الخاصكي، ومدرسة جامع الخلفاء، ومدرسة جامع الرواس، ومدرسة جامع الشيخ سراج الدين، ومدرسة جامع الخاتون، والمدرسة القادرية، ومدرسة جامع خضر بك، ومدرسة مسجد الشيخ الأنصاري، ومدرسة جامع الحمام، ومدرسة مسجد السيف[١].

وكانت هناك مدارس أخرى منتشرة في جميع نواحي العراق؛ كالموصل، وكركوك، والسليمانية، والبصرة، وسامراء، والنجف، وكربلاء[٢].

شهد هذا العصر نهضة أدبية كان روادها مجموعة من الكتاب والشعراء الذين قادوا الحركة الأدبية، واستطاعوا أن يرفعوا من المستوى الذي انخفض إليه الشعر العربي بعد سقوط بغداد.

ومن أشهر الأدباء الذين نجد أسماءهم لامعة في سماء هذا العصر:

- عبد الباقي العمري (١٢٠٤هـ - ١٢٧٨هـ/ ١٧٨٩م - ١٨٦١م).
- عبد الغفار الأخرس (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠٦ - ١٨٧٣م).
- الشيخ صالح التميمي (١١٩٠ - ١٢٦٠هـ / ١٧٧٧- ١٨٤٣م).

---

(١) محمود شكري الألوسي: «مساجد بغداد»، (٨٣ - ٩٢)؛ «تاريخ التعليم في العراق»، (٧٠- ٧٩).

(٢) «تاريخ التعليم في العراق»، (٨٣-٩٢) المصدر السابق؛ «معروف النودهي البرزنجي»، (١٢).

■ الشيخ عبد الغني جميل (١١٩٤ - ١٢٧٩هـ / ١٧٨١-١٨٦٢م).

■ الشيخ محسن الخضري (١٢٣٥-١٣٠٢هـ/١٨١٩-١٨٨٣م) وآخرون غيرهم ممن نشر شعرهم في مجموعات ودواوين تداولتها أيدي الناس[١].

وكانت أغراض الشعر تنحصر في مدح الخليفة، ورجالات الدولة، ومدح الرسول ﷺ، ومدح آل بيت النبوة، والتصوف والسياسة والقومية، والشكوى والمطالبة، وفي الأمور الاجتماعية المتنوعة؛ كالغزل، ووصف الخمر، والموضوعات الفردية والعامة[٢].

وبجانب هؤلاء الشعراء ظهر كتاب ومؤرخون كتبوا كتبًا في تصوير حياة عصرهم، ولعلم أعظم كاتب ظهر في هذا العصر هو صاحب الترجمة أبو أثناء الآلوسي[٣].

■■■

---

(١) «نهضة العراق الأدبية»، (١٦ - ١٣١)؛ «تطور الفكرة والأسلوب»، (٤٨، ٦١، ٦٢، ٦٧).

(٢) «الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر»، (٣١، ٧٩، ٩٢، ١١٣، ١٢٩، ١٦١، ١٧٨).

(٣) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٢٨ - ٣٨).

المؤلف

السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

(١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢-١٨٥٤م)

أسرته:

تنتمي أسرة الآلوسي إلى «آلوس» وهي بليدة تقوم على جزيرة صغيرة في نهر الفرات، قرب «عانة» التابعة لناحية «الحديثة» في لواء «الدليم»[1].

وهي «آلوس» بوزن صبور و«آلوسة» بالمد ذكرهما الزبيدي في تاج العروس، كما وردت في نزهة المشتاق «آلس» بمد الهمزة، وضم اللام[2].

وينسب إليها من القدماء محمد بن حصن بن خالد القيسي أبو عبد الله البغدادي الآلوسي الطورسي، والمؤيد الآلوسي الشاعر المتوفى سنة ٥٥٧هـ[3].

وهناك رواية نقلها جرجي زيدان تقول: إن أجداد الآلوسي فروا من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد وفتك بأهلها، ومنذ نحو ثلاثمائة سنة رجع أبناؤه إلى بغداد، ولبثوا فيها حتى الآن[4].

ولكن الأستاذ بهجت الأثري يرد هذا الزعم على أساس أن هذا الخبر لم يرد

---

(١) فؤاد البستاني: «دائرة المعارف» (١/ ٣٤٤).
(٢) محمد بهجت الأثري: «محمود شكري الآلوسي»، (ص: ٢١).
(٣) محمد بهجت الأثري: «أعلام العراق»، (ص: ٧).
(٤) «مشاهير الشرق والغرب في القرن التاسع عشر»، (٢/ ١٦١).

في أهم مصدرين[١]، وهما حديقة الورود لعبد الفتاح الشواف، والمسك الأذفر لمحمود شكري الآلوسي[٢].

وأضاف أن هذه الرواية لم ترد في مصدر مهم آخر، وهو (شجرة الأنوار) الذي ألفه أبو الثناء الآلوسي في نسبه يوم كان في القسطنطينية[٣].

ويرى بهجت الأثري أن لهذه الأسرة نشأتين ببغداد، نشأة قديمة كانت في القرن الحادي عشر حين ارتحل في أواخره من كان ساكنًا ببغداد إلى الحديثة، وآلوس، وهي مجهولة عندنا لا نعرف من أمرها شيئًا، ونشأة حديثة في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، وذلك حين جاء محمود بن درويش الخطيب الآلوسي إلى بغداد، فاتخذها وطنًا، وتوفي فيها في أوائل القرن الثالث عشر[٤].

نسبه[٥]:

وفي شجرة الأنوار أن جد الآلوسيين البغداديين الشيخ عبد القادر الطيار، سكن ألوس ومعظم أهلها من ذريتها اليوم[٦].

---

(١) هما أهم مصدرين لأن الأول ألفه تلميذه عبد الفتاح الشواف أودع فيه تفاصيل حياة الآلوسي، وقرأ الآلوسي ما كتب فأقره عليه، ولما مات الشواف أتم الكتاب ابن الآلوسي نعمان خير الدين، والثاني ألفه حفيده محمود شكري الآلوسي ضمنه ما في الأول مختصرًا، وأضاف إليه هو ما كان يعرفه عن جده.

(٢) «محمود شكري الآلوسي»، (ص: ٢٧).

(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٠٦).

(٤) «محمود شكري الآلوسي»، (ص: ٢٩).

(٥) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩- ٥٤).

(٦) مخطوطة في مكتبة الآثار ببغداد، تحت رقم (١١٠٣).

أما والد أبي الثناء محمود فهو السيد عبد الله أفندي، ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسين بن علي، ومن جهة أمه إلى الحسن بن علي.

والده[(١)]:

وكان والده مدرسًا في جامع أبي حنيفة ببغداد أربعين سنة، وكان يذهب ماشيًا إليه احترامًا لأبي حنيفة، وكان مع ذلك يدرس في مدرسة المولیخانة، ودرس أربع سنوات في مدرسة الشهيد علي باشا رئيسًا للمدرسين[(٢)].

وصفه ابنه أبو الثناء بقوله: «وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدور رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائمًا، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائمًا، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاه إلا وجده يبكي خشية بين يدي مولاه»[(٣)].

ولقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وذهب إلى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن، فوجده يوم دخل قد مات. توفي بالطاعون في بغداد سنة (١٢٤٦هـ-١٨٣٠م)، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، وكان عمره قد بلغ ثمانين سنة[(٤)].

والدته[(٥)]:

وأما أمه فاطمة، فكانت امرأة صالحة، توفيت وهو صغير يقرأ القرآن الكريم، وكان أبو الثناء أحب أولادها إليها، وهي بنت العالم المعروف الشيخ

---

(١) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩-٥٤).

(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢١، ٢٢)، «أريج الند والعود»، (ص: ٢٠).

(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢١).

(٤) «شجرة الأنوار»، (ص: ١٣).

(٥) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩-٥٤).

حسين بن الشيخ علي العشاري صاحب المؤلفات الجليلة، والتعليقات اللطيفة الذي توفي سنة (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م)(١).

إخوته(٢):

كان للآلوسي من الإخوة:

■ عبد الرحمن الذي أخذ العلم عن أخيه، وكان عالمًا بالمنقول، وتوفي سنة (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م).

■ وعبد الحميد، وقد فقد بصره وعمره سنة، فانضم إلى التصوف، وكان عالمًا شاعرًا، درس على أخيه أبي الثناء وعلى غيره، وتوفي سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م)(٣).

أبناؤه(٤):

ترك الآلوسي من بعده خمسة أولاد:

١- **عبد الله بهاء الدين:** ولد سنة (١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م) قرأ العلوم العقلية والنقلية على والده، وعلى علماء بغداد بعد وفاته، اشتغل مدرسًا في بغداد، وألف كتابًا في علم النحو سماه (الواضح) وشرح كتاب التعريف في الأصلين والتصرف لابن حجر الهيثمي، وله متنان في علم المنطق والبيان، وكان ورعًا تقيًا، مات فجر يوم الثلاثاء ٣ شعبان سنة (١٢٩١هـ - ١٨٧٤م) ودفن بجوار الجنيد البغدادي.

---

(١) «حديقة الورود» (٢/٤) مخطوطة في مكتبة الأستاذ المرحوم هاشم الآلوسي ببغداد.

(٢) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩-٥٤).

(٣) «المسك الأذفر»، (٣٠ - ٤٠).

(٤) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٥٤ - ٥٩).

٢- عبد الباقي سعد الدين: ولد يوم الجمعة صفر (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) درس على والده وعلى غيره من العلماء، كان عالمًا، وألف عدة كتب، تقلد مناصب قضائية مهمة، توفي سنة (١٢٩٨هـ / ١٨٧٤م).

٣- نعمان خير الدين: ولد يوم الجمعة ١٢ محرم الحرام (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م) أخذ العلم عن والده، ومن أجلة تلامذته، برع في العلوم، وسافر إلى استانبول، واجتمع بالعلماء والكبراء، وأنعم عليه السلطان، له كتب ومؤلفات قيمة عديدة، توفي (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م).

٤- محمد عاكف: ولد سنة (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م) درس على إخوته، وله بعض المؤلفات، توفي (١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م).

٥- أحمد شاكر: ولد سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م) ومات سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)[1].

أساتذته وشيوخه[2]:

أما أساتذته وشيوخه فهم[3]:

١- الملا حسين الجبوري: درس عليه القرآن الكريم دراسة جيدة، وكان رجلًا تقيًا صالحًا، وكان مقيمًا في مسجد سوق حمادة.

٢- السيد عبد الله أفندي (والده): درس عليه علم العربية، وفقهي

---

(١) المصدر السابق، (ص: ٧ - ١٠)، «المسلك الأذفر»، (ص: ٣٨ - ٥٨)، «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٩٤ - ٩٥).

(٢) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٥٤ - ٥٩).

(٣) كان في نية الآلوسي أن يؤلف كتابًا مفصلًا عن أساتذته وشيوخه كما صرح في «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٠)؛ بل كان يفكر في تأليف كتاب في ترجمة رجال العراق في القرن الثالث عشر، كما يصرح في كتابه إلى شيخ الإسلام عارف حكمت. «حديقة الورود» (٢/ ٢١٨).

الشافعية، والحنفية، وكتبًا في الحديث، ورسائل في المنطق، ومن الكتب التي درسها عليه الأجرومية وألفية ابن مالك، وحفظهما، وغاية الاختصار في فقه الشافعي، والمنظومة الرحبية في علم الفرائض.

٣- السيد علي بن السيد أحمد: كان ابن عمه، قرأ عليه شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية، فوقف على مضمراتها، وإشاراتها الخفية كما قرأ عليه حواشيها[١].

٤- عبد العزيز أفندي شواف زادة (ت ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) قرأ عليه حاشية الفاضل مير أبو الفتح على الرسالة الوضعية العضدية مع حواشي أخرى لها، وهذه الرسالة هي في علم الوضع. وكذلك قرأ عليه آداب المسعودي، وعبد اللطيف في علم آداب المناظرة، وشرح السراجية في الفرائض للسيد الشريف الجرجاني، وكتبًا ورسائل أخرى. وكان شيخه هذا علامة فاضلًا مشهورًا بعلم العربية؛ حتى سمي بسيبويه الثاني، وكان متواضعًا يجري مع الحق، يقول عنه الآلوسي: ما رأيته غلط في جواب، والذي لا يعرف يسكت عنه»[٢].

٥- السيد محمد أمين بن السد علي الحلي (ت ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) قرأ عليه شرح الوضعية لمولانا عصام في علم الوضع، وكان فصيحًا مولعًا بنقل الغريب، قال عنه الآلوسي لا يبالي أيخطئ أم يصيب، وقد كثر لغطه، فكثر غلطه؛ مع أنه أذكى من إياس[٣]. والظاهر من هذا الكلام أن هذا الشيخ كان متهورًا لم يصبر على إتقان العلوم، ولم يستعمل

---

(١) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٥، ٦).

(٢) المصدر السابق، (ص: ٧).

(٣) المصدر السابق، (ص: ٧).

ذكاءه في هذا المجال بدليل أن الآلوسي ذكر أنه درس على شيخه علاء الدين الموصلي، ولم يصبر على أخلاقه، ففاتته بذلك الاستفادة[١].

٦- علاء الدين علي أفندي الموصلي: من أسرة علم في الموصل، كان أول مدرس في مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية في بغداد، له مؤلفات كثيرة[٢].

قال الآلوسي: «ولم أزل اقرأ عنده، واستنشق رنده، إلى أن تخرجت به، وتأدبت بأدبه»[٣]. وكان أستاذه هذا قاسي الطبع، لا يتحمل منه الطلبة، وكان تلامذته قليلين لذلك غير أن الآلوسي الذي عرف كيف يستغل هذا الكنز صبر على أخلاقه. وتأدب معه غاية الدب، وكان شيخه هذا شاعرًا مجيدًا، روى له الآلوسي قصائد في الفخر والشكوى والتصوف[٤]. ولقد حبس الآلوسي نفسه هذا أربع عشرة سنة، وأكمل المادة عليه، فأجازه بما تجوز له روايته، وصحت لديه درايته؛ أي أنه أجازه في العلوم النقلية والعقلية[٥].

جاء في نهاية كتاب (شرح القاضي في المحكمة)، و(حاشية اللاري) بخط الآلوسي ما يلي: «قد قرأته القراءة اللطيفة، واستوعبت

(١) المصدر السابق، (ص: ٨).

(٢) «تاريخ الأدب العربي في العراق»، (٢/ ٤٨).

(٣) يروي الآلوسي أنه كان قد بلغ شغفه بالعلم أوجه، فسأل شيخه يومًا سؤالًا من شرح الرسالة الوضعية للمولى عصام فلم يجبه، ولم يتم كما يقول في تلك الليلة؛ لأنه كان لم يحصل على الجواب، ثم أن شيخه أبلغه الجواب في اليوم الثاني، فاستحسنه، وأعجب به أيما إعجاب، ثم علم أن شيخه قد شهب إلى العلامة علاء الدين الموصلي، فسأله وأخذ عنه الجواب المذكور، ومن يومه توجه الآلوسي إلى شيخه علاء الدين. «حديقة الورود» (١/ ١١ - ١٤).

(٤) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٩ - ١٥).

(٥) «مقامات ابن الآلوسي»، (ص: ٢٤ - ٢٥).

مباحثه الشريفة لدى كلمة العين، ومصلح الشين، ذي الإشارات العلية، والتلويحات الشهابية، مواقف المنقول، ومقاصد المعقول شيخي وأستاذي، وسيدي وملاذي، علاء الملة والدين، وإمام الإسلام والمسلمين علي أفندي بن يوسف أفندي الموصلي الحنفي المدرس، ولله تَعَالَىٰ الحمد والفضل، وكان هذا في سنة (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م)[١].

٧- ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي: كان شيخ طريقة النقشبندية، عالمًا كبيرًا، حريصًا على سلوك أهل السنة والجماعة، قرأ عليه الآلوسي مسألة الصفات، وأخذ عنه التصوف، فأمره بالاشتغال بالعلم، وضمن له ألا يحرم من بركة الطريقة. قال عنه الآلوسي: «هو صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة، والأنفاس الطاهرة الذي تواتر حديث جلالته، وأجمع المنصفون على ولايته»[٢]. توفي في دمشق الشام سنة (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)، وجزع لموته المسلمون في كل مكان[٣].

٨- الشيخ علي السويدي: كان سلفي العقيدة، عالمًا بالسنة، يقول عنه الآلوسي: «ما رأيت أكثر منه حفظًا، ولا أعذب منه لفظًا، ولا أحسن منه وعظًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولا أوضح منه بيانًا، ولا أكمل منه وقارًا»، قرأ عليه (شرح النخبة) للمحدث ابن حجر العسقلاني. يقول: «وقد أوقفني على جميع أجازاته، وأجازني كأولاده بجميع مروياته»، توفي في دمشق سنة (١٢٣٧هـ/١٨٢١م)[٤].

---

(١) الكتابان مجموعان في مخطوطة واحدة تحت رقم (٦٤٥٠) في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.
(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٧).
(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٨).
(٤) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٥ - ١٧).

٩- **الشيخ يحيى المزوري العمادي**[١]، كان إمامًا علامة فاضلًا معروفًا بين أهل زمانه، معولًا عليه في مذهب الإمام الشافعي. قال الآلوسي: «أجازني بما تجوز له روايته، وصحت لديه درايته»[٢]. وهي علوم التفسير والحديث والفقه والعلوم الآلية. وجميع العلوم العقلية والنقلية وقراءة القرآن والصلاة والأذكار، والأوراد كما تلقاها من أساتذته[٣].

١٠- **عبد الله أفندي العمري**: أخذ منه قراءة أبي عمرو، وقراءة ابن كثير، وقراءة نافع، توفي سنة (١٢٩٧هـ/ ١٨٦٤م)[٤].

١١- **الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري**: أجازة طويلة من الشام بأسانيد كاملة للعلوم التي تلقاها، العقلية منها والنقلية، توفي سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)[٥].

١٢- **الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله المفتي**: أجازه في العلوم العقلية والنقلية، مع ذكر أسانيده في جميع هاتيك العلوم إلى كبار علماء الإسلام، توفي سنة (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) في بيروت[٦].

١٣- **شيخ الإسلام العلامة أحمد عارف حكمت (١٢٠٠- ١٢٧٥هـ/ ١٧٨٥- ١٨٥٨م)** ارتقى المشيخة في عاصمة الخلافة سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)،

---

(١) محمد أمين زكي، «مشاهير الكرد وكردستان»، (٢/ ٢٢٢).

(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٨، ١٩).

(٣) «حديقة الورود» (١/ ٢٠٥).

(٤) «نشوة الشمول»، (ص: ٧).

(٥) «غرائب الاغتراب»، (ص: ١٩)، و«حديقة الورود» (١/ ٢٠٥ - ٢١٩)، و«قاموس الأعلام»، (٤/ ١١٠).

(٦) «حديقة الورود» (١/ ٢٢٠ - ٢٣٥)، و«قاموس الأعلام»، (٤/ ١٨٣).

والتقى به الآلوسي في استانبول، وضمتهما جلسات علمية كثيرة، طلب منه الآلوسي أن يجيزه فأجازه بما عنده بأسانيد كاملة، ثم طلب هذا من الآلوسي أن يجيزه بما عنده فأجازه[(١)].

مولده ونشأته[(٢)]:

في هذه الأسرة العريقة الصالحة المتدينة العالمة ولد أبو الثناء شهاب الدين محمود قبيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان، وذلك سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من هجرة النبي الكريمr(١٨٠٢م) في جانب الكرخ من بغداد[(٣)].

وبدأ الآلوسي منذ صغره بحفظ القرآن الكريم، وما أن بلغ الخامسة من عمره حتى ظهرت عليه علامات الذكاء، فبدأ بحفظ المتون في الكتاب قبل أن يختم القرآن الكريم[(٤)].

ثم لم يزل يقرأ عند والده حتى استوفى الغرض - كما يقول - من علم العربية، وحصل طرفًا جليلًا من فقهي الحنفية والشافعية، وأحاط خبرًا ببعض الرسائل المنطقية، وكتب الحديث، وكان ذلك قبل أن يبلغ العاشرة من عمره[(٥)].

---

(١) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٧٦ - ٢٩٧)، و«قاموس الأعلام»، (١٣٨/١).

(٢) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩-٥٤).

(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٥)، و«حديقة الورود» (٦/١)، و«أريج الند والعود» (٢).

(٤) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٥)، و«حديقة الورود» (٧/١).

(٥) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٦)، و«حديقة الورود» (٩/١).

تحصيله العلمي[١]:

وبلغ شغف الآلوسي في تحصيل العلم حدًا كبيرًا، فأخذ ينتقل بين كبار علماء عصره، يأخذ منهم ويدرس على أيديهم[٢].

ولما انقضت ثلاث عشرة سنة من عمره استقر عند شيخه الأجل (علاء الدين أفندي الموصلي). ولم يزل يقرأ عنده حتى تخرج عليه، وتأدب بأدبه[٣]، وأحاط بتفسير القرآن الكريم قبل أن يبلغ العشرين[٤].

ولما بلغ عمره إحدى وعشرين سنة أجازه في يوم مشهود، اجتمع فيه علماء بغداد، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريبًا من الحضرة الكيلانية[٥].

عمله في التدريس[٦]:

وكان رئيس التجار الحاجة نعمان الباجه جي حاضرًا، فأعجب به غاية العجب، فاقترح عليه أن يكون مدرسًا في مدرسته، فاستجاب له، ونصب مدرسًا في هذه المدرسة[٧].

ولم يبق الآلوسي بها كثيرًا؛ إذ تأججت عليه نيران قلوب أعدائه الحاسدين، فاضطر أن يخرج منها، ثم لما عمر الحاج أمين الباجه جي في محلة رأس القرية

---

(١) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩ - ٥٤).
(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٧، ٨)، و«حديقة الورود» (١/١١، ١٢).
(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٨، ٩، ٢٠)، و«حديقة الورود» (١/١٦، ١٧).
(٤) «روح المعاني»، (١/٣).
(٥) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٠)، و«حديقة الورود» (١/١٦، ١٧).
(٦) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩-٥٤).
(٧) «حديقة الورود» (١/٢٠)، «أعلام العراق»، (ص: ٢٢).

مدرسًا وجامعًا، نصب هنالك على رغم الحاسدين خطيبًا وواعظًا من قبل داود باشا الذي لم يسمع أقاويل أعدائه فيه[١].

وقام الآلوسي بالإضافة إلى هذه المدرسة بالتدريس في مسجد المرحوم الحاج الملا عبد الفتاح، ودرس في مسجد القمرية والسيدة نفيسة وجامع المرجانية[٢].

وبلغت دروسه في اليوم أربعة وعشرين درسًا، وكان أيام اشتغاله بالتفسير والإفتاء يدرس في اليوم نحو ثلاثة عشر درسًا[٣].

وبعد وفاة والده (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) انتقل من الكرخ وسكن في جوار مسجد الشيخ عبد القادر الجيلي[٤]، وظهر صيت الآلوسي بين الناس، وانتشرت هنا وهناك أخبار ذكائه، وعلمه، وفضله، فجلبت عليه حسد الحاسدين.

مؤلفاته وآثاره (المطبوعة والمخطوطة)[٥]:

ترك لنا العلامة الآلوسي الكثير من الآثار العلمية والأدبية، ثم نشر بعضها، وبعضها الآخر ما زال حبيسًا في خزائن المكتبات العامة والخاصة، وكل هذه الآثار المطبوعة والمخطوطة، تحتاج إلى جهود كبيرة لتحقيقها، وإخراجها بشكل منهجي أكاديمي.

---

(١) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٠)، و«حديقة الورود» (١/٢٢).

(٢) «حديقة الورود» (١/٢٠ - ٢٢).

(٣) «المسك الأزفر»، (ص: ٨).

(٤) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٢، ٢٣)، و«أعلام العراق»، (ص: ٢٣).

(٥) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).

هذا الآثار والمؤلفات في العديد من العلوم؛ مثل: اللغة، الأدب، والبحث، والمناظرة، والتراجم، والرحلات، والمقامات. نفصلها فيما يلي:

أولًا: اللغة والأدب[١]:

١- حواشي شرح القطر لابن هشام:

وهي ما وعته أذنه من التقارير التي كانت تدور في مجالس شيوخه، كتبها عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة، ولم يتمها وإنما أتمها ابنه نعمان خير الدين، وسماها (الطارف والتالد في إكمال حاشية الوالد) في كتاب مستقل عن حاشية والده. ولهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية، إحداها في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، والثانية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، والثالثة في الخزانة القادرية ببغداد. وطبع هذا الكتاب مع كتاب ابنه المذكور في مجلد واحد سنة (١٣٢٠هـ/ ١٨٩٨م)[٢].

٢- كشف الطرة عن الغرة:

وهو شرح ونقد لدرة الغواص في أوهام الخواص؛ لأبي محمد القاسم ابن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦هـ)[٣]، الذي شرحه الشهاب الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ).

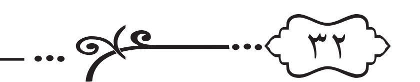
توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف في خزانة المرحوم هاشم الآلوسي، ونسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحت رقم (٥٩٩٨/ ٣٦ ب) وطبع في دمشق سنة ١٣٠١هـ.

---

(١) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦-١٤٢).

(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٦)، و«حديقة الورود» (٩/١).

(٣) «كشف الطرة عن الغرة»، (ص: ٧).



٣- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد:

القصيدة للسيد محمد الجواد السياه بوش الشاعر البغدادي (ت ١٢٤٦هـ) في رثاء الشيخ خالد النقشبندي شيخ الآلوسي[١] أتم تأليف في غرة محرم (١٢٤٥هـ) توجد نسخة منه في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي ببغداد، ونسخة ثانية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتب سنة (١٢٧٠هـ) ونسخة ثالثة في مكتبة الأوقاف العامة كتبت سنة (١٢٧٤هـ) وطبع في مصر طبعة حجرية سنة (١٢٧٨هـ)[٢].

٤- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب:

هذه القصيدة للشاعر العراقي عبد الباقي العمري في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)[٣]. يقول الآلوسي: «فحدثتني نفسي بشرحها، ودعتني كنوز إشاراتها إلى فتحها[٤]».

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأستاذ عباس العزازي، وهي بخط المؤلف؛ حيث أتم تأليفه في رمضان سنة ١٢٥٥هـ، ومنه نسخة أخرى أيضًا في خزانة المكتبة القادرية[٥]، ورأيت نسخة أخرى منقولة عن النسخة الأصلية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي.

٥- الخريدة الغيبية في شرح قصيدة العينية:

القصيدة للشاعر عبد الباقي العمري في مدح أمير المؤمنين عليه كرم الله

---

(١) «الفيض الوارد»، (ص: ٤).
(٢) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٩٢).
(٣) «الطراز المذهب»، (ص: ٥، ٦).
(٤) المصدر السابق، (ص: ٨).
(٥) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٨٩).

تَعَالَىٰ وجهه، يبدأ الآلوسي بشرح القصيدة على عادته بتوضيح معاني المفردات اللغوية، ويتعرض أحيانًا لمعناها الاصطلاحي والعلمي أيضًا. وبعد ذلك ينتقل إلى تفصيلات نحوية[١].

٦- حاشية عبد الملك بن عصام في علم الاستعارة:

وسماه أيضًا بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام في علم الاستعارة.

وأصل هذه الحاشية تعليقات كتبها الآلوسي أيام شبابه على كتاب بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب لعبد الملك بن عصام، عند رجوعه إلى مسقط رأس آبائه (آلوس) ثم جدد النظر فيما كتبه قديمًا[٢].

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي ببغداد، وهي بخط يد المؤلف؛ كتبت سنة (١٢٣٢هـ) والنسخة الثانية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، استكتبه ابنه أحمد شاكر سنة (١٢٧٩هـ)[٣].

ثانيًا: البحث والمناظرة[٤]:

١- البيان شرح البرهان في إطاعة السلطان:

أصل الكتاب وهو (البرهان) من تأليف الشيخ عبد الوهاب أفندي ياسين جي زاده، كلفه الوزير علي رضا باشا بشرحه.

توجد نسخة من هذا الشرح بخط مؤلفه في مكتبة الأوقاف العامة؛ كتبت

---

(١) «الخريدة الغيبية»، (ص: ٥، ٧ - ٨، ٦٥).

(٢) «حاشية عبد الملك بن عصام»، (ص: ١، ٢).

(٣) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٨٥).

(٤) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).

سـنة (١٢٤٩هـ) ونسخة ثانية منقولة عنها في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سنة (١٣٠١هـ)[١].

٢- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية:

أجاب الآلوسي في هذا الكتاب عن سؤال ورد من لاهور حول جماعة ظهروا في بلاد الهند، كانوا يزعمون أنهم من أهل السنة، فينسبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خصوصًا من خاض لجة الفتنة كمعاوية بن أبي سـفيان، ومن وافقه، فحوله الوزير علي باشا إلى الآلوسي، وكان قد أجابه عليه علماء آخرون[٢].

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سـنة (١٢٥٤هـ)، ورأيت نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ضمن مجموعة خطية أهديت إليها من قبل بيت (الأنكرلي).

٣- سفرة الزاد لسفرة الجهاد:

ألف الآلوسي هذا الكتاب أيام السلطان عبد المجيد خان، سنة ١٢٧٠هـ عندما حشـدت الدولـة (المسـقوفية) الروسـية قواتهـا للهجوم علـى الدولة العثمانيـة، فثارت الحمية الإسـلامية بين النـاس فهبوا يلبون نداء السـلطان للجهاد[٣].

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سنة (١٢٧٠هـ)، وقد طبع في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٣٣هـ.

---

(١) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٩١).

(٢) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ – ١٤٢).

(٣) «سفر الزاد»، (ص: ٣).

٤- الأجوبة العراقية للأسئلة الإيرانية:

هذا الكتاب جواب على ثلاثين سؤالًا وردت من إيران إلى علماء بغداد، فعرضها المشير الوزير علي رضا باشا على العلماء الذين كانوا يترددون على مجلسه، ولكنه لم يصل إلى غرضه المنشود، فأعطاها إلى المفتي الآلوسي، فأجاب عنها[١].

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سنة (١٢٧٠هـ)، ونسخة ثانية في مكتبة الأوقاف العامة تحت رقم (٥٣٤٥) وطبعت على هامش كتاب (خواتم الحكم) في مصر سنة ١٣١٤هـ، وطبعت أيضًا في مطبعة مكتب الصنائع في الآستانة سنة ١٣١٧هـ.

٥- النفحات القدسية في الرد على الإمامية:

هذا الكتاب رد على الشيعة في عقائدهم المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة أراد به الآلوسي أن يكون كتابًا مستقلًا في هذا المجال، ولكن الظروف لم تسمح له بإكماله. توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سنة (١٢٩٢هـ)، وهو بخط السيد أحمد شاكر ابن المؤلف.

٦- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة:

وهو آخر مؤلفاته، وتوفي ولم يكمله، توجد نسخة منه في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، كتبت سنة (١٢٧٨هـ)، ونسخة ثانية في مكتبة الأوقاف العامة كتبت سنة ١٣١٤هـ.

---

(١) «الأجوبة العراقية للأسئلة الإيرانية» (ص: ١، ٢) مخطوطة الأوقاف العامة، تحت رقم (٥٣٤٥).

ثالثًا: التراجم[١]:

ليس للآلوسي في التراجم إلا كتاب واحد في ترجمة شيخ الإسلام، ولقد كان في نيته أن يؤلف كتابًا مفصلًا عن مشايخه وأساتذته[٢]، وكتابًا آخر في ترجمة رجال العراق من أهل القرن الثالث عشر كما يصرح بذلك في كتابه إلى شيخ الإسلام السيد عارف حكمت[٣]. على أننا لو جمعنا من كتبه التراجم المختصرة والمطولة لأساتذته وشيوخه، والعلماء والوزراء والقواد الذي التقى بهم في زمانه لكان حريًا بأن يكون كتابًا يفيد أهل التاريخ والباحثين عن تراجم الرجال.

شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم:

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي، ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٦٨هـ في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، ونسخة ثالثة في مكتبة الأوقاف العامة.

رابعًا: كتب الرحلات[٤]:

١- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول:

وهو كتاب أدبي ممتع، يتحدث فيه الآلوسي عن رحلته إلى (إسلامبول)، وما جرى له في الطريق إلى أن وصل إليها. توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي مؤرخه في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٧٩هـ. وتوجد

---

(١) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).
(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٠).
(٣) «حديثة الورود»، (٢/٢١٨).
(٤) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).

نسخة خطية أخرى في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، وطبع في مطبعة الولاية (الزوراء) سنة ١٢٩١هـ[١].

٢- **نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام:**

هذا هو الكتاب الثاني الذي يتحدث فيه الآلوسي عن رحلته، وكان الأول وصفًا للذهاب، وهذا وصف للإياب، توجد نسخة منه في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي، وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العامة، وطبع هذا مع الكتاب السابق في مطبعة الولاية.

٣- **غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في السفر والإقامة والإياب:**

هذا الكتاب جمع بين الكتابين السابقين، وتفصيل لما جرى له في عاصمة الدولة (استانبول) ذكر فيه الآلوسي ما لم يذكره فيهما، وبذلك تمت هذه السلسلة من كتبه في الرحلات.

توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي، ونسخة أخرى في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي، ونسخة ثالثة في الأستاذ كوركيس عواد. وهناك نسخة رابعة في مكتبة المرحوم إبراهيم الآلوسي ببغداد، وطبع هذا الكتاب في مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧هـ[٢].

خامسًا: المقامات[٣]:

توجد نسخة منها في مكتبة الأستاذ عباس العزاوي وتوجد نسخة من

(١) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٩٠).
(٢) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٨٤).
(٣) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).

المقامة الأولى في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي قوبلت وصححت بقلم ابنه السيد نعمان خير الدين سنة ١٢٧١هـ مع المسودة[١] وطبعت طبعة حجرية في كربلاء سنة ١٢٧٣هـ.

كتب أخرى:

وللآلوسي عدا الكتب التي ذكرناها كتاب (شرح سلم العروج في المنطق) الذي فقد وضاع في حياته، وله حواشٍ وتعليقات على كتاب (عبد الحكيم حاشية الشمسية) في علم المنطق، وكتاب الفوائد السنية في الحواشي الكلنبوية، وله تعليقات على الألفية، وعلى كتب أخرى في المعقول، والمنقول، والفروع، والأصول[٢]. كما أن له رسالة في بضع ورقات شجرة نسبه سماها (شجرة الأنوار). وقد أسند إلى الآلوسي كتاب (دقائق التفسير) خطأً[٣].

محنته[٤]:

ولما جاءت حادثة الطاعون (١٢٤٦هـ-١٨٣٠م) واستسلم الوزير داود باشا، ودخل الوزير علي رضا باشا بغداد، استغل حساد الآلوسي الوضع القائم في الإيقاع به، فأبلغوا الوزير الجديد أن الآلوسي من أعوان داود باشا، فاضطر للاختفاء، وهو يروي قصة اختفائه هذا، فيقول: «واختفى هذا العبد الحقير زمن فتح بغداد، بعد المحاصرة سنة سبع وأربعين بعد الألف والمائتين؛ خوفًا

---

(١) «ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٨٥).

(٢) «روح المعاني»، (١٢/١٦٦)، و«حديقة الورود»، (٢/٢٦٨٦ - ٢٧٣)، و«ذكرى أبي الثناء»، (ص: ٨٥ - ٩٠).

(٣) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٨٦ - ١٤٢).

(٤) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، (ص: ٣٩ - ٥٤).

من العامة وبعض الخاصة؛ لأمور نسبت إليّ، وافتراها بعض المنافقين عليّ في سرداب عند بعض الأحبة ثلاثة أيام[١].

ولما جاء عبد الغني أفندي الجميل (١١٩٤- ١٢٧٨هـ/١٧٨٠- ١٨٦١م) إلى بغداد، ونصب مفتيًا للحنفية فيها، لجأ إليه الآلوسي، وحل في داره، فسعى هذا عند الوزير حتى عفا عنه، وعين أمينًا للفتوى، ووجه إليه التدريس بالمدرسة القادرية[٢].

ولما عزل الجميل من منصب الإفتاء حقد الوزير على الآلوسي مرة أخرى إلا أن بعض أتباع الطريقة النقشبندية تدخلوا في الأمر، فعفا عنه الوزير، وأمره بالجلوس في التكية الخالدية[٣].

ثم وشى به مرة أخرى عند الوزير من قبل محمود أفندي النقيب، فحبسه في محلة الشيخ عبد القادر سنة ونصفًا[٤].

وفي رمضان سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٢م) دعاه النقيب للوعظ في الحضرة الكيلانية، فأجابه مكرهًا، واتفق أن حضر الوزير علي رضا وعظه، فدهش من فصاحة الآلوسي، وغزارة علمه، فأمره أن يذهب إليه في العيد، فذهب إليه في قصره فأكرمه، وأعاد إليه وظائفه التي أخذها منه وتوطدت الصداقة بينهما، فكان يذهب إليه الأسبوع مرتين، وعينه في عيد الأضحى خطيبًا للأعظمية، ويقول الآلوسي إنه كان المخاطب الوحيد له في مجلسه من بين العلماء والأعيان.

---

(١) «روح المعاني»، (١٠/٩٧).

(٢) «حديقة الورود» (١/٢٢ - ٢٤).

(٣) المصدر السابق، (١/٢٥).

(٤) المصدر السابق، (١/٢٦).

وفي هذه الأثناء شرح الآلوسي (البرهان في إطاعة السلطان)، فقدمه إليه، فأجازه بوقف جامع المرجان، وكان لا يعطي إلا لأعلم علماء بغداد، وجاءته رتبة التدريس من قبل السلطان، ثم عينه الوزير في منصب خطير جدًا، وهو (مفتي الحنفية في بغداد) وكان وعده بذلك يوم سمع وعظه[١].

ولما نقل علي رضا باشا سنة (١٢٥٨هـ/١٨٤٠م) وجاء بعده الوزير (محمد نجيب باشا) تغير على الآلوسي فعزله من منصبه في الإفتاء[٢].

وكان سبب عزله أن كتابًا ورد عليه من شيخ الإسلام في الآستانة يدعوه فيه لحضور حفلة ختان ابن السلطان عبد المجيد (١٢٣٩-١٢٧٨هـ/١٨٢١- ١٨٦١م) فأجبر الآلوسي للاعتذار عن الحضور، فكتب كتاب اعتذار إلى الشيخ، وأعطاه إلى الوزير ليرسله مع الكتب الرسمية، فألحقه الوزير بكتاب اتهم فيه الآلوسي بولائه للقنصل الفرنسي في بغداد، وهذا ما صرح به شيخ الإسلام فيما بعد لأحد أصدقاء الآلوسي المخلصين، فأبلغه عندما كان في الآستانة[٣]. وكان هذا الوزير هو الذي أشار على الآلوسي بعدم السفر، وتقديم الاعتذار.

ومع ذلك فقد فرح الآلوسي لعزله كثيرًا ؛ لأن الإفتاء قد ضيق عليه أوقاته، وحال بينه وبين إتمام تفسيره (روح المعاني) فكان أن خلا لتفسيره، وتوجه إلى إتمامه[٤].

---

(١) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٣، ٢٤)، و«حديقة الورود» (١/ ٢٦ - ٣٠).

(٢) محسن عبد الحميد: «الألوسي مفسرا»، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، (ص: ٢٨ - ٣٨).

(٣) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٤، ٢٥) شهي النغم، ورقم ٧، مخطوطة، مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، تحت رقم (٥٩٣٣).

(٤) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٤، ٢٥).

ولم يكتفِ الوزير بعزله ؛ بل رفع عنه وقف جامع مرجان، فعاش الآلوسي عيشة فقر وضنك؛ حتى أنه كاد - على حد تعبيره - أن يأكل الحصير بعد ان باع أثاث بيته[١] . ولذلك لم ير بدًا من الارتحال إلى استانبول ؛ لعرض مظلمته على المسئولين[٢] .

وفاة الألوسي[٣]:

مرض الألوسي بالحمى والتي عاودته بعد أن شفي منها، حتى تمكنت منه مرة أخرى، وأبلت جسده، فانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبعين ومئتين وألف (١٢٧٠هـ) بعد أن صلى الظهر إيماءً، وغسله طلابه، وشيعه أهل بغداد، ودفن في جنازة مهيبة لم تعرفها بغداد من قبل، ووري جثمانه الثرى في مقبرة الشيخ معروف الكرخي[٤] . بالكرخ في بغداد، ولم يتجاوز عمره الخمسين إلا قليلًا، وقبره الآن مشهور يزار[٥] .

من مصادر ترجمة الألوسي:

١- حاج حمد تاج السر حاج حمد: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥) صفر ١٤٣١هـ/ فبراير ٢٠١٠م.

---

(١) المصدر السابق، (ص: ٢٥).

(٢) «غرائب الاغتراب»، (ص: ٢٥).

(٣) حاج حمد تاج السر: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره.

(٤) معروف الكرخي، أحد الأعلام الزهاد المتصوفة، ولد في كرخ بغداد وتوفى سنة ٢٠٠هـ، انظر: الزركلي: «الأعلام» (٨/ ١٨٥).

(٥) مردم: أعيان القرن الثالث عشر، (ص: ٥١)؛ سركس: «معجم المطبوعات» (١/ ٣).

٢- خليل مردم بك: أعيان القرن الثالث في الفكر والسياسة والاجتماع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٤- سليمان فائق: تاريخ العراق، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٢.

٥- الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

٦- عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الآلوسي، بغداد، ١٩٥٨م.

٧- علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني والثالث عشر، دار الجمهورية، بغداد، العراق ١٩٦٧م.

٨- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٩- الفضل بن عاشور: التفسير ورجاله، مطبعة الاستقامة، تونس ١٣٦٦هـ.

١٠- لويس شيخو (رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ت ١٣٤٦هـ): تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م

١١- محمد بهجة الأثري: الألوسيون، موسوعة الحضارة الإسلامية، ١٩٨٩م.

١٢- محمد بهجة الأثري: أعلام العراق، ١٩٥٧.

١٣- محمد حسين ذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٦.

١٤- محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.

١٥- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان فى علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

١٦- محمد كرد علي: المعاصرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٠.

١٧- محمود العبطة: أبو الثناء الألوسي الكبير. بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، مجلة الرسالة، الأعداد ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، بتاريخ ٢٢،١٥،٨، أكتوبر ١٩٥١م.

١٨- محمود شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ.

١٩- محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

٢٠- نخبة من تلاميذ الآلوسي: أريج الند والعود في ترجمة أبي عبد الله محمود، مطبوع في مقدمة تفسير روح المعاني، الدار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

■■■

الرحلة

نَشْوَةُ الشَّمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلَامْبُول

الرحلة إلى استانبول:

جاء في بداية النسخة المطبوعة من الكتاب: [هذا كتاب نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، رحلة علامة عصره، وفهامة مصره، خاتمة المفسرين، المرحوم المبرور أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الشهير بآلوسي زاده، المفتي ببغداد، لا زال رافلًا في دار السعادة، فائزًا بالحسنى والزيادة، وهي رحلة لم ير مثلها في سالف الزمان، ولم تسافر بشبهها هجن إنسان، وقد حوت كل معنى غريب، وأسلوب عجيب، فعليه رحمة الملك القريب].

تاريخ بداية الرحلة إلى استانبول: يقول المصنف (خرجت من زوايا الزوراء... في غرة جمادى ستة من سنة سبع وستين من القرن الثالث عشر بعد هجرة...).

تاريخ الوصول إلى استانبول: يقول المصنف (إلى أن نبذتني ويلمها نون سفينة الدخان بساحل خليج القسطنطينية.. في الثامن والعشرين من شهر رمضان السبع والستين).

رفقاء الرحلة إلى استانبول:

- (حضرة الوزير والمشير الخطير عبد الكريم باشا).
- (جناب مصطفى بك أفندي الربعي).
- (سليمان بك بن ليث الوغا، كدخدا بغداد سابقًا الحاج طالب أغا).

■ (ولدي عبد الباقي).

وثمة رفيق خامس في الرحلة، وهو خادمه أو وصيفه الزنجي نصيف.

المراحل التي مرت بها الرحلة إلى استانبول:

الموصل - كركوك، إربل - الجزيرة - ديار بكر - ماردين - آمد السوداء - علي برداغ - طوزله - يخكيك - جبقجول - برخين - أغنوت - خمران - قرة شيخ - داشخور - أرزن الروم - سيواس - إيلجه - جِنِس - طوبال جاوش - بكريج - قره قلاق - لوري - بلور - جفليك - شيران - تكية زخار - آليشر - قرة حصار - أندروس - كجه يردو - زاره - قوج حصار - قارخين - توقاد - ترخال - أزينه بازاري - أماسيه - خان سليمان أفندي - قواق - صمصوم - سيناب - أَنَه بولي - القسطنطينية - جنكل كوي.

عنوان الكتاب: نَشْوَةُ الشَمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلَامْبُول:

كما هو مثبت على نسخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة، وما أوردته كذلك كتب التراجم وفهارس المخطوطات، وثبتت نسبته إلى صاحبه شهاب الدين السيد محمود أفندي آلوسي زاده، بقي أن نورد بعض الشرح حول معناه:

نشوة:

النّشوة: السُّكْرُ وانتشى فلان فهو نشوان وقد يقال: نَشِيَ يَنْشَى في معنى: انْتَشَى فهو نَشْوانُ وامرأة نشوى مثل: عطشى، والجميعُ نَشَاوَى. والنَّشا مقصور: نسيم الريح الطيبة قال:

وتَنْشَى نَشا المِسْكِ في فارةٍ ... وريحُ الخُزامَى على الأَجْوَع

واستنشيت نِشْوةً أي: نَسَمْتُها واستروحتها. والنشا مقصور: نسيم الريح الطيبة، يقال: نشيت منه ريحا نشوة بالكسر، أي شممت. قال الهذلي:

ونشيت ريح الموت من تلقائهم وخشيت وقع مهند قرضاب

واستنشيت مثله. ورجل نشوان، أي سكران، بين النَشوة بالفتح. وزعم يونس أنه سمع فيه نِشوة بالكسر. وقد انتشى، أي سكر. وقول الشاعر:

وقالوا قد جننت فقلت كلا وربي ما جننت ولا انتشيت

يريد: ولا بكيت من سكر. والنشا، هو النشاستج، فارسي معرب، حذف شطره تخفيفا[1].

الشمول:

الشمول، وهي الخمر، وفيها قولان: أحدهما أنَّ لها عَصْفَةً كعَصْفَة الريح الشمال. والقول الثّاني: أنّها تَشمَل العقل. وجاء في المعجم الوسيط أن (الشمول) ريح الشمال والخمر. قال أبو عبيد: الشمول – الخمر لأنها تشمل بريحها الناس. وقال ابن السكيت: سميت شمولًا لأن لها عصفة كعصفة الريح الشمال. وقال أبو حنيفة: سميت شمولًا لأنها تشتمل على العقل فتذهب به، وتسمى أيضًا مشمولة – وهي التي عرضت للشمال فبردت. قال أبو حاتم: شملت الخمر– وضعتها في الشمال وبذلك سميت شمولًا ومشمولة. والشَّمُولُ كصَبُورٍ: الْخَمْرُ أو الْبَارِدَةُ الطَّعْمِ مِنْها[2].

(١) انظر: الخليل بن أحمد: كتاب «العين» (٢٨٦/٦)؛ الجوهري: «الصحاح» (٢٥١١).

(٢) انظر: ابن سيده: «المخصص» (١٩٣/٣)؛ مجمع اللغة العربية: «المعجم الوسيط» (٤٩٥/١)؛ الزَّبيدي: «تاج العروس»؛ الأزهري: «تهذيب اللغة» (١٠٨/٤)؛ أحمد بن فارس: «معجم مقاييس اللغة» (٢١٦/٣).

إسلامبول:

إسلامبول من أسماء استانبول، ويقال في أصل كلمة استانبول إنها كلمة يونانية تتألف من كلمتين Istin وPolin بمعنى نحو المدينة، وقيل إن البيزنطيين حينما تجاوزوا أسوار القسطنطينية وخرجوا لملاقاة العثمانيين وجدوا أنه لا طاقة لهم بملاقاتهم فقالوا Istin Polin أي نحو المدينة أي عودوا وادخلوا المدينة، ومن أسمائها آستانة وبلدة الطيبة ودار الملك، ودار السلطنة والدار العليا وداركاه سلاطين أي عقبة السلاطين في الفارسية وسدة السلطنة أي باب السلطنة ومحروسة قسطنطينية اسمها بالروسية بمعنى مدينة القيصر.

وكان علماء الدين إلى وقت قريب يسموها إسلامبول، وكانت تكتب استامبول على العملة في زمن أحمد الثالث. ويقال إن محمد الفاتح سماها (إسلامبول) بمعنى مدينة الإسلام بعد فتحها.

ويقول الألوسي في غرائب الاغتراب: (ونقل عن التاريخ الكامل لابن الأثير أن الملك قسطنطينوس لما بنى مدينة قسطنطينية سماها (استنبول) ومعناها بلغتهم دار الملك، انتهى. والمشهور أنه سماها بالقسطنطينية. وأما (إسلامبول) فلفظ مركب من كلمة يونانية وكلمة عربية والمراد مدينة الإسلام، انتهى. وفي القاموس أنها تسمى بوزنطيا[١].

وقد اعتمدت في تحقيق هذه الرحلة على نسختين:

الأولى: نسخة مخطوطة هي نسخة المكتبة الوطنية في براغ - جمهورية التشيك وتحمل رقم: XVIII.G.33

(١) انظر، حسين مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ٢٤).

عنوانها: «نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول».

وهي بخط المؤلف كما ذكر في صفحتها الأخيرة.

أول هذه النسخة: (سبحان الذي أسرى بعبده، وسلك به قصد السبيل إلى محل قصده، وصلاة وسلامًا على من دنا فتدلى، فكان - في أقل من غلوة سهم- قاب قوسين أو أدنى...).

وآخرها: (وأبلغهم عني الإخلاص التام، ولسائر الخواص والعوام من أهل مدينة السلام، الدعاء والسلام).

الناسخ: وهي نسخة فريدة خطها جيد جدا، ليس فيها أثر لعوامل التلف سوى كلمات قليلة تداخلت بعض حروفها، كتبها المؤلف بخطه كما نص على ذلك في الورقة الأخيرة من النسخة المخطوطة، وقد جاءت إشارة في ثنايا الرحلة انه كتبها في الشهور الأخيرة من حياته قبيل وفاته، حيث كتب في الحاشية عند حديثه عن عبد الله أفندي جنت زاده انه توفي في الحج سنة ١٢٦٩هـ، وهو ما يسبق تاريخ وفاة المصنف بنحو سنة أو أقل.

وعدد أوراقها ٧٥ ورقة، لكنها غير مرقمة من المؤلف، بل تحمل أرقام التصوير الالكتروني، والذي حدث فيه خطأ بتكرار تصوير عدد من أوراقها هي الصفحات رقم: ٣٢، ٤١، ٧٠ حيث هي تكرار للصفحات التي قبلها: ٣١، ٤٠، ٦٩. لكني التزمت عند التحقيق بالإشارة إلى أرقام الترقيم الإلكتروني للصفحات المصورة للمخطوط.

الثانية: نسخة مطبوعة في مطبعة الولاية في بغداد عام ١٨٧٤م، وهي مطبوعة طبع حجر، وكانت شديدة التهالك، بل كانت النسخة المخطوطة أفضل منها بكثير، كما شابها الكثير من الطمس والنقص في السطور والصفحات.

منهج التحقيق:

بدأت التحقيق بمقدمة تناولت ترجمة المؤلف، فتحدثت عن عصر الآلوسي من الناحية السياسية والناحية العقلية والأدبية ،ثم تحدثت عن أسرته ونسبه ووالده ووالدته وإخوته وأبناؤه وأساتذته وشيوخه، وذكرت شيئًا من تاريخ مولده ونشأته، كما تعرضت لتحصيله العلمي ثم عمله في التدريس، بعد ذلك أشرت إلى مؤلفاته وآثاره المطبوعة والمخطوطة التي تنوعت وتعددت في مجالات اللغة والأدب، البحث والمناظرة، التراجم، كتب الرحلات، المقامات.

وبعد ذلك تحدثت عن محنته وما تعرض له على أيدي الوالي والحاقدين، وصبره وثباته العظيمين على تلك الصروف والظروف العصيبة، حتى أتم تصنيف تفسيره وذهب به إلى العاصمة العثمانية الأستانة / القسطنطينية / فروق / استانبول / إسلامبول - كما سماها المؤلف في رحلاته - ؛ ولقي هنالك ما لقي، مما أفاض الحديث عنه في كتبه الثلاثة التي تناولت رحلته.

وبعد ذلك قمت بما يتعين عليَّ في التعليق على النص، وهو:

- إكمال ما قام به المصنف أو الناسخ من وضع عناوين للفصول والمسائل في الحاشية، فما وجدته منها في الحاشية أثبته في المتن، وما لم أجده وضعته معتمدا على النص في المتن بين حاصرتين معقوفتين هكذا [ ].
- ضبط الآيات القرآنية بالشكل، وذكر رقمها والسورة التي وردت فيها.
- تخريج معظم الأحاديث النبوية كما جاءت في كتب الحديث المعتمدة.
- ضبط الكثير من الأبيات الشعرية، وعزوها إلى قائليها.
- التعريف ببعض الأعلام الواردة أسماؤهم كلما تيسر.

- التعريف ببعض المواضع والبلدان الواردة في الرحلة.
- تفسير المصطلحات التاريخية العثمانية.
- شرح بعض الغوامض من الكلمات والعبارات والأمثال السائرة.
- ذكر بعض المعلومات حول المصادر والمتون العلمية التي أشار إليها المؤلف.
- عمل الفهارس الفنية أو الكشافات مثل: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأبيات الشعرية، فهرس الأعلام، فهرس المواضع والبلدان، فهرس الكتب والمتون العلمية، فهرس المسائل والمباحث العلمية، فهرس المصطلحات العثمانية...

ثم أوردت في الملاحق ترجمة المؤلف لنفسه كما وردت في كتابه «غرائب الاغتراب».

وأخيرًا أقول أن هذا العمل مجرد تقديم لهذه الرحلة إلى الباحثين والمؤرخين والقراء، وهي تحتاج - مع الرحلتين الأخريين للمؤلف - إلى دراسة مستقلة تبرز مميزاتها وتستفيد بما فيها من مادة تأريخية ثرية.

والله من وراء القصد،

الشرقية - ٢٠١٥م

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي
harpgeneration@yahoo.com
(٠٠٢) ٠١٢٢٩٣٦٥٣٤٨

صفحة العنوان من مخطوط نشوة الشمول

نشوة الشمول في السفر
الى اسلامبول
تاليف شهاب الدين
محمود الالوسي
البغدادي
عفي عنه

الصفحة الأولى من مخطوط نشوة الشمول

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده • وسلك به قصد السبيل الى محل قصده •
وصلوة وسلاما على من دنا فتدلى • فكان في اقل من غلوة سهم قاب
قوسين او ادنى • وعلى آله واصحابه الذين شقوا من بوادي الاسرار بايدي
عيس الافكار الاديم • ودقوا بانامل الرجاء في الشدة والرخاء باب
مولى كريم • وبعد فقد اسرى بي القضاء • بعد نصلي من نصب منصب
الافتاء • من مدينة السلام الى دار السلطنة العظمى • وعرج بي القدر • اثرما
عرج على الكدر • من البلد الاقصى الى عرش الخلافة الكبرى • فرأيت من الايات
ما تزهق روح المعاني دون تفسيره • ويطلب العتاق او يختار الاباق جني
القلم في ديار الروم اذا كلف بتحريره • الا اني احببت ان احرر بعض ما شاهدته
مما قد يسئل عنه في منازلي • معرضا عن تفصيل ما وقع في بعضها من مناضلي في
ميادين البحث ومنازلي • هذا مع رعاية الاختصار والاقتصار • في
ذكر ما انجر من اطفال الحوادث ايلاج النهار في الليل وايلاج الليل في النهار •

فللدنيا احاديث طوال • يشيب لذكرها لمم المداد

والمقصود اولا وبالذات • من تحرير تلك الكلمات • اخبار ولدي واخشى كدره
اذا قلت سيدي • بهاء الملة والدين السيد عبد الله افندي • كان
الله تعالى وكلأه • وادام علينا في الحل والارتحال فضله • بما كان لي في
الطريق • لئلا يأخذ بهام امري من يده الراحة ويوقعه في ضيق •
وقد ارسلت ذلك اليه بعيد وصولي الى فروق • ولسحاب الفراق اذ ذاك
في جو جوانحي صواعق وبروق • ولذا نحتت قدود فقراتي وذبلت
ورود خدود كلماتي • واني لاعجب مني كيف تسنى لي هذا المقدار • مع
اني لم اكن اميز مما اعتراني الليل من النهار • وعلى الملات اقول •
وان كان في قصتي طول وانت ملول • يا ولدي • وفلذة كبدي •

الصفحة الأخيرة من مخطوط نشوة الشمول

عليّ إذ يروا بعد بعدي باكين • ويشق مرادي ان لا يكونوا من حلو اخلاقك
ضاحكين • ثم لا بأس بضربهم • اذا فتروا عما عهدت من اشتغالهم بالعلم
ودأبهم • ٩
فعصا ليزدجروا ومن يك حازما • فليقسو احيانا على من يرحم •
لكن الضرب آخر ضروب العلاج • ومنهاج لا يسلك الا اذا تعذر كل منهاج •
فهو كالكي آخر الدواء • وكالصعيد يستعمل اذا فقد الماء • ورفقا يا بنيّ
بالقوارير • ولا تفرق بالرفق بين الكبير والصغير • وعليك بالادب مع
عمك • وان شق فيما اعلم من طبعك عليك • فالعم اب • وفي بعض الاحيان
احب • وعظم احبتي • ومن يحب مسرتي • واظنهم بعد غيبتي فوق العشرة •
فالمراد بالجمع المذكور اذن ما يراد بجمع الكثرة • وابلغهم عني الاخلاص التام •
ولسائر الخواص والعوام من اهل
مدينة السلام الدعاء والسلام •

بقلم مؤلفها

ه

نموذج من أوراق مخطوط نشوة الشمول

الكاس. وتشتمل من البيوت على نحو ستة آلاف. وبينها في الحسن ائتلاف
ومن الجوامع على نحو خمسين. وقلما تملأ من المصلين. وعلى نحو اثني عشر من
الحمامات. وعلى مثلها كما قيل من الخانات. وبساتينها ممتدة نحو ساعتين.
وفيها ما تشتهيه النفس وتلذ العين. ومنه الكمثرى. التي هي أحلى من
السكر وأمرى. وإنها لتذوب بلا مضغ. وتنساب إلى الحلقوم بلا
بلع. لها نسيم العنبر. والمسك الأذفر. ولون العشاق. إذا بلوا
بالفراق. ومع ذلك. هي أرخص من البصل هناك. وفي البساتين قصور.
ما هبت عليها ريح قصور. وقد نزلت للاستراحة في أحدها. فتضلعت والحمد
لله تعالى من كمثراها. ورأيت ست قناطر على ذلك النهر. ثلاث منها صنعت من
خشب وتلك أحكمت من صخر. وعليه عدة نواعير تدور. وتأن أنين عاشق
مهجور. قد بدت ضلوعها. وتبددت دموعها. **وصادفنا** في الطريق
وادٍ بين صدفين. لا يبعد أن يقاس لبعد بينهما بفرسخين. فلما أشرفت على
بطنه نزلت عن ظهر الجواد. ولم أصحبه راكبا خشية أن أفارقه إلى يوم المعاد.
فقطعناه جميعا ماشين. وما عيب منا أحد بذلك وما شين. ويسمى
ذلك الموضع المسي. فيما بين الروم بفرحات قايه سي. ويذكرون
في وجه التسمية حكاية. هي في الغرابة غاية. وأظنهم نحتوها من جبل تخرٍّ.
وسلكوا بها وادي تضلل. وكذا صادفت جا لا فضاق في ذلك الفضا.
عطني. وحننت ولا بدع حنين الشادف إلى وطني. وجادت سحائب
أجفاني بدموع حمر. وغدت نيران جناني ترمي بشرر كأنه جمالات صفر. ثم
ذكرت ما قاسيت في بلدتي. فهدأت بعدما هدرت شقشقتي. وقلت
لقلبي. وقد لامني على كربي جميع ركبي.

دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

فضاق صدره وكاد يوسعني أذى. وجعل ينادي

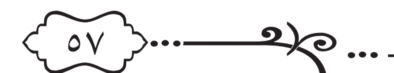
نَشْوَةُ الشَّمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلَامْبُول

تأليف شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي

عفى الله عنه [١]

[هذا كتاب نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، رحلة علامة عصره، وفهامة مصره، خاتمة المفسرين، المرحوم المبرور أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الشهير بآلوسي زاده، المفتي ببغداد، لا زال رافلًا في دار السعادة، فائزًا بالحسنى والزيادة، وهي رحلة لم ير مثلها في سالف الزمان، ولم تسافر بشبهها هجن إنسان، وقد حوت كل معنى غريب، وأسلوب عجيب، فعليه رحمة الملك القريب] (١)

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.



[سافروا تغنموا][1]

سبحان الذي أسرى بعبده، وسلك به قصد السبيل إلى محل قصده، وصلاة وسلامًا على من دنا فتدلى، فكان - في أقل من غلوة سهم - قاب قوسين أو أدنى، وعلى آله وأصحابه الذين شقوا من بوادي الأسرار بأيدي عيس الأفكار الأديم، ودقوا بأنامل الرجاء في الشدة والرخاء باب مولى كريم.

وبعد، فقد أسرى بي القضاء، بعد فصلي من نصب منصب الإفتاء[2]، من مدينة السلام[3] إلى دار السلطنة العظمى[4]، وعرج بي القدر اثر ما عرج على الكدر، من البلد الأقصى إلى عرش الخلافة الكبرى[5]، فرأيت من الآيات

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة. هي جزء من الحديث الذي رواه الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده (٢/ ٣٨٠) حديث (٨٩٣٢) قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا قتيبة حدثنا بن لهيعة عن دراج عن بن حجيرة عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا**».

(٢) المفتي/الإفتاء: عرفت وظيفة المفتي في كافة الدول الإسلامية القديمة والحديثة، وفي عهد المماليك، كانت وظيفية المفتي تتعلق بدار العدل، أو كان يطلق عليه اسم مفتي دار العدل؛ حيث كان يجلس السلطان لفصل الخصومات، وإلى جانبه المفتي، للإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل، وكانت الدولة العثمانية أكثر الدول الإسلامية عناية بهذه الوظيفة، وقامت بتأسيس دار الفتوى «فتوى خاله» في العاصمة، ضمن مؤسسة شيخ الإسلام، وقامت بتعيين المفتين في كافة مراكز الولايات العثمانية وفي الألوية والأقضية والنواحي والمدن والقرى، وكان جهاز الفتوى في الدولة العثمانية جهازًا واسعًا وكبيرًا.
انظر، أكمل الدين أوغلو: «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة»، (١/ ٣٠٢).

(٣) يعني بها مدينة بغداد.

(٤) يعني بها مدينة استانبول.

(٥) يعني بها أيضًا استانبول عاصمة الدولة العثمانية.

مـا تزهق روح المعاني دون تفسـيره، ويطلب العتاق أو يختـار الإباق حبشي القلم في ديار الروم إذا كلف بتحريـره، إلا أنـي أحببت أن أحرر بعض ما شـاهدت مما قد يسـئل عنه في منازلي، معرضًا عن تفصيل ما وقع في بعضها من مناضلي في ميادين البحـث ومنازلي، هذا مع رعاية الاختصار والاقتصار، في ذكر ما أنتجه من أطفال الحوادث إيلاج النهار في الليل وإيلاج الليل في النهار.

فـلـلـدنـيـا أحـــاديـــث طـــوال يـشـيـب لـذكـرهـا لمـم المـــداد

والمقصود أولًا وبالذات، من تحرير تلك الكلمات، إخبار ولدي، وأخشى كدره إن قلت سـيدي، بهاء الملة والدين السيد عبد الله أفندي[1]، كان الله تَعَالَىٰ لي وله، وأدام علينا في الحل والارتحال فضله، بما كان لي في الطريق، لئلا يأخذ إبهام أمري من يده الراحة ويوقعه في ضيق، وقد أرسلت ذلك إليه بعيد وصولي إلى فروق[2]، ولسحاب الفراق إذ ذاك في جو جوانحي صواعق وبروق ؛ ولذا انحنت

(١) عبد الله الآلوسي (١٢٤٨ - ١٢٩١هـ/١٨٣٢ - ١٨٧٤م): عبد الله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين بن عبد الله الآلوسي: فقيه بغدادي من قضاة الشافعية. تخرج بأبيه، وترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس. ومرض وتصوف وباع كتبه وعقاره وقصد استنبول، فاعترضه قطاع الطرق فعاد إلى بلده صفر اليدين. واضطر إلى العمل الحكومي، فولي قضاء البصرة مدة سنتين، وأكلت الحمى جسمه فرجع إلى بغداد، ففارق الحياة. ألف عند سنوح الفرص كتبا، منها: «المتنان في علمي المنطق والبيان» و«الواضح في النحو» و«التعطف على التعرف في الأصلين والتصوف» بخط ابنه محمود شكري الآلوسي، في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قسم الخزانة النعمانية الآلوسية، و«ترسلات» في جزء لطيف مما جمعه ابنه محمود شكري.

انظر، «الأعلام» للزركلي (١٣٦/٤)؛ «هدية العارفين» (٤٩٠/١).

(٢) فروق: اسم استخدمه العرب أحيانًا للدلالة على استانبول أو القسطنطينية، وتكتب أحيانًا (فاروق) لأنها تفرق بين الشرق والغرب أو بين آسيا وأوربا. يقول الألوسي في غرائب الاغتراب: (وأما إسلامبول فلفظ مركب من كلمة يونانية وكلمة عربية والمراد مدينة الإسلام، انتهى. وفي القاموس أنها تسمى بوزنطيا، وفي موضع آخر منه أنها تسمى فروق أيضًا). وقد استخدم هو =

فقار فقراتي، وذبلت بعد زهرتها أزهار كلماتي، وإني لأعجب مني كيف تسنى لي هذا المقدار، مع أني لم أكن أميز مما اعتراني الليل من النهار.

وعلى العلات أقول، وإن كان في قصتي طول وأنت ملول، يا ولدي وفلذة كبدي، [٢] سافرت من الزوراء[1] لأمور يتشقق لسان القلم عند ذكرها، ويسود وجه القرطاس مما يصيبه من لطم أكف سودها لدى سطرها، ولعلك يا بني واقف على بعضها؛ بل محيط بأسرها على طولها وعرضها، وكان الداعي ظاهرًا لسفري عرض أسفار تفسيري (روح المعاني)[2]، وإماطة ما غبر وجه فضلي من

= هذا الاسم كثيرا في رحلته المذكورة: (حتى اجتمعت به في فروق)، (منذ دخلت فروق)، (طلب العلم في فروق ودرس)، بل كان أصدقاؤه الذين يراسلونه يستخدمونها أيضًا في أشعارهم المرسلة إليه:

في فروق بات قلبي وأنا ... لست أدري من ضنى أين مكاني
عائدي إن زارني ليس يرى ... في مكاني غير آثار جراني

وأيضًا:

أهفو لمن سكنوا فروق وحركوا ... بالكسر قلب أخي هوى وتصابي
يرعى النجوم بأعين أهدابها ... باتت معلقة بذيل شهاب

(١) من أسماء مدينة بغداد.

(٢) ذكر الآلوسي في مقدمته أنه منذ عهد الصغر، لم يزل متطلبا لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، مترقبًا لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال فرائده، لا يَرْفَلَ في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل لإخوانه، وبذلك وفقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه، وذكر أنه قبل أن يكمل سنه العشرين، شرع يدفع كثير من الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ويتجاهر بما لم يُظفر به في كتاب من دقائق التفسير.. ثم ذكر أنه كثيرًا ما خطر له أن يُحرر كتابًا يجمع فيه ما عنده من ذلك، وأنه كان يتردد في ذلك، إلى أن رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هجريًا أن الله جل شأنه أمره بطي السماوات والأرض، ورتق فتقها على الطول والعرض، فرفع يدًا إلى السماء وخفض الأخرى إلى مستقر الماء ثم أنتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب =

عثير الافتراء عليّ في هاتيك المغاني، حتى رميت بثالثة الأثافي[(١)]، وقص من جناحي القدامى والخوافي، وصرت هدفًا لسهام الأيام والليال، فلو سقى الحيا جدثي لأنبتت تربتي نبال، وذلك يوم الخميس أول جمادى ستة من السنة السابعة والستين بعد الألف والمائتين من هجرة واحد الآحاد، والثاني ركبته على منصة مقام قاب قوسين لدى رب العباد - صلى الله تَعَالَىٰ وسلم عليه - وعلى آله وأصحابه السادة الأمجاد، ما سافر مسافر وارتاد مرتاد.

= أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه في الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعة وثلاثين سنة، وذلك في عهد محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان. وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هجريًا.

ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش فسماه: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني».

أما عن مكانة روح المعاني من التفاسير التي تقدمته؛ فإن تفسير روح المعاني قد أفرغ فيه الإمام الآلوسي وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتابًا جامعًا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملًا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفاسير المعتبرة.

(١) ثالثة الأثافى قطعة من الجبل يضم إليها حجران فتكون أثافي القدر. وهي مثل في الشدة، يقال: رماه بثالثة الأثافي. وكان يقال لجرير والفرزدق والأخطل لتهاجيهم أربعين سنة أثافي الشر. وللبديع:

ولي جسد كواحدة المثاني ... له كبد كثالثة الأثافي

ونقل الصاغاني في العباب الزاخر: قال الأصمعيُّ: من أمثالهم في رمي الرَّجل صاحبه بالمعضلات: رماه بثالثة الأثَافيّ، ثالثةُ الأثافيِّ: القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان فتكون القطعة متَّصلة بالجبل، قال خفاف بن ندبة:

وإنَّ قَصِيْدَةً شَنعاءَ مني ... إذا حَضَرَتْ كَثالِثةِ الأثافي

انظر، «ربيع الأبرار» (١/٣٠)؛ «العباب الزاخر» (١/٣٦٥).

مصاحبًا حضرة حر الأخلاق عبدي باشا[١] الوالي السابق في العراق، ولم أصاحبه إلا لطيب أعراقه، ودماثة طباعه وأخلاقه، وقد ارتدى من ذلك رداءً ضافيًا، وصحب من فريق الأعضاء الرئيسة قلبًا صافيًا، [يجده من يختبره في الفنون الحكمية إماما، لكنه قد كسا فمه من دائم السكوت لثاما، ولذا لا يعرف حقيقة أمره، من لم يكشف خبره بأنامل خبره، وقد فاق في العلم الرياضي ودبا، حيث مكث مدة مديدة لتحصيل الفنون في أوربا، وبالجملة هو حليم سليم، يحب الصاحب والنديم] [٢]، وأكد داعي السفر - وإن كان قد قُدَّ من السقر - ما جاء في شأنه من ذوي الشان، الذين عراهم نحو ما عراني من حوادث الزمان:

---

(١) عبدي باشا: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب):

حضرة عبد الكريم باشا الملقب بالنادر وبعبدي، حضرة الوزير والمشير الخطير (عبد الكريم باشا) دام بخير وعاشا، يلقب بعبدي بين الأكابر والأصاغر. ولقبه حضرة السلطان عبد المجيد خان بالنادر، جاء إلى بغداد مشير عساكر الحجاز والعراق، فوقع بينه وبين واليها حضرة نجيب باشا سيء الشقاق، وأنى يتصافى لاسيما في العراق عشاق هند، وهل يجمع السيفان ويحك في غمد، فعرض كل منهما للباب العالي شاكيًا على صاحبه طالبًا أن يسلب من يديه لحمة منصبه بقوى مخالبه، فصادف ذلك انتهاء مدة الوالي في أم الكتاب فجاء البريد أسرع من رجع العطاس بفصله من جانب الباب، وكان علاوة على ذلك نصب النادر بدله وتوجيه النيشان ذي الشأن له.

وكان - سلمه الله تَعَالَىٰ - ذكي الأخلاق زكي الأعراق طاهر الثياب نقي الأهاب لين الجانب مكرم الصاحب، إذا دقق بهر وإذا فكر شق الشعر يحب الكرم ويكره من ظلم، لا يرتوي جواد ذهنه من حياض التفكر في عظمة ذي الكبرياء ولا يزال طرف طرفه سارحًا في رياض ملكوت السماء، كلماته تعد وكمالاته لا تحد، بيد أنه لا يلتزم لامرئ أمرًا ولا يتجرع لشرب حلو مرًا، قد حول كل أمر إلى القدر فلا يغضب إن عصي إذا نهى أو أمر.

وبالجملة هو نادر الأمثال فيمن رأينا من الرجال، ما أحسن صحبته وأجل لمن ليس له عنده أمل، أسأل الله تَعَالَىٰ أن يديمه في سعود وصعود ويكفيه على ممر الزمان كيد كنود وحسود.

(٢) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

فمن ذلك قول أبي الغنايم محمد بن المعلم[١]:

سر طالبًا غاياتها أما ترى ... فوق الثريا أو تُرى تحت الثرى

لا تخلدن إلى المقام فإنما ... سير الهلال قضى له أن يقمرا

لا تبك دارًا فالفتى من إن دعا ... دمعًا عصاه وإن دعا دما جرا

أين الكناس من العرين وأين غزلان ... اللوى في المجد من أسد الشرى[٣]

لو ينتج الوطن العلا ما سار عن ... غمدان سيد حمير مستنصرًا

ولو استتم بمكة لمحمد ... ما رام لم ينصب بيثرب منبرًا

لا عار في بيع النفوس على الردى ... عندي إذا كان العلاء المشترى

حتام حظي في الوهاد وحظ أصـ ... حاب الدناءة في الشواهق والذرا

ما الجبن يحميني الحمام ولا أرى الـ ... إقدام يجلب بي سوى ما قدرا

لابد منه وثبة تعرى الظبا ... فيها وتكسو الجو فيها العثيرا

أشكو إلى الأيام ما ألقى لها ... وجهًا على ألوانها مستبشرا

ما عذر من لم يلق وجهًا أبيضًا ... منها إذا لم يلق يومًا أحمرا

وقول أحمد بن منير الطرابلسي [٢]:

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله ... في منزل فالحزم أن يترحلا

---

(١) محمد بن المعلم (٥٠١ - ٥٩٢ هـ/١١٠٨ - ١١٩٦م): محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الواسطي، الهرثي (نسبة إلى هرث قرية تحت واسط) المعروف بابن المعلم (نجم الدين، أبو الغنائم) شاعر. ولد وتوفي بالهرث. له ديوان شعر.
انظر، كحالة: «معجم المؤلفين» (١١/ ٣٣)؛ ابن خلكان: «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٩ - ٣١)؛ ابن تغري بردي: «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٤٠)؛ «الذيل على الروضتين» (٩ - ١٠)؛ اليافعي: «مرآة الجنان» (٣/ ٤٧٤، ٤٧٥)؛ حاجي خليفة: «كشف الظنون» (٧٦٨، ٧٦٩)؛ الزركلي: «الأعلام» (٧/ ١٦٧).

(٢) ابن منير الطرابلسي: أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور؛ له ديوان شعر، وكان أبوه ينشد الأشعار، ويغني في أسواق =

كالبدر لما أن تضائل جدَّ في ... طلب الكمال فحازه متنقلا
سفهًا لحلمك إن رضيت بمشرب ... رنق ورزق الله قد ملأ الملا
ساهمت عيسك مر عيشك قاعدًا ... أفلا فليت بهن ناصية الفلا
فارق ترق كالسيف سل وإن في ... متنيه ما أخفى القراب وأخملا
لا تحسبن ذهاب نفسك ميتة ... ما الموت إلا أن تعيش مذللا
للقفر لا للفقر هبها إنما ... مغناك ما أغناك أن تتوسلا
لا ترض من دنياك ما أدناك من ... دنس وكن طيفًا جلا ثم انجلا
وصل الهجير بهجر قوم كلما ... أمطرتهم شهدًا جنوا لك حنظلًا
من غادر خبثت مغارس وده ... فإذا محضت له الولاء تأولا
لله علمي بالزمان وأهله ... ذنب الفضيلة عندهم أن تكملا
طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم ... إن قلت قال وإن سكت تقولا
أنا من إذا ما الدهر هم بخفضه ... سامته همته السماك الأعزلا[٤]
عزم كمنبلج الصباح ورائه ... حزم كحد السيف صادف مقتلا

وقول الرئيس[(١)]:

نقل ركابك في الفلا ... ودع الغواني في القصور

= طرابلس، ونشأ أبو الحسين المذكور، وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة والأدب، وقال الشعر، وقدم دمشق فسكنها، وكان رافضيًا كثير الهجاء خبيث اللسان، ولما كثر منه ذلك سجنه بوري بن أتابك طغتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه، ثم شفعوا فيه فنفاه، وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني مكاتبات وأجوبة ومهاجاة، وكانا مقيمين بحلب ومتنافسين في صناعتهما كما جرت عادة المتماثلين.

انظر، ابن هشام الأنصاري: «شرح قطر الندى وبل الصدى»؛ ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، (١٥٦/١)؛ الصفدي: «الوافي بالوفيات» (٨٧/٣)؛ العماد الأصبهاني: «خريدة القصر وجريدة العصر»، (٣٢١/١).

(١) نَقْلِ رِكَابَكَ فِي الْفَلا ... وَدَعِ الْغَوَانِي فِي الْقُصُورْ =

لولا التنقل ما ارتقى ... درر البحور إلى النحور

وقول أبي تمام [(١)]:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب يتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقول الحريري [(٢)]:

لا تقعدن على ضيم ومسغبة ... لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينك هل أرض معطلة ... من الثبات كأرض حفها الشجر

فعد عما يقول الأغنياء[(٣)] به ... فأي فضل لعود ما له ثمر

=

لَوْلا التَّغَرُّبُ مَا ارْتَقَى ... دُرَرُ الْبُحُورِ إِلَى النُّحُورْ

فَمُحَالِفُوا أَوْطَانِهِمْ ... أَمْثَالُ سُكَّانِ الْقُبُورْ

قال اليافعي في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: من قول صرد الفاعر، وذكرهما في حوادث سنة ثمان وستين وخمس مائة

(١) أبو تمام (١٨٨- ٢٣١هـ/ ٨٠٤- ٨٤٦م): حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر طويلا. فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع.

في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. له تصانيف منها (فحول الشعراء) و(ديوان الحماسة) و(مختار أشعار القبائل) وهو أصغر من ديوان الحماسة، و(نقائض جرير والأخطل) نسب إليه، ولعله للأصمعي، كما يرى الميمني و(الوحشيات) وهو ديوان الحماسة الصغرى، و (ديوان شعره) ومما كتب في سيرته (أخبار أبي تمام) لابي بكر محمد ابن يحيى الصولي، و(أخبار أبي تمام) للمرزباني.

انظر، «الأعلام» للزركلي: (١٦٥/٢)؛ «وفيات الأعيان» (١٢١/١)؛ و«نزهة الألباء»، (١٧٢/١)؛ و«خزانة البغدادي» (٤٦٤).

(٢) مقامات الحريري، المقامة الصَّعْديّة.

(٣) في النسخة المطبوعة (الأغبياء).

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... إلى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فإن ... بلت يداك به فليهنك الظفر
وإن رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

وقول ياقوت الرومي(١):

وقفت وقوف الشك ثم استمر بي ... يقيني بأن الموت خير من الفقر
فودعت من أهلي وفي القلب ما به ... وسرت عن الأوطان في طلب اليسر
وباكية للبين قلت لها اصبري ... فللموت خير من حياة على عسر
سأكسب مالا أو أموت ببلدة ... يقل بها فيض الدموع على قبري

وقول آخر(٢):

سأضرب في بطون الأرض ضربًا ... وأركب في العلا غرر الليالي

(١) ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦هـ/١١٧٨-١٢٢٩م): «ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي»، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرًا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه (سنة ٥٩٦ هـ) وأبعده. فعاش من نسخ الكتب بالأجرة. وعطف عليه مولاه بعد ذلك، فأعطاه شيئًا من المال واستخدمه في تجارته فاستمر إلى أن توفي مولاه، فاستقل بعلمه، ورحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان) وأقام يتجر، ثم انتقل إلى خوارزم.

وبينما هو فيها خرج التتر (سنة ٦١٦) فانهزم بنفسه، تاركا ما يملك، ونزل بالموصل وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب وأقام في خان بظاهرها إلى أن توفي. أما نسبته فأرجح أنها انتقلت إليه من مولاه عسكر الحموي. من كتبه «معجم البلدان ط» و«إرشاد الأريب» ويعرف بمعجم الأدباء، وفي النسخة المطبوعة نقص استدرك بتراجم ملفقة دست فيه، و«المشترك وضعا والمفترق صقعا» و«المقتضب من كتاب جمهرة النسب» و«المبدأ والمال» في التاريخ، وكتاب «الدول» و«أخبار المتنبي» و«معجم الشعراء».

انظر، «الأعلام» للزركلي (١٣١/٨)؛ «وفيات الأعيان» (٢١٠/٢)؛ «الأعلام» لابن قاضي شهبة.

(٢) البيتان للشاعر: بن مهدي الخوافي. قال عنه الباخرزي في دمية القصر: أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي، صحبني بخراسان نهلًا، وبالعراق عللًا وخدم عميد الحضرة بالبصرة =

فإما والثرى وأقمت عذرًا   وإما والثريا والمعالي

وما أصدق ما قيل[١]: [٥]

ليس ارتحالك ترداد الغنى سفرًا   بل المقام على خسف هو السفر

ومثله قول بعضهم[٢]:

ما القفر بالبيد الفضاء بل التي   نبت بي وفيها ساكنوها هي القفر

وما كان ليوجب مكثي ومكتي[٣]، قول أبي الفتح البستي[٤]:

= وكان بها يصل جناحي في الكتابة له. ثم خلانا وفر، وتركنا نقاسي ذلك الحر. فمما أنشدني لنفسه قوله:

سأحدث في متون الأرض ضربًا   وأركب في العلا غبر الليالي

فإما والثرى وبسطت عذرًا   وإما والثريا والمعالي

انظر، الباخرزي: «دمية القصر وعصرة أهل العصر».

(١) البيت من شعر: أبو القاسم بن عباد الصاحب، وتمام المنقول عنه: الخبر المنقول أنَ المقبوضَ غريبًا شهيد. وفي الحديث: سافروا تَغْنَموا. السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قِوامه، وعليها نِظَامه. إن الله لم يجمَعْ منافعَ الدنيا في الأرض؛ بل فرَّقها وأحوجَ بعضها إلى بعض. المسافرُ يسمع العجائب، ويَكْسبُ التجاربَ، ويَجْلِبُ المكاسب. الأسفارُ مما تَزِيدك علمًا بقدرة الله وحِكْمته، وتدعوكُ إلى شكر نعمته. ليس بينك وبين بلدٍ نَسب؛ فخيرُ البلاد ما حملك. السفرُ يُسْفِر عن أخلاق الرجال. أوحِشْ أهلَك إذا كان في إيحاشهم أُنْسُك، واهْجُرْ وطنَك إذا نبَتْ عنه نفسك. ربما أسفر السفر عن الظفَر، وتعذر في الوطن قضاءُ الوطَر، وأنشد: من البسيط

ليس ارتحالُكَ تَرْتَادُ الغِنَى سفرًا   بَلِ المُقَامُ على خَسْفٍ هو السفرُ

انظر، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: «زهر الآداب وثمر الألباب»،

(٢) وما القفْرُ بالبيدِ الفضاء، بَلِ التي   نَبتْ بي وفيها ساكِنُوها هِي القَفْرُ

البيت من شعر الطائي.

انظر، الحصري القيرواني: «زهر الآداب وثمر الألباب»، (١/ ٣٥١).

(٣) المَتُّ كالمَدّ إلا أَن المَتَّ يُوصَلُ بقَرابةٍ، يقال فلان يَمُتُّ إليك بقَرابةٍ، قال ابن سيده: مَتَّ إليه بالشيء يُمُتُّ متًّا تَوَسَّلَ فهو ماتٌّ.

انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

(٤) أبو الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م): علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن =

لا يعدم المرء كِنّا يستكن به ومِنعة بين أهله وأصحابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته كالليث يُحقر لما غاب عن غابه

إذا لم يكن منعة بين الأصحاب والأهل، والقبر[١] خير من كِنٍّ يمتهن فيه المرء ويُذل، ولله تَعَالَىٰ در عمارة اليمني[٢]، حيث قال في قصيدة هي في بابها فريدة:

= عبد العزيز البستي، أبو الفتح: شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته.
وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سبكتكين) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة «أوزجند» ببخارى. له «ديوان شعر - ط» صغير، فيه بعض شعره. وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدون. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: «زيادة المرء في دنياه نقصان».
انظر، «الأعلام» للزركلي، (٣٢٦/٤).

(١) في النسخة المطبوعة (فالقبر).

(٢) عمارة اليمني (ت: ٥٦٩ هـ/١١٧٤م): عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين: مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن. ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١ هـ. وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ في وزارة «طلائع ابن رزيك» فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل مواليا لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان «صلاح الدين» الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة، وعمارة في جملتهم.
له تصانيف، منها «أرض اليمن وتاريخها» و«النكت العصرية، في أخبار الوزراء المصرية» وفيه كثير من أخباره، تحدث بها عن نفسه، وقصائد ومختارات أوردها من شعره ونثره،وفي طبقات الشعراء، لابن المعتز ١٥٠ «كان عمارة أشعر أهل زمانه، قدم من البادية إلى الحضر، وهو أفصح الناس وأحسنهم هديا وقصدا، صحيح الدين، ليس عنده من المجون والسخف شئ، فما رجع إلى البادية وهو يؤمن بحرف من كتاب الله، وذلك أنه وقع إلى قوم يقولون بالدهر فعاشرهم فأفسدوا عليه دينه فكان بعد ذلك لا يرجع إلى شئ من أمر الدين»، ولعمارة «ديوان شعر» جمعه أحد الأدباء ورتبه على الحروف، منه نسخة غير تامة، في دار الكتب المصرية =

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

وقال أبو محمد الغانمي[(١)]:

وإذا الديار تنكرت عن حالها ... فذر الديار وأسرع التحويلا

ليس المقام عليك حتما واجبا ... في بلدة تدع العزيز ذليلا

ولقد صدق من قال[(٢)]:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

والكلام في هذا المقام وفر مديد، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد[(٣)].

نعم أنا لا أنكر أن السفر سفينة الأذى، والغربة في عين حشاشة الحر قذى، وأن فراق الأولاد أشد على القلوب من تفتت الأكباد، ولكن:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب ... فما حيلة المضطر إلا ركوبها[(٤)]

= (٥٣٠٣ أدب).

انظر، «الأعلام» للزركلي (٣٧/٥)؛ «صبح الأعشى» (٥٣٢/٣)؛ و«وفيات الأعيان» (٣٧٦/١)؛ و«كشف الظنون» (١٧٧٧)؛ و«السلوك» للمقريزي (٥٣/١)، وفيه تفصيل المؤامرة على صلاح الدين.

(١) البيتان من البسيط، وقائلهما المتلمس.

انظر، عبد الرحيم العباسي: «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص»، (٢٣٨/١)؛ «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، (١٦١/١)؛ «جمهرة الأمثال»، (١١٢/١).

(٢) نسب هذان البيتان لأبي دلف العجلي. انظر، «محاضرات الأدباء»، «الراغب الأصفهاني».

(٣) حَسْبُكَ مِنَ الْقِلادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ: مثل يضرب في وجوب الاكتفاء من الشيء بما تتم به الحاجة.

قيل لعقيل بن علفة: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال ذلك.. (حَسْبُكَ مِنَ الْقِلادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ).

انظر، الزمخشري: «المستقصى في أمثال العرب»، (٦٢/٢)؛ ابن عبد ربه: «العقد الفريد»، (٣١٦/٢).

(٤) البيت يتبعه بيت آخر هو من الأمثال المرسلة: =

وبالجملة، أخرجتني ضرورة تقصر عن شرحها ألسنة الأقلام؛

ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام[(١)]

■■■

=

فلولا المزعجات من الليالى لما ترك القطا طيب المنام

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

نسبهما صاحب اللسان (في رقش) إلى: لجيم بن صعب.

انظر، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، (٣٠/٩)؛ ابن هشام الأنصاري: «شرح قطر الندى».

(١) البيت للكميت بن زيد من أبيات قال فيها:

وما غبن الأقوامُ مثل عقولهم ولا مثلها كسبًا أفاد كسوبها

رأيتُ عذابَ الماء إنْ حيلَ دونها كفاكَ لما لا بدَّ منه شروبها

إذا لم يكنْ إلا الأسنةُ مركبٌ فلا رأي للمحمولِ إلا ركوبها

انظر، «الإعجاز والإيجاز»، أبو منصور الثعالبي، (ص: ١٥٢).

الـموصل

ولم أزل أقطع المنازل منزلًا بعد منزل، حتى وصلت والحمد لله تَعَالَىٰ الموصِّل إلى بلد الموصل(١)، فكحلت العين قبل كل راءٍ بتربة حضرة نبي الله تَعَالَىٰ ذي النون، وآنسـت من نوره - مع أني في ظلمات بحر المعاصي - ما أخذ بيدي [٦] من بطن حوت الشـجون، ثم عبرت بحر الأنبياء بسـاحله، فاجتمعت بعلمائها الأعلام، فإذا كل منهم - وحرمة العلم وحامله - في حلبة الفضل إمام:

أيّـا لقيت تقل لاقيـت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها الساري(٢)

---

(١) الموصل Moussoul: (نينوى الجديدة Nova Vinus، موسيليوم Mausilium) الموصل إحدى ألوية ولاية وان الثلاثة (كارى، وان، الموصل) مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول - مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية وان، على نهر دجلة. تقع على دائر العرض ٣٦,٢٠، وخط الطول ٤٣,٠٨ قريبًا من أطلال مدينة نينوى القديمة.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، الجفان والجبالي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، (ص: ٢٤، ٤٧٣).
وقد اعتمدت كثيرًا في تعريف المدن والقرى الواردة في الرحلة على هذا الكتاب (المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية)، رغم قلة معلوماته في كثير من الأحيان، إلا أن أهميته تعد إلى كون مؤلفه س. موستراس، كان قنصلًا لروسيا في إزمير، وقد وضع كتابه هذا في عام ١٨٦٣م، وهي فترة قريبة جدًّا من زمن الرحلة، كما أنه أحد المراجع القليلة جدًّا المترجمة للعربية وتتناول جغرافيا العثمانية، كما أن المترجم قد أضاف تعليقات قيمة زادت من أهمية الكتاب.

(٢) روى ابن عبد البر في بهجة المجالس وأنس المجالس قال: مدح بعض بنى عمرو إخوته فقال:

خـبّر ثـنـاء بـنـى عـمـرٍو فإنّهم أولـو فـضـول وأنـفـالٍ وأخـطـار
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
هـينـون ليـنـون أيـسـارٌ بـنـو يسرٍ سـوّاس مـكـرمـة أبـنـاءُ إيـسـار
من تلق منهم فقد لاقيت سيّدهم مثل النجوم التي يهدى بها السّارى
لا ينطقون عن العمياء إن نطقوا ولا يمـارون إن مـاروا بإكثار

وقد قيل: إن هذا الشعر لبعض بنى كلاب يمدح بعض بنى غنيّ. انظر، ابن عبد البر، «بهجة المجالس وأنس المجالس»، (١/ ١١٠).

وأنا – على ما أنا – أثر من آثارهم، وقبس قبسه الزمان من أنوارهم؛

فإن كان لي فضل فمنهم أخذته ولولا سناء الشمس ما بهر البدر

ومـا أعني بهذا إلا أني تخرجت على علامة الدنيا، والآخذ على رغم أنف كل قرن بقرني غانية الرتبة العليا، ذو الفضل الجليل الجلي، علاء الدين مولاي علي أفنـدي الموصلي(١)، غمر الله تَعَالَىٰ بصيب رحمته تربته، وأوفر من لطفه سُبْحَانَهُ ثروته.

---

(١) علاء الدين أفندي الموصلي: ترجم له المؤلف في (غرائب الاغتراب) ترجمة مطولة، منها: «واحد العلماء، وأوحد الفضلاء، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاة كل قريحة وفهم، فارس ميدان المباحث والحبر الذي عزز العلامتان منه بثالث، ذي القدم الراسخة في جميع العلوم والرتبة الشامخة التي دون رفعتها النجوم، ذي القدر الأعلى (علاء الدين أفندي الموصلي)، ولم أزل أقرأ عنده، وأستنشق ريحه ورنده، إلى من تخرجت به وتأدبت بأدبه، وكان عليه الرحمة ذا ذهن يحل كل عويصة ضامن، ووقار كان ثبيرًا فيه كامن، وأدب زرت على أعناق الإعجاز جيوبه، وهبت بغوالي غواني الإبداع صباه وجنوبه، إلى عبارات عذبة شريفة، وإشارات ظريفة لطيفة، وألفاظ رائقة، ومعان فائقة، والحق أنه كان في كل علم آية الله تَعَالَىٰ الكبرى، وجنته التي لا يجوع فيها طالب علم ولا يعرى.

هو الشمس علمًا والجميع كواكب إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب

بيد أنه لضيق ذات يده ضاق صدره، ولمزيد كلف في نجم سعده كلف بدره ولذلك ساءت أخلاقه، وشاءت فراقه رفاقه.

كـان لا يـدري مـداراة الـورى ومـداراة الـورى أمـر مـهـم

وعلى العلات أن حظه حطه، وأوفر من الحرمان قطه، وأعانه على ذلك الزمان المشوم، والدهر الجائر الغشوم، ومن العجيب أن داود باشا على فضله لم يعرف فضله، وأحله في غير محله وما أجله، وذلك لأنه ما صانعه ولا دارًا، ولم يكن في دفتره لما كان دفتردارًا، واتفق أن أمر له إذ ذاك ببرده، فأبى أن يقبل كرمه في المجلس ورده، فأضمر ذلك في نفسه حتى استوزر، فأظهر من سوء معاملته إياه ما أظهر، وكان يتتبع عثاره ويزيد بعثير الغارة عليه غباره، حتى أنه أمر بنفيه إلى الحدباء، فحدب عليه ورجا إثباته بعض أجلاء الزوراء، فأثبت ولكن في هم لا يحد، وبقي منكسر القلب إلى أن ضمه اللحد، وقد ضم في شهر ضم أباه، وكان تاريخ ذلك قولي (عنهما رضي الإله) ودرج على الأثر في الطاعون جميع أهله وبنيه وبقي بيته خاليًا ليس سوى الصدا =

وجرى هنالك بحث في البين عما قاله يوسف الأوالي، عامله الله بعدله في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] فأبرزت لهم روح المعاني، فكنت المبرز - والفضل لله تَعَالَىٰ - في هاتيك المغاني، حفظوا قدري وأعظموا أمري، وبالغوا في شكري.

وسئل ظرف التقى وسفينة النجا، الإنسان الكامل الشبيه بالأملاك، المفتي الفاضل عبد الرحمن أفندي الكلاك[(١)]، عن الإشكال الشهير في قوله

= والحزن فيه.

ولم يتخرج عليه إلا جمع هم أقل من أنصاف الزمان، بل المتخرج إذا تتبعت واحد أو اثنان، وذلك لقلة تحمل الطلبة كثرة دله، وعدم وقوفهم على وافر فضله ولا ينقص العالم قلة طلبته، كما لا ينقص النبي عدم أمته، وأنا ولله تعالى الحمد صبرت على مره، وصيرت شغلي السعي في صفاء سره، وتأدبت معه غاية الأدب، وانتهى أداء رسم خدمتي إياه إلى حد العجب، وإني لأرجو أن أنال ببركة ذلك مزيد الآلاء، فبركة بركة خدمة الشيخ بحر لا تنزحه الدلاء.

وكان له شعر تحكيه غمزات الجفون الوطف، وتماثله إشارات البنان الذي يكاد ينعقد من اللطف، ويضاهيه السحر إلا أنه خال عن تعقيد العاقد ويشبهه الدر، إلا أنه كله فرائد،...

وقد دفن عليه الرحمة في قبة حذاء قبة الشيخ عبد الله العيدروسي، في محلة حضرة الباز الأشهب أظلنا الله تَعَالَىٰ بظلال جناحه القدوسي».

(١) عبد الرحمن أفندي الكلاك: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب):

«المفتي عبد الرحمن أفندي الكلاك وهو رجل قد لبس كفن التماوت فوق ثيابه وأنعم من حب الحيوة الدنيا عيابه حتى غدت لا تنطبق شفاه عيًا به قد جعل مسكنته حبة لفخه لكنه لم يصطد بها حتى طار طائر الشباب بفرخه وكان صيده جرادة الدنيا الدنية وحمامة إفتاء المستفتين من الحنفية وكم جاهل صاد ذلك بحبائل حيل نحو ما هنالك وأعانه عليه خورًا كثر العوام وجور معظم الحكام. نعم له علم لكنه دون ما يدعيه وصلاح لكنه عملي وفيه ما فيه فهو على علاته أحسن ممن مد ذراع حيلته فنال ما نال وقدح زند مسكنته فأوري وهو من الجهال وقد دلت الآثار أن من إمارات الساعة إفتاء من ليس سوى بز الجهل بضاعة ولا شك أن قيام الساعة قريب فوقوع مثل ذلك غير عجيب وإلا فبين أهل الصدر الأول السادة الأمجاد كانت لا تمهر فتاة الإفتاء إلا بنقد الاجتهاد:

فتراخى الأمر حتى أصبحت هملًا يطمع فيها من يراها =

تَعَالَىٰ: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[(١)] فاستغربت ذلك منه، وقلت: الجواب عن ذاك في القاموس موجود، وحصل لي من سؤاله الوقوف على حقيقة حاله، وأنه ليس له في استنباط الدقايق ملكة، وأن ذهنه طافٍ في ضحضاح من نهر الحقايق يحكي فيه كلكه، ومع ذا هو أعلم بكثير من أكثر المفتين، فإنهم - بلا يمين - لا يعرفون النسبة بين الشمال واليمين.

وقد رأيت أكثر علمائها علمًا، وأوفرهم تحقيقًا وفهمًا، وألطفهم سيرة وأنظفهم سريرة، وأحناهم عليّ، وأزيدهم ترددًا إليّ، الفاضل السري، مولاي عبد الله أفندي العمري[(٢)]، وقد كنت قرأت عليه -إذ أنا يافع-، قراءة أبي عمرو وقراءة ابن كثير وقراءة نافع.

ورأيت فيهم شابًا[(٣)] شرع في شرح مدحية مولانا حضرة الشيخ الأكبر[(٤)]،

= ولست أقول هذا من نفس واجدة لا والذي شقهن خمسًا من واحدة كيف وأنا أحمد الله تَعَالَىٰ على أن خلصني من نصب منصب الإفتاء».

(١) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فَاطِر: ٢٧].

(٢) عبد الله أفندي العمري: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): «الفاضل السري (عبد الله أفندي العمري) وهو نور الشجرة العمرية ونور فرق العصابة الفاروقية إليه انتهت رياسة العلماء وعليه حدبت طلبة العلم في الحدباء فعنه يروون ومن زلال فضله يرتوون جاء منذ ثلاثين سنة إلى بغداد وقرا فيها لأمرٍ ما عند غرباء العلماء الأمجاد فأصلد القدر له زندًا ونادته غواني الاستفادة مكانك أن حراسنا أسدًا وفي أثناء هاتيك الأوقات قرأت عليه بعض القراءات فهو أحد مشايخي في القرآن وأنا أفتخر به على سائر الأقران وقد تخرج على علامة عصره وعلامة الفضل في مصره حليف التدريس والإفادة علي أفندي محضر باشي زادة. وبالجملة قد عدا فغدا للأمثال سباقًا وراق ففاق علماء بلده علمًا وأخلاقًا عبد الله أفندي العمري رئيس من فيها من العلماء».

(٣) هو حسن أفندي فخري زاده [منه].

(٤) محيي الدين ابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ/١١٦٤ - ١٢٤٠م): أبوبكر محي الدين محمد بن علي =

والمغـني بفصوص حكمه ذوي [٧] الفقر الأسـود عن الكبريت الأحمر، قدس سـره، وغمرنا بره، نظم المولى الذي إذا حلق بازي تخيله في جو الألفاظ رجع كلمح البصر بألطفها، وإذا أدلى رشـا فكره في غيابة جب المعاني وقع ويالله مدليه على يوسفها، والفاضل الذي جرى سيل فضله فطمّ علي القرى، بر النثر وبحر الشعر عبد الباقي أفندي العمري[1]، ومطلعها:

= ابن عربي الطائي، مفكر وأديب وشاعر ووشاح صوفي. أندلسي المولد. أثرى القاموس الصوفي بما أضافه من ثروة لغوية. فهو يرى أن لكل لفظ وتعبير واصطلاح معنييْن؛ أحدهما ظاهر والآخر باطن. ولد بمرسيه ثم انتقل إلى أشبيليا والتقى في شبابه بابن رشد إلا أنه لم يسايره في تفكيره، واختار مسارًا صوفيًا متأثرًا بالفكر الهرمسي وبآراء الحلاج والسهروردي. وعندما قارب الثلاثين من عمره غادر الأندلس - كما يقول - لأسباب سياسية ودينية، واستجابة لرؤيا كشفت له أن الحرية الفكرية التي يرومها هي في مكة. ولما نزل مكة عام ٥٩٨هـ، ١٢٠١م اجتمع بعلمائها وأخذ عنهم، خصوصًا الشيخ زاهر الأصبهاني والشيخة فخر النساء. وتعلق في مكة بحب النظام ابنة شيخه، وملهمة قصائد ديوانه ترجمان الأشواق التي يشير بها كما يقول إلى معارف ربانية وأسرار روحانية، وجعل العبارة بلسان الغزل. غادر مكة إلى بغداد والموصل سنة ٦٠١هـ، ١٢٠٤م ثم إلى القاهرة سنة ٦٠٣هـ، وبها ألف مُصَنَّفَيه مشاهد الأسرار ورسالة الأنوار. ثم رجع إلى بغداد سنة ٦٠٨هـ، ١٢١١م، والتقى بشهاب الدين السّهروردي، ثم توجَّه مرَّة أخرى إلى مكة سنة ٦١٠هـ، ١٢١٣م حيث صنف شرحًا على ديوانه ترجمان الأشواق أطلق عليه ذخائر الأعلاق.

وغادر مكة إلى دمشق عام ٦٢٠هـ، ١٢٢٣م، حيث استقر بها وألَّف كتبًا كثيرة حمَّلها رؤيته الصوفية القائلة بوحدة الوجود، وأن هذا الوجود المادي صورة ومرآة ينعكس عليها وجه الحقيقة، وأن الخلق سلسلة من التجليات الإلهية، فصَّل رؤيته الصوفية في كتابيه فصوص الحِكَم والفتوحات المكية، إلا أن قراءتهما تتطلب جهدًا ذهنيًا لما يُغلف عباراتهما من غموض ربما يرجع إلى رغبته في إخفاء مقاصده أو إلى إغراقه في استخدام الرموز الصوفية. وبعد وفاته في دمشق مقتولًا، استمرت الخصومة حول سُنِّيته (أي كونه من أهل السنّة أم لا). إلا أن السلطان العثماني سليم الأول أصدر قرارًا ينص على سنيّته ويقضي بإضافة كتبه إلى المناهج المدرسية.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) عبد الباقي أفندي العمري: (١٢٠٤ - ١٢٧٩هـ/١٧٩٠ - ١٨٦٢م): عبد الباقي بن سليمان بن أحمد =

شام برقا من الشآم استنارا ملأ الخافقين نورًا ونارا

فقرأ لي من ذلك الشرح البعض، فذكرني ما كنت أتعاطاه من غصن شرخ الشبيبة غض، بل كدت أدعي أن تلك كلمات استرقها من ملء سماء مالي من كتاب، لكن قلت لنفسي هذا في غاية البعد كيف وأنا في سماء الحفظ شهاب.

أسأل الله تَعَالَىٰ أن يجعل ذلك الشاب في العلم شيخًا كبيرًا، وأن ينفعه بعلمه وينفع به من حظي منه بفهمه نفعًا كثيرًا.

■■■

= العمري الفاروقي الموصلي. شاعر، مؤرخ. ولد بالموصل، وولي فيها ثم ببغداد أعمالًا حكومية، وتوفي ببغداد. وفيه: أنه كان يلقب بالفوري، لإنشاده الشعر على الفور. والروض الأزهر وفيه: أنه أرخ عام وفاته بنفسه وكتبه بخطه، فقال: (بلسان يوحد الله أرخ ذاق كأس المنون عبد الباقي). له (الترياق الفاروقي) وهو ديوان شعر، و(نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر)، و(نزهة الدنيا) ترجم فيه بعض رجال الموصل من معاصريه، و(الباقيات الصالحات) قصائد في مدح أهل البيت، و(أهلة الأفكار في مغاني الابتكار) من شعره.

وقال المؤلف عنه في (غرائب الاغتراب): عبد الباقي أفندي العمري، ذي النظم الدري والنثر العبقري سلطان بني الآداب عبد الباقي أفندي العمري، وقال أيضا: ذو الهمة التي لا تجارى، والغيرة العمرية التي لا تبارى، من جرى وادي فضله فطم على القرى، حضرة مولاي عبد الباقي أفندي العمري، وكان لي سلمه الله تعالى في كل أموري مساعدًا، وقال: حضرة مبتكر المعاني. من أيام منادمته ربيع عمري. عبد الباقي أفندي الموصلي العمري. ولله تعالى منه سمسار ابتكار ملأ بيواقيت المعاني مصانع حوانيت الألفاظ. فروج قس براعته على أورق ورق دقائقه مجامع سوق عكاظ. شقة أذهبت عني المشقة. وملكت رقبة فؤادي وره. وذكره بكثير من العبارات على هذا المنوال. ثم ذكر أشعاره في الكثير من مواضع الكتاب.

[كركوك، إربل]

وقد اجتمعت قبل ذلك بأفراد علماء كركوك[١] وإربل[٢]، فإذا سعد غالبهم فيما به فخر كل سيد في العلم مقبل، إلا أن الفرق بين أولئك الجماعة وهؤلاء الأفراد، كالفرق بين ريش الطواويس وشوك القتاد، حيث ضم الأولون إلى زبد المعقول، شهد المنقول، وانجر هؤلاء عن سلوك ذلك الطريق فعقل كل عنه بعقال الحرمان معقول.

وكان من آمن الناس عليّ في حسن المعاملة وجميل المجاملة في بلد كركوك، الصارم الهندي البرزنجي السيد محمد أمين أفندي، الجامع بين أخلاق المشايخ وآداب الملوك، وكان من أجمل الأخلاء في إربل الشيخ محمد سعيد أفندي ابن المرحوم الشيخ هداية الله النقشبندي.

ولم أفارق في إربل الخيام، إلا لحضور وليمة أو دخول حمام، وأضافني في كركوك ذو الخلق العطر الندي، نائبها السابق أخي وحبيبي عبد القادر أفندي.

وبالجملة، كنت في كلتا البلدتين - لحسن معاملة كبارهما وصغارهما - قرير العين، كأني فيهما بين أهاليهما أب غاب ثم آب إلى بنيه، فتسارعوا إليه واجتمعوا عليه ليبل كل منهم برؤيته أمانيه.

---

(١) كركوك Kerkouk: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول - مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور. تقع على دائر العرض ٣٥,٢٨، وخط الطول ٣٥,٢٨.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٤٢٠).

(٢) إربل Erbil: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول -، في ولاية بغداد وشهرزور. لواء كركوك، بالقرب من إربل القديمة Arbela. عرفت في العهد الآشوري باسم أربايلو، تقع على دائر العرض ٣٦,١١، وخط الطول ٤٤,٠١.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣٨).

وأهل الموصل فوقهم في ذلك، ولعمري لقد عُددت عمريا هنالك، ولم أفارق هناك [٨] أيضًا حمى الخيام، إلا للاجتماع بعلمائها الأعلام، وكان ذلك في دار السعادة، دار أخي محمود أفندي عمري زاده[١]، فإنها لأعلام الزمان مجمع، ولآرام الأذهان مربع ومرتع، فبتنا هناك بليلة كما شاء الودود وساء الحسود.

■■■

(١) في الأصل كتبت هكذا (عمريزاده).
زاده: الابن، الولد. في العادة تلحق بالأسماء فتفيد النسبة؛ مثل: عرب زاده، أي ابن العرب، علي زاده؛ أي ابن علي، ويقابلها في اللغة التركية «أوغلي».
انظر، أمين خوري: رفيق العثماني (قاموس كلمات تركية وفارسية مترجمة إلى العربية)، مطبعة الآداب، بيروت، ١٨٩٤م.

الجزيرة

حتى إذا تبدى الفجر من جنبات الليل كالماء يلمع من خلال الطلحب، وجعل ينصل خضاب الدجنة كما ينصل صبغ الخضاب عن القذال الأشيب.

عبرنا مع من عبر، وسرنا متوجهين إلى جزيرة ابن عمر(١)، وفي أثناء الطريق تلقاني بمن معه مفتيها ذو الفضل البادي، ولدى القلبي الملا عبد الحميد أفندي العمادي، وكان قد تخرج عليّ، وأناخ رواحل الطلب لديّ، فلما رأيته نسيت بعض وحشتي، وإن كنت قد تذكرت به جميع أسرتي، ثم إني قد حررت له إجازة عامة، لما رأيت قابليته تامة، وهرع معظم الطلبة إليّ، فقبّلوا عندما أقبلوا يديّ ورجليّ، وكانوا في امتثال أمري أسرع من سهم يجري، وجروا في خدمتي كما تجري أمتي، وطلبوا رضاي، كما يطلبه فتاي، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ووالى سبحانه عليهم إحسانه وو الاهم.

ورفع لي بعض السياحين هناك على وجه الاسترشاد عدة أسئلة، هي فيما يتعلق بساداتنا الصوفية الأمجاد زعم أنها عليه مشكلة، فأجبت عن البعض تقريرًا، ووعدت بالجواب عن البعض الآخر تحريرًا، وكان ذلك معنى فرارًا عن اللفظ بما أعلم من الجواب، ورب كلمة حق لا تقال إلا لدى الرب الحق يوم الحساب، فآه ثم آه، ثم آه إلى آلاف ألف آه، من زمن زَمِن لا يستطيع فيه المحق أن يفتح خوفًا من خفض القدر فاه.

---

(١) جزيرة آل عمر: جزيرة عمرية Djezirei - O,meriye: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول -، في ولاية كردستان، لواء ماردين، على جزيرة في نهر دجلة. وهي جزيرة ابن عمر، تقع الآن على الحدود التركية السورية الشمالية الشرقية، على دائر العرض ٣٧,٢٠، وخط الطول ٤٢,١٢. انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٢٣٣).

وورقة الأسئلة اليوم عندي، وأنا عازم على إرسالها إلى ذي الجناحين[١] عيسى أفندي[٢]، وستراها إن شاء الله تَعَالَىٰ في (نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب)[٣]، وكذا سائر ما وقع لي هناك من المباحث العلمية، والمذكرات اللطيفة الأدبية.

واجتمعت لرجل من علماء هاتيك البلدان، له عنفقة أعظم من لحية فتحيلي شاه، ولحية الشيخ قادر الشوان.

فسألني عن معنى عبارة علامة البشر، أفضل المتأخرين [٩] والمتقدمين في الفضل ابن حجر[٤]، عند الكلام على الإيجاز والاختصار في شرح ديباجة

---

(١) الشيخ عيسى البندنيجي: أبو الهدى عيسى صفاء الدين البندنيجي، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جميع العلوم، راسخ القدم في كل فن من منطوق ومفهوم، لاسيما علم النحو والصرف والمنطق والبيان والفقه والأصول والتاريخ والحديث والتفسير والكلام والجدل. واسع الإطلاع في اللغة العربية، كما أنه كذلك في اللغة التركية والفارسية، وله اقتدار على الإنشاء في جميع هذه اللغات، وكان مفرط الذكاء جيد الفطنة فوق الفهم مع مزيد تقوى وصلاح، سلك في الطريقة القادرية النقشبندية، وله انتساب إلى سائر الطرق، كان رئيس المدرسين زمنًا طويلًا في مدرسة داود باشا، وتخرج عليه الكثير من أجلة المحصلين. له شرح نظم السراجية في الفرائض للعلامة الرحبي، وكتاب في تراجم من دفن في بغداد ونواحيها من الأولياء والصلحاء، رسالة لطبقة في الرد على الإمامية رد بها على أسئلة وردت من لاهور، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات. وله نظم لطيف ونثر ظريف. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ١٢٨٣هـ، ودفن في تكية البندنيجي. والبندنيجي نسبة إلى بندنيجين بلدة من ملحقات بغداد في حدود إيران.

انظر، محمود شكري الآلوسي: «المسك الأذفر»، (ص: ١٣٠ - ١٣٢).

(٢) العلامة صفاء الدين البارع بالشريعة والحقيقة، مدرس الداودية الشهير بالبندنيجي [منه].

(٣) هو الكتاب الثالث الذي جمع تفاصيل رحلة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) ابن حجر الهيثمي (٩٠٨ - ٩٧٣ هـ/١٥٠٣ - ١٥٦٥م): أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، فقيه عصره. ولد بمصر وتعلم فيها، كتب في أكثر علوم عصره، =

المنهـاج، الـذي ليس له عند المصنفين المنصفين من هاج، فقرأت له ما كتبه عليها أحمد حيدر وشـيخ مشـايخنا صبغة الله أفندي الحيدري[١]، فما درى من ذلك شـيئًا ولا أظنه إلى يوم القيامة يدري، ثم قررت له ما كتبته أنا مما لم أسبق - والحمد لله تَعَالَىٰ - إليه، وعرضته كرامة لدقنـه الطويل العريـض العميق بطوله وعرضه عليه،، فحدست أنه لم يسمع لما أن شعر لحيته قد تكاثف حتى سد صماخيه[٢].

= تعلم بالأزهر، ثم انتقل إلى مكة. من كتبه «تحفة المحتاج شرح المنهاج»؛ و«الإيعاب شرح العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعية والأصحاب؛ والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) صبغة الله الحيدري (ت: ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣ م): صبغة الله بن إبراهيم الحيدري: شيخ مشايخ بغداد في عصره. ولد في قرية (ماوران) واستوطن بغداد إلى أن توفي فيها بالطاعون. له كتب، منها (حاشية على البيضاوي) و (حواش على حواشي عصام الدين على شرح الكافية للجامي) و(حواش على المحاكمات والعقائد لأحمد بن حيدر).

وقال المؤلف عنه في (غرائب الاغتراب): العلامة السري شيخ مشايخنا (صبغة الله أفندي الحيدري)، وكثيرا ما يذكره بهذه المقولة: شيخ مشايخنا، وقال أيضا: نور الذبالة الدرية. ونور شجرة السلالة الحيدرية. ذو الخلق العطر شيخ مشايخنا الرندي. ويقول عنه: المشهور فضله في كل نادي. صبغة الله أفندي الحيدري الحسين آبادي.

انظر، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٠٠)؛ البيطار: «حلية البشر» (٢/ ٩٨)؛ «معجم المؤلفين» (٥/ ١٦).

(٢) ربما يظن البعض أن السيد الألوسي يسخر من اللحية رغم علمه بحكمها الشرعي، لكن سبقه من الأئمة من نحا باللائمة على قوم ممن يبالغون بشكل كبير في إعفاء اللحية وتعظيم حجمها، بما يخرج عن حد الاعتدال، وكان من هؤلاء ابن القيم. واللحية إذا كانت بقدر المسنون، وهو القبضة - كذا في الهداية - وكان ابن عمر يقبض على لحيته فيقطع ما زاد على الكف رواه أبو داود في سننه.

وقد جاءت كتب الفقه بتفاصيل حكم اللحية: قال إبراهيم كانوا يأخذون من عوارض لحاهم، وكان إبراهيم يأخذ من عارض لحيته، وعن أبي هريرة أنه كان يأخذ من اللحية ما فضل عن =

وبالجملة؛ لم أر منه إلا عجب طاوس، وجثة فيل أو جاموس، وأنه لأخبط من عشواء، وأحمق من ربيعة البكَّاء[١]، ومع هذا هو في هاتيك الأرجاء، أمنع من إست النمر[٢]، وأعز من الزبَّاء[٣]، وهو رجل أسعردي[٤] يدعى الملا مصطفى أفندي.

= القبضة، وعن بن عمر مثل ذلك، وعن الحسن مثله، وقال قتادة ما كانوا يأخذون من طولها إلا في حج أو عمرة كانوا يأخذون من العارضين، كل ذلك من كتاب بن أبي شيبة بالأسانيد.
وما في الصحيحين عن ابن عمر عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى» فمحمول على إعفائها من أن يأخذ غالبها أو كلها كما هو فعل مجوس الأعاجم من حلق لحاهم فيقع بذلك الجمع بين الروايات.
انظر، ابن نجيم الحنفي: «البحر الرائق شرح كنز الدقائق»، (٤٤١/٥)؛ «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار» (٣١٧/٤).

(١) أَحْمَقُ مِنْ رَبِيعَةَ الْبَكَّاءِ: هو ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صَعْصَعة، ومن حمقه أن أمه كانت تزوَّجَتْ رجلا من بَعْدِ أبيه فدخل يوما عليها الخباء وهو رجل قد الْتَحَى فرأى أُمَّهُ تحت زوجها يُبَاضعها فتوهَّم أنه يريد قتلها فرفَع صوته بالبكاء وهَتَك عنهما الخباء وقال: وأأماه فلحِقه أهلُ الحيِّ وقالوا: ما ورائك؟ قال: دخلت الخِباء فصادفْتُ فلانا على بطن أمي يريد قتلها فقالوا: أهْوَنُ مقتول أم تحتَ زوجٍ؛ فذهبت مثلا وسمي ربيعة البَكَّاء فضُرب بحُمْقه المثل.
انظر، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري: «مجمع الأمثال»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (٢٢٤/١).

(٢) أَمْنَعُ مِنَ إست النَّمِرِ: وذلك أن النَّمِرَ لاَ يتعرض له لأنه مكروه في القتال يضرب للرجل المَنِيع.
انظر، الميداني: «مجمع الأمثال»، (٣٢٣/٢).

(٣) أَعَزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ: قال المفضل الضبى كانت الزباء امرأة من الروم وأمها من العمالقة وكانت تتكلم بالعربية وكانت ملكة على قنسرين والجزيرة وكان مدائنها على جانبي الفرات وهي التي قتلت جذيمة وحديثها معه يطول ذكره.
انظر، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: «المستقصى في أمثال العرب»، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، (٢٤٣/١).

(٤) نسبية إلى أسعرد وهي مدينة من الرابع من ديار ربيعة، عن آمد مسيرة أربعة أيام في الجنوب، =

وبتنا في الخيام ثلاث ليال، على أحسن حال وأرفه بال.

■■■

= وعن الموصل على خمسة أيام، وهي في الشرق والشمال، والموصل في الغرب والجنوب، ويحيط بها الجبال، وكانت كثيرة الأشجار واليوم عرية من ذلك، طولها (سح) وعرضها (لزك) وضبطها بعضهم بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين، وسكون الراء المهملات وآخرها دال معجمة، وضبطها صاحب أوضح المسالك (سعرت) بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات، وفي آخرها تاء مثنات من فوق. [منه].

وقد استخدم المؤلف «حساب الجمل» في تحديد المسافات، وحَسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم.

[ديار بكر[١]]

حتى إذا حلت في الليلة الثالثة يد الفجر من النجوم عقدًا، وعركت بأناملها أوراد الثريا وكانت كغصن ياسمين تنضد وردًا.

سرنا متوجهين إلى ديار بكر، - ويا لآل وائل - لما لقيت فقد كادت تغلب عليّ شدائد الدهر.

ومررنا في الطريق على دير الزعفران[٢]، وفيه نحو ثلثماية من أحبار الرهبان، فبحثت في أمر الثالوث مع رئيس أولئك الأحبار، فقال - وقد صبغ وجهه

---

(١) راجع (آمد السوداء).

(٢) دير الزعفران: ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان عند الكلام عن أردمشت، وذكر أن أردمشت قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة الموصل على جبل الجودي، وتحتها دير الزعفران، وهو قلعة أيضًا.
انظر، ياقوت الحموي: «معجم البلدان»، (١/ ١٤٦).
وذكر ياقوت أيضًا في موضع آخر أن دير الزعفران يسمى «عمر الزعفران» قرب جزيرة ابن عمر تحت أردمشت، وهو في لحق جبل، والقلعة مطلة عليه، على الجبل المحاذي لنصيبين، كان يزرع فيه الزعفران. «ياقوت الحموي»: (٢/ ١١٥).
وقد ذكره الشابستي في كتابه الدويارات تحت اسم «عمر الزعفران»، وقال عنه: «عمر الزعفران»: هذا العمر بنصيبين، مما يلي الجانب الشرقي منها، في الجبل، والجبل مشرف على البلد. وهو من الديارات الموصوفة والمواقع المذكورة بالطيب والحسن. وحوله الشجر والكروم، وفيه عيون تتدفق. وهو كثير القلايات والرهبان. وشرابه موصوف، يحمل إلى نصيبين وغيرها. وليس يخلو من أهل القصف واللعب، فهو وسائر بقاعه معمورة بمن يطرقها. وبهذا الجبل ثلاثة ديارات أخر، في صف واحد، أحسن شيء منظرًا وأجله موقعًا، وهي: عمر الزعفران، ومر أوجي ومر يوحنا. والعمر الكبير بالموضع أحد متنزهات الدنيا. وأسفل الجبل الهرماس، وهو نهر نصيبين، وعيون تتدفق من أصل الجبل، ويعرف الموضع برأس الماء. وهذا الجبل أول طور عبدين، وهو على ثلاثة فراسخ من نصيبين. ويجري هذا النهر بين جبلين. وعلى حافته الكروم والشجر، فإذا وصل إلى نصيبين افترق فرقتين، فمنه ما يجتاز بباب سنجار، فيسقي =

بزعفران – هذا وروح القدس مما لا يعرفه أخيار أحبار الإسلام في الأمصار، اللهم إلا إذا كان قبل من أحبار النصارى فأسلم، فما أدري ما أقول فيك والله تَعَالَىٰ أعلم، فضحك الوجوه من مقاله، وبكت القلوب لضلاله.

■■■

= ما هناك من البساتين ويصب في الخابور، ومنه ما يعدل إلى شرقي البلد فيدير أرحية هناك ويسقي البساتين أيضًا وما هناك.

ماردين

ثم سرنا حتى أتينا ماردين [١]، فعجبت كيف غدا سكنة قلعتها طايعين، فقد رأيتها قلعة يحسر دونها الناظر، ويقصر عنها العقاب الكاسر، تحوي من الرفعة قدر لا يستهان مواقعه، وتلوي في المنعة جيدًا لا تستلان أخادعه، تكاد تتوشح بالغيوم، وتتحلى بقلائد النجوم، فخيمنا في حضيض البلد، ثم صعدنا على ذراها مع من صعد، وزرنا فيها الشيخ حامد، أحد خلفاء حضرة مولانا الشيخ خالد [٢]، وذلك بعد أن أرسل [١٠] إلينا ولده مع جمع من كبار مريديه، فرحب بنا واعتذر بما أقنعنا عن عدم مجيء أبيه، فعذرناه، وتبركًا به زرناه، فوجدته من خيار الأمة، الذين تكشف بنسائم توجهاتهم العلية غمائم الغمة، لم يجعل الطريقة

---

(١) ماردين: ماردين Mardin (مريد Maride،مارد Marde): مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية كردستان. تقع على دائرة عرض ٣٧,١٨ وخط طول ٤٠,٤٤ على الحدود السورية.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٤٥٢).

(٢) الشيخ خالد النقشبندي (١١٩٠ - ١٢٤٢هـ/ ١٧٧٦ - ١٨٢٧م): خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي المجددي: صوفي فاضل. ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان. وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا (والي العراق) وتوفي في دمشق بالطاعون. من كتبه (شرح مقامات الحريري) لم يتمه، و(شرح العقائد العضدية) ورسالة في (إثبات مسألة الإرادة الجزئية) واسمها (العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري) و(جلاء الأكدار) ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم، و(ديوان فارسي) وجمع أسعد الصاحب رسائله في كتاب سمي (بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد) ولعثمان بن سند، كتاب فيه، سماه (أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد ط)، كما أن للشيخ محمود الآلوسي كتابا فيه سماه (الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد)، ولابن عابدين كتابًا فيه اسمه (سل الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي).

انظر، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٩٤).

الخالدية فخًا للدنيا الفانية الدنية، ولم يتخذ حبات مسبحته، بنادق يرمي بها أرام عيشته، قد نبذ السوى وراه، واتكل في جميع شئونه على مولاه، فكف كفه عن زخرف الدنيا ونظرتها، وصرف طرف طرفه عن رعي أزهار زهرتها، لا يقف في ظل طمع، ولا يقفو غير ما أنزل الله تَعَالَىٰ وشرع، كثّر الله تَعَالَىٰ أمثاله في البرية، وربط بمحكم إرشاده بند النقشبندية[١].

وبتنا أيضًا في الخيام، وللزائرين علينا ازدحام.

■■■

(١) النقشبنديّة / نقشبندلك: مذهب فرقة من الدراويش يسمون النقشبندية، تنتسب على شيخهم بهاء الدين الملقب بنقشبند، ونقشبند في الفارسية بمعنى النقاش. وقيل عنهم إنهم يزينون عقولهم بالرسوم والنقوش، وهم ينجون من أوضار الحياة وشرورها؛ فما غرتهم تلك الدنيا ولها تلون الحرباء. ولقد رسم نقشبند من العلم الإلهي صورًا منقطعة النظير، كما نقش نقوشًا خصبة للخلق الأبدي، وعندهم أن الإنسان إذا ما شاء أن يسمو إلى الكمال، فعليه أن يتجافى عن الحسيات، وأن يباعد بينه وبين الناس جهد المستطاع، والقرآن يتضمن التشريع الحاسم الجامع المانع، وعليه أن يتخذ من القرآن الكريم والحديث هاديًا ومرشدًا له، وأن يستمسك بعروة الشريعة الوثقى، وعند النقشبندية أن من ينتسب إليهم ينبغي ألا يطيع إلا شيخه، وما ذاك إلا لأن هذا الشيخ إنما يستوحي خفي المعاني ويتلقى الحقائق، لأنه قريب من الله، ولا يجتمع النقشبندية إلا في تكيتهم واجتماعاتهم بتوجيه من شيخهم، والشيخ يعين لهم اسمًا من أسماء الله ليذكروه. وهم يسبحون أسماء الله الحسنى وعددها تسعة وتسعون اسمًا هي أساس العقيدة عندهم، ولذلك يسبحون تسعًا وتسعين مرة ومنهم من يسبحون ألف مرة ومرة، وإذا كان في التكية سبعون درويشًا فإنم يرددون خلف شيخهم اسم الله سبعين ألف مرة.

انظر، مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ١٥٠).

[آمد السوداء]

ولما باح الصبح بسره، وطار غراب الليل عن وكره.

سرنا نطوي شقق البيداء، حتى دخلنا آمد السوداء[١]. ونزلت في بيت مفتيها سابقًا درويش أفندي، وقد سبق بدعوتي من مراحل فكان المقدم على غيره عندي، ومنشأ ذلك تعارف غيبتي في البين، على أن الغريب أعمى ولو كان ذا عينين، وبقيت هناك نحو عشرين يومًا، أسامر فيها - عافاك الله تَعَالَىٰ - همًّا وغمًّا.

وممن هوَّن شجوي ووجدي، قاضيها سعد الدين إبراهيم أفندي، وهو أحد القضاة السابقين في الزوراء، وقد جرى لي معه فيها ما يوجب من أمثاله الازورار والبغضاء، فعلمت أن الرجل كريم الأخلاق، طيب الأصول والأعراق، وجعلت أقرع سني، ندمًا على ما نَدَّ مِني.

---

(١) آمد السوداء: ديار بكر أميدا: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول، مركز اللواء الذي يحل الاسم نفسه، في ولاية كردستان، على الضفة اليمنى لدجلة، مقر أسقفية تتبع بطريركية القسطنطينية. تقع على دائر العرض ٣٧,٥٥، وخط الطول ٤٠,١٤.
انظر، س. موستراس، (ص: ٢٧٢).
ويطلق عليها الأتراك اسم «قرة آمد» أي آمد السوداء لسواد حجارتها، كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، وقد ذكر ذلك أيضًا الحميري في «الروض المعطار، فقال: آمد: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم، ومدينة آمد كبيرة حصينة على جبل في غربي دجلة وهي كثيرة الشجر والجبل عليها مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ولها داخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون تطرد وأشجار وبساتين، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان، ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ. كما ذكرها أيضًا بهذا الاسم الشاعر العباسي عرفلة الكلبي فقال:

في «آمد» السوداء بيضٌ ما انثنوا ... إلاّ حَكَوْا سمرَ الرّماح قدودًا
تخذوا من الليل البهيمِ قلانسًا ... ومن النهارِ مباسمًا وخدودا

وزارني يومًا جمع من طلبة العلم فأكثروا لديّ قالًا وقيلًا، وسألوني عما قاله البيضاوي(١) في قوله تَعَالَى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٠] فقررت ما سلموه، وكفوا عنه كف الاعتراض إذ فهموه، ثم جئتهم برسالة أكدت ما قررته في أذهانهم، فازدادوا بها إيمانًا إلى إيمانهم.

وجاءني يومًا رجل كالسنور يسمى ملا حسين الفاري، تزعم شيعته أنه في تلك الأرجاء أكثر جدلًا وأجسر من علي القاري [١١]، فأخذ سفرًا من روح المعاني، ثم جاء بعد يومين وقد غرته الأماني؛ فأبرق وأرعد، وسكر بأقل من زبيبة وعربد، وجاوز في الصخب النهاية، واعترض على تعبيري في الكلام على قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] الآية، فأديت ما عليّ من النحت، وهو يتدحرج من فوقٍ إلى تحت، وقد هممت بضربه، لولا أن رأيت برهان ربي وربه، ثم بعد ثلاثة أيام جاءني وأنا في بيت إمام الشافعية، فقبل يدي مستشفعًا به في العفو عن فعلته الردية، فعفوت كما هو سجيتي، مع من أساء إليّ في بلدتي، فطالما تجرعت من الناس مر أخلاق، سقيتهم بها من معاملتي كأسًا حلوة المذاق، ولو أني وفيتهم الكيل صاعًا بصاع، ما رأيتني أتجرع غصص الغربة في هذه البقاع، ثم أنه وسَّط جماعة في حضوري مجلس إجازته، وإذنه بتدريس العلوم بعض

(١) ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م): ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد. قاضٍ وإمام مبرِّز من بلاد فارس. تولى قضاء شيراز، وكان صالحًا متعبدًا، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، وأبرزها المنهاج الوجيز في أصول الفقه، وتفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لخصه من تفسيري الزمخشري والرازي وأضاف إليهما ملاحظات في مواضع كثيرة. ولد البيضاوي في مدينة البيضاء قرب شيراز. ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. توفي في تبريز.
انظر، الموسوعة العربية العالمية.

تلامذته، فحضرت مُكرها في حرم مسجد قد غَصّ بالناس، وعض الحر فيه الأبدان بأضراس استعارها من الأنفاس، فقرأ بعض المجودين المجيدين بعض سور القرآن، فجعلت دموع عيني تتساقط على كسائي بلا عاصم تساقط دموع يعقوب لَمَّا كان ما كان، ثم قرأ الإجازة بعض من حضر هنا، فامتلأت قبة الجامع غلطًا فاحشًا ولحنًا، ولعمري لقد تحيرت إذ ذاك بين أمرين أمرَّين، الضحك حتى ينفطر القلب، والبكاء حتى تذهب العين، ثم انتصبت قائمًا أجر رجلي جرًا، أضحك تارة، وأبكي من ذاك أخرى، وجعلت آسف، وإن لم ينفع الأسف، أن طار بالعلم هناك عنقاء مغرب[1]، وينبئ عن ذلك خلو مدارس هاتيك الأرجاء عمن يبني ويعرب، وإلى الله تَعَالَىٰ المشتكى من هذا الأمر، ونعوذ به سُبْحَانَهُ مما هو أدهى وأمر، فإني أخشى أن يُطوى من البسيطة بساط العلوم الإسلامية، ويستجر تنور الضلال بجزل التعقلات الإفرنجية، وأظنك تخشى ما أخشى، فإن العلامات لا تكاد تخفى إلا على أعشى [١٢].

ودعاني يومًا مع وجوه البلد، وهم كأصابع الكفين في العدد، ذو القدر العلي، السيد أحمد أفندي القلعلي، وهو من أصدقاء المرحوم الوالد، وقد حاز من اللطافة ما يُشترى بالطارف والتالد، فعرض عليّ كتابًا [مسمى بالسنوحات][2] ألّفه في الأدب، وجمع فيه شيئًا من شعره وشعر المولدين والمخضرمين وجاهلية

---

(١) قال عنها الألوسي في تفسيره «روح المعاني» عند الكلام عن «أصحاب الرس»: بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير وكان فيها من كل لون وسميت عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد ولاتيانها بهذا الأمر الغريب سميت مغربًا، وقلي: لأنها اختطفت عروسًا، وقيل: لغروبها أي غيبتها، وقيل: لأن وكرها كان عند مغرب الشمس، ويقال فيها عنقاء مغرب بالتوصيف والإضافة مع ضم الميم وفتحها.

(٢) ما بين الحاصرتين جاء في حاشية المخطوط.

العـرب، [مراعيًا شـرح مـا عني بجمعـه، مختارًا له اللغة التركيـة رعاية لأهل صقعـه][1]، والتمـس مـني بعـد القـرى قـراءة شيء منـه وتقريضـه، فقرأت وما اسـتقرأت لضيق الوقت صحيحه ومريضه، فقدمت علـى خطر وقرضته بما خطر، وأظنني أبدعت في بعض الفقرات، وأتيت بما لم يأت به أحد في هاتيك العرصات، والتقريض هو هذا الطويل العريض.

■■■

(١) ما بين الحاصرتين جاء في حاشية المخطوط.

تقريض لنا



ألا إن أيمن سانح يؤمن به شوم كل بارح، حمد مولى مَنَّ على من شاء بسنوحات تقف عندها الأفكار حيارى، وإذا ما برزت تتهادى من أبياتها تركت شمول شمائلها ذوي العقول سكارى، والصلاة والسلامة على من مَخَّضت له الفصاحةُ زبدَها، فغدا أفصح من نطق بالضاد، وروَّقت له البلاغةُ شهدَها، فبدأ يزيل به كالزلال غلة كل صاد، وعلى آله الذين ما نثرت في مجلس كلماتهم النواضر، إلا أسرعت من الخدور غواني الإعجاب، فرقعن الكوى بالنواظر، وأصحابه الذين حازوا من فهم عباراته وإشاراتها أوفر نصيب، وفازوا من قداح التأدب بآدابه السليمة من القدح بالمُعلَّى والرقيب.

وبعد، فقد مررت وأنا على مشمعلة[١] السير بديار بكر، ولقد لهجت بذكر دياري لهج النحوي بذكر زيد وعمرو، فوقفت على هذا الكتاب، وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه، ووفقت لصيد ما فيه من العجب العجاب، توفيق أجدل ساعدته خوافيه وقوادمه فألهاني عما بي، وأنساني تذكر أوطاني وأحبابي، حيث

---

(١) شَمْعَلٌ: فَعلَل من قولهم: رجلٌ مشمعلٌّ: جادٌّ في أمره. والمشمعل، أيضًا: الناقة السريعة، وقد اشمعلت الناقة فهى مشمعلة. شَمْعَلَتِ اليَهُوْدُ شَمْعَلَةً وهي قِراءتُهم. واشْمَعَلَّتِ الإبِلُ تَفَرَّقَتْ وَمَضَتْ فَرَحًا وَنَشَاطًا. وناقةٌ شَمْعَلَةٌ سَرِيعَةٌ نَشِيْطَةٌ، وكذلك مُشْمَعِلَّةٌ. وشَمْعَلْتَ النّارَ في الشَّيْءِ أشْعَلْتَ. وضِرَامٌ مُشَمْعَلٌ. والمُشْمَعِلُّ من النَّخْلِ المُتَفَرِّقُ الأغْصَانِ. والطَّوِيلةُ من النُّوْقِ مُشْمَعِلَّةٌ. وهي السَّرِيعةُ، وكذلك الشَّمْعَلُ بغَيْر هاءٍ. واشْمَعَلَّتِ القِرْبَةُ والمَزَادَةُ سَالَ ماؤها.

انظر، ابن دريد: «الاشتقاق» (١/١٧١)؛ الجوهري: «الصحاح» (٥/٤١)؛ الصاحب بن عباد: «المحيط في اللغة» (١/١٤١).

جمع من الأبيات العربية ما يصلح أن يكون دُرّها وشاحًا لكل عروبة، ومن النكات الغريبة المرضية ما يغني درها عن تناول خندريس كل أعجوبة [١٣]، وأتى في كل باب بما هو فصل الخطاب، وأظهر من اللباب ما بهر ذوي الألباب، فكله سنوحات قدسية تتضمن مواهب لدنية، وأبكار أفكار آمدية يحكي فتوحات مكية[١].

وبالجملة، هو مفرد لم تسمع تثنيته، وجمع جليل سلمت بنيته، ولا بدع؛ فقد ألَّفه المولى الإمام أليف الكمال وحليف المفاخر، وأزال فيه الإبهام وحل الإشكال من تُعقد عند ذكره الخناصر[٢]، واحد العلماء الأجلة السادة، والثاني

---

(١) يكني المؤلف هنا بكتاب ابن عربي الشهير (الفتوحات المكية)، والفتوحات المكية كتاب ألفه محمد بن علي محي الدين أبوبكر الطائي المعروف بابن عربي (٥٦٠- ٦٣٨هـ). والكتاب يعكس مذهبه الصوفي والقول بوحدة الوجود. وهو كتاب ضخم يقع في أكثر من ثلاثة آلاف صفحة تمتزج فصوله بعضها ببعض، وتتنوع موضوعاته بين علوم التصوف والتأمل في الوجود والحقائق وبين علوم الشريعة. وقد تكلم في فصول مختلفة عن معرفة الروح وعلم الحق وعلم الأحوال والأسرار وأحكام الشرع وأسرار الطهارة وعن النبوة وأسرارها وعن الحب الإلهي والسكر والتوبة والمجاهدة وألوان المقامات.

كما أن من أبرز الأمور في الكتاب إشاراته البارعة ولفتاته الذكية في حديثه المفصل عن الحروف ومراتبها وخصائصها وأسرارها من وجهة نظر صوفية متميزة.

انظر، الموسوعة العربية العالمية.

(٢) فلانٌ لا تُثْنى به الخَنَاصِرُ: أي لا يُعَدُّ ثانِيًا. وفلان (تُثْنَى بِهِ الخَنَاصِرُ) أي تبدأ به إذا ذكر أشكاله لشرفه. وقال اليازجي حول هذه الصيغة من صيغ المبالغة في وصف العلم والعلماء: وَيُقَالُ: فُلان مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَطَلابَته، وَمِمَّنْ تَوَجَّه إِلَى تَحْصِيلِهِ، وَانْقَطَعَ لِطَلَبِهِ، وَخَلا لِطَلَبِهِ، وَتَخَلَّى لَهُ، وَأَخْلَى لَهُ ذَرْعه، وَقَصَرَ عَلَيْهِ نَفْسه، وَوَقَفَ عَلَيْهِ جَهْدَه، وَأَنْفَقَ أَوْقَاته عَلَى طَلَبِهِ، وَاسْتَنْزَفَ أَيَّامه فِي مُعَانَاتِهِ،... وَأَصْبَحَ مِمَّنْ يُرْمَى بِالأَبْصَارِ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، وَمِمَّنْ تُثْنَى بِهِ الأَصَابِع، وَتُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِر.

انظر، «المحيط في اللغة» (٦/ ٩٢)؛ الفيومي: «المصباح المنير»، (١/ ١٧١)؛ إبراهيم اليازجي: «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»، (٢٧١).

على منصة الإرشاد والإفادة كعطف الوسادة، العالم الذي ملأ الملا فخره، والعيلم الذي زين جيد العلا دره، سعد الدين والسيد السند، وعضد الملة السامي سمو الكف الخضيب على ذراع الأسد، المولى الذي حاز اللطف جميعه، فلم يستطب[1] مرتاد في ديار بكر إلا ربيعه، أبو الفتوح وجيه الدين السيد أحمد راشد أفندي، كان الله عز وجل له فيما يسر ويبدي، وإني لأقسم بحياته، وما أودع في أقسام مسنوحاته، لقد أتى بما تستحسنه الرواية والدراية، وبه لطالبي المحاورات الأدبية هداية وكفاية.

[وكتب أبو الثناء شهاب الدين، السيد محمود الشهير بآلوسي زاده غُفر لهما][2].

واتفق إن جرى ذكر القاموس، وما صنع عاصم في ترجمته إقيانوس، فمدحت كما مدحوا صنعه، إلا أني قلت فاته أشياء، منها إيضاح ما أبهمه المجد من الأغلاط التسعة، التي ادعاها فيما استشهد به الجوهري ذو المفاخر[3]، أعني البيت الثاني من قول الشاعر:

---

(١) في النسخة المطبوعة (يستطيب).

(٢) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

(٣) أبو نصر الجَوْهَري (ت: ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م): إسماعيل بن حماد الجوهريّ، أصله من فاراب من بلاد الترك، وكان إمامًا في اللغة والأدب، وخطه يُضرَب به المثل. وكان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق، ودخل العراق فقرأ العربية على أبي عليّ الفارسي والسيرافي وقد أخذ عن خاله أبي يعقوب الفارابي صاحب ديوان الأدب. وسافر إلى الحجاز وشافه باللغة العرب العاربة، وطوّف بلاد ربيعة ومضر. ثم عاد إلى خراسان، ونزل الدامغان عند أحد أعيان الكتّاب والفضلاء، ثم أقام بنيسابور ملازمًا للتدريس والتأليف، وتعلّم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله، عن آثار جميلة.

ممن أخذوا عنه تلميذه، إبراهيم بن صالح الوراق. وصنّف كتابًا في العروض ومقدمة في النحو؛ الصحاح في اللغة الذي أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقد ألّفه لأبي البيشكي، وأسمعه من =

لا در در أنـــاس خـــاب سعيهم   يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجـاعـل أنـت بـيـقـورا مسلعة   ذريعة[1] لك بين الله والمطر[2]

فلم أرَ فيهم من شـام لسـحابها برقًا، ولا من رام وسيلة لأن يعرج إلى سماء معرفتها ويرقى، ولا أظن أنهم يعرفون هاتيك الأغلاط، إلى أن يلد البغل العاقور الباقور أو يلج الجمل في سم الخياط[3]، وأنت إن أردت معرفتها فارجع إلى (الأجوبة العراقية)[4] [١٤] التي ألفناها في مقابلة الأسئلة الإيرانية، على أني

= أوله إلى باب الضاد المعجمة. ومات الجوهري وبقي الكتاب غير منقّح فبيّضه ونقّحه أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الورّاق ووقع فيه غلط، ولذلك كان للناس حواش عليه كأبي عبدالله محمد بن برّي. وقد جمع الجوهريّ في معجمه المعروف بالصحاح نحو أربعين ألف كلمة، رتبها ترتيبًا أبجديًا بناه على أواخر أصول الكلمات، محتذيًا في ذلك صنيع خاله في كتابه ديوان الأدب، وقيل إن تلميذه الوراق غلط فيه في مواضع كثيرة، منها أنه قال في سقر «السقر»، بالألف واللام، وهذا مما لايغلط فيه في مثله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]. ومن أعجب مافيه من التصحيف، أنه صحّف فيه تصحيفًا مركبًا، قال «الجراضل» الجبل، فجعل «الجراضل» كلمة.

انظر، الموسوعة العربية العالمية.

(١) في الأصل وسيلة، وتصحيحها من حاشية المخطوط.

(٢) كانوا في الجاهلية الجهلاء، وهي الأولى، إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها، وثنن عراقيبها السلع والعشر، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النار، وضجوا بالدعاء والتضرع. وكانوا يرون أنه من أسباب السقيا. وقال الودك الطائي:

لا در در رجـال خـاب سعيهم   يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجـاعـل أنـت بـيـقـورًا مسلعة   ذريـعـة لـك بـين الله والمـطـر

انظر، الزمخشري: «ربيع الأبرار»، (٢٠/١).

(٣) تضمين لقول الحق سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

(٤) واحد من كتب المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كتاب رحلته الكبير.

سأذكرها إن شاء الله تَعَالَىٰ في (نزهة الألباب، في الذهاب والإقامة والإياب)[١].

(١) المسألة بتمامها كما ذكرها المصنف في(نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب) تحت عنوان: [ما جرى في قوله: النموذج بفتح النون، مثال الشيء معرب، والأنموذج لحن].
فإنه نقل أن العلامة ابن قاسم العبادي أشار في بعض تعليقاته إلى اعتراض عليه وجواب عنه.
حيث قال: والفقهاء يعبرون بالأنموذج فيلزم أن يكون لحنًا فتأمل، انتهى.
وقرر حاصل الاعتراض بأن الفقهاء يعبرون بما ادعى أنه لحن وهم أجل من أن يعبروا بما هو لحن. وقرر حاصل الجواب المشار إليه بتأمل أنهم يراعون في كلامهم تفهيم العامة فلا بأس عليهم إذا استعملوا في تفهيمهم لفظًا هو لحن في نفس الأمر لكنه شائع الاستعمال فيما بينهم دون ما هو الصحيح. بل يجوز أن يخفى عليهم كون اللفظ الفلاني لحنًا. وليس من شرط الفقيه الوقوف على الصحيح الثابت عند العرب في كل لفظ يستعملونه. وجلالتهم تأبى الغلط في استخراج الأحكام لا استعمال لفظ هو لحن عند العرب لكنه شائع عند العوام. وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام عدل عن لغة قريش الفصحى التي نزل بها الكتاب. إلى لغة دونها رعاية لتفهيم من هي لغته من الأعراب. على أن كون الأنموذج لحنًا مما لم يتفق عليه الأجلة. فقد ذكره العلامة أحمد الفيومي في مصباحه المنير من غير تنبيه وجعل النموذج لغة فيه.
فقلت يا سيدي لقد أبدعت في المقال. وهذا غاية ما يخطر بالبال. وكم في القاموس ما هو من هذا القبيل. وأشياء أخر طال فيها ذيل القال والقيل. كدعواه أغلاطًا تسعة في قول الشاعر. الذي استشهد به الجوهري الماهر:

أجاعل أنت بيقورًا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر

وقد بينها الشيخ عبد الرحمن العمادي. ونقلها الفاضل المحبي في تاريخه فقال بعد ذكر البيت وما قبله وهو:

لا دَرّ درُّ أُناس خاب سَعْيُهُمُ ... يَسْتمْطِرونَ لَدَى الأَزْمَاتِ بالعُشَرِ

قد لاح في هذه الألفاظ تسعة أغلاط خطرت بالبال. والله تَعَالَىٰ أعلم بحقيقة الحال.
الأول: إدخال الهمزة على غير محل الإنكار وهو (جاعل) والواجب إدخالها على المسلعة لأنها محل الإنكار نحو (أغير الله أبغي حكما).
الثاني: تقديم المسند أعني (جاعل) على المسند إليه أعني (أنت) الذي هو خلاف الأصل فلا يرتكب إلا لسبب. فكان الواجب تقديم (المسلعة) وإدخال الهمزة عليها وترك التقديم بأن يقال أمسلعة تجعل ذريعة.
الثالث: أن ترتب البيت على ما قبله يقتضي أنه قصد الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قطعًا. وأنه بعد أن حكى حالهم الشنيعة التفت إلى خطابهم ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كأنهم =

= حاضرون يستمعون. وحينئذٍ يكون قد أخطأ في إيراد أحد اللفظين بالجمع والآخر بالإفراد. ولا شك أن شرط الالتفات الاتحاد.

الرابع: إن الجاعلين الذين حكي عنهم في البيت الأول هم العرب في الجاهلية فلا وجه لتخصيص واحد منهم بالإنكار عليه دون البقية. لا يقال هذا الوجه داخل فيما قبله. لأنا نقول هذا وارد مع قطع النظر عن كون الكلام التفاتا أو غير التفات. من حيث أنه نسب أمرًا إلى جماعة ثم خص واحدًا منهم بالإنكار من غير التفات إلى الالتفات أصلًا.

الخامس: تنكير المسند إذ لا وجه له مع تقدم العهد. حيث علم أن مراده بالجاعل هم الأناس المذكورون في البيت الأول. فكان حق الكلام أن يقال أمسلعة أنتم الجاعلون.

السادس: البيقور اسم جمع كما في القاموس. واسم الجمع وإن كان يذكر ويؤنث لكن قال الرضي في بحث العدد ما محصله: (أن اسم الجمع إن كان مختصًا بجمع المذكر كالرهط والنفر والقوم فإنها بمعنى الرجال، فيعطى حكم المذكر في التذكير. فيقال تسعة رهطٍ ولا يقال تسع رهط، كما يقال تسعة رجال ولا يقال تسع رجال. وإن كان مختصًا بالمؤنث فيعطى حكم جمع الإناث نحو ثلاث مخاض لأنها بمعنى حوامل النوق وإن احتملهما كالخيل والإبل والغنم. لأنها تقع على الذكور والإناث. فإن نصصت على أحد المحتملين فإن الاعتبار بذلك النص. انتهى). فقد صرح بأنها إذا استعملت مرادًا بها الذكور تعطى حكم الذكور. وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران. فبهذا الاعتبار لا يسوغ وصف البيقور بالمسلعة.

السابع: إيراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكر والذي يظهر من عبارة صاحب الصحاح اسم للبقرة التي يعلق عليها السلع للاستمطار لا صفة محضة. حيث قال (ومنه المسلعة الخ) ولم يقل ومنه البقرة المسلعة. وقال السيوطي في شرح شواهد المغني نقلًا عن أئمة اللغة أن المسلعة ثيران وحش علق فيها السلع. وحينئذٍ فلا تجري على موصوف. كما أن لفظ الركب اسم لركبان الإبل مشتق من الركوب. ولم يستعمل جاريًا على موصوف. فلا يقال جاءني رجال ركب بل جاءني ركب.

الثامن: إن المنصوص عليه في كتب اللغة أن الذرية بمعنى الوسيلة لا غير. وأن الوسيلة مستعملة في التعدية بإلى. فاستعمل الذريعة فيها بدون (إلى) مع لفظ بين مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليه. وأما اللام في (لك) فإنها للاختصاص فلا دخل لها في التعدية. كما يقال أرسل هذا الكتاب تحفة لك.

التاسع: قوله بين الله والمطر لا معنى له. والصواب بينك وبين الله لأجل المطر. وذلك لأنهم كانوا يشعلون النيران في السلع والعشر المعلقة على الثيران ليرحمهما الله تَعَالَىٰ وينزل المطر =

وسمعت أن أعلم علمائها المفتي سابقا درويش أفندي، وقد أمعنت النظر فيه فثبت [أن أخفش بغداد أعلم منه عندي، نعم هو لدى أهل آمد حبر جليل قد ورث العلم من أجداده أحبار بني إسرائيل][1]، [سلمه السلام كعبد السلام أفندي النائب صورة وسيرة عندي. وعلى العلات هو فاضل، وعالم عاقل][2].

وأما مفتيها اليوم فهو في النجابة سيد القوم، من عصابة هم أعيان مجد يشار إليه بالأصابع، وأقران فضل لا طاعن فيه ولا مدافع، وصدور علم تتجمل بهم صدور المجالس إذا التقت عليهم المجامع.

قد انتظموا في سلك فضل قلادة وكلهم وسطى فناهيك من عقد

وقد أحسن المعاملة معي فيها، ممن ليس من أهاليها، أحمد باشا الشهير بخزندار زاده، فتح الله تعالى له بمفتاح لطفه خزائن السعادة، وقد صح عندي

= لإطفائها عنها. كما تقدم في الكتاب والله تعالى أعلم. انتهى.
وتعقب ذلك المحبي بقوله: (أقول لا يخفى أن ما استخرجه لا يسمى أغاليط. فأجل فكرك فيما هناك تصب المحز انتهى). ولعل العمادي حمل الغلط على ما يشمل خلاف الأولى بناء على أنه في البليغ غلط. فذكر ما ذكر ومع هذا لا يخلو عن بحث.
وقد سئل شيخنا علاء الدين علي أفندي الموصلي عن هذه الأغلاط؛ فأجاب بما وافق بعضه بعض ما ذكر. وبما خالف. وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية). فارجع إليه إن أردته. وهو أيضًا مبني على حمل الغلط على ما سمعت آنفًا. ولا يكاد يسلم وجود أغلاط تسعة في البيت. والغلط بمعناه المتبادر فتأمل وانصف.
ومن مشهور العبارات التي يسأل عنها من عبارات القاموس أيضًا عبارته في الكلام على العِشر والأمر فيهما أسهل من الأمر في الأغلاط. ولعل الرجوع إلى الأقيانوس متكفل بحلها. وقد كتب عليها شيخ مشايخنا العلامة السيد صبغة الله أفندي. لكنه نوقش فيما كتب ولولا خوف الإطالة لذكرت.

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٢) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

أنـه من قـوم سـامتوا بالمفاخـر النجـوم، وتفـردوا بالمآثـر في نواحي طربـزان[١] وصمصوم:

قوم لهم في سماء المجد منزلة ... زهر الكوكب منها النور يقتبس[٢]

من كل أزهر بادي البشر غرته ... كأنها في دياجي ظلمة قبس

ولا تسل عن دفتردارها النجيب وشبله، فأنا شاكر نجابة كل منهما ومزيد فضله، وكذا رسمي أفندي رئيس كتاب المالية، ولعمري لا أستطيع رسم أدبه فضلًا عن حد فضله وشرح الماهية، وقد قبَّل إذ أقبل قدمي مرارًا، مدعيًا أنه نذر ذلك بين أهالي إسلامبول[٣] جهارًا، وقد رأيته كرة فضل محدبها النجابة[٤]،

---

(١) طربزان يعني بها (طرابزون)، وهي: طرابزون Trabizoun (طرابزوس Trapezus) Trebizonde: مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - مركز الولاية واللواء اللذين يحملان الاسم نفسه، على البحر الأسود، يقطنها حوالي ٣٠ ألف نسمة، مركز تجاري هام، مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية، كانت طرابزون إحدى مقاطعات سنوب. تقع على دائرة عرض ٤١,٠٠ وخط طول ٣٩,٤٣.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣٤٥).

(٢) في النسخة المخطوطة (تقتبس).

(٣) إسلامبول: من أسماء استانبول، ويقال في أصل كلمة استانبول إنها كلمة يونانية تتألف من كلمتين Istin وPolin بمعنى نحو المدينة، وقيل إن البيزنطيين حينما تجاوزوا أسوار القسطنطينية وخرجوا لملاقاة العثمانيين وجدوا أنه لا طاقة لهم بملاقاتهم فقالوا Polin Istin أي نحو المدينة أي عودوا وادخلوا المدينة، ومن أسمائها آستانة وبلدة الطيبة ودار الملك، ودار السلطنة والدار العليا وداركاه سلاطين أي عقبة السلاطين في الفارسية وسدة السلطنة أي باب السلطنة ومحروسة قسطنطينية اسمها بالروسية بمعنى مدينة القيصر.
وكان علماء الدين إلى وقت قريب يسموها إسلامبول، وكانت تكتب استامبول على العملة في زمن أحمد الثالث. ويقال إن محمد الفاتح سماها (إسلامبول) بمعنى مدينة الإسلام بعد فتحها.
انظر، حسين مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ٢٤).

(٤) جاء في حاشية المخطوط (كان حَفِظَهُ اللهُ أحدب).

وقوس نُبل نَبلها حليف الإصابة، له عند الدفتردار[1] عريض جاه، لا ترد شفاعته لديـه لمن رجاه وجاه، وفيه محبة عظيمة لأهل البيت، ورعاية حقوق للحي منهم والميت.

[بيد أن شـأنه مع كاتب الوحي كشـأن أكثر كتاب دار الخلافة، ومتى ذكر له ما روى السـلف في حقه أبى إلا خلافه، وقد غار ذلك في أعماق قلبه وغاص، فلا يكاد يخرجه برشا حذقه عمرو بن العاص، نسأل الله تَعَالَىٰ العافية، وقلوبا عما يشين صافية][2].

[نسأل الله تَعَالَىٰ أن يجعله دفتردار الزوراء، لنؤدي له بعض حقوق الإخاء، في هاتيك الأرجاء، وغالب خدمة القلم، لهم حب عظيم لآل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جاء عن نبينا فصل الكمال وجنسـه، أنه لا يؤمن المرء حتى يحب العترة المحمدية أعظم من حبه لنفسه[3]][4].

وأعظـم النـاس [١٥] إينـاسًـا لي في الطريق وآمـد، وها أنا له دون سـائرهم شاكر حامد، من هو كروحي عندي، أبو المحاسن سليمان بك أفندي[5]، ولعمري

(١) دفتردار: في الفارسية بمعنى من يتولى أمر الدفتر، ومعناها كبير المحاسبين وتطلق على من يتولى النظر في صادرات وواردات الدولة، فمهمته مهمة وزير المالية، كما كانت تطلق على من يتولى تدبير الشئون المالية في ولاية من الولايات.

انظر، حسين مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ٦٠).

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٣) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

(٤) ربما يعني الحديث القائل: (أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي) أخرجه الترمذي (٥/٦٦٢، رقم ٣٧٨٦)، وقال: حسن غريب. والطبراني (٣/٦٦، رقم ٢٦٨٠) وابن ماجه، والطبراني عن جابر.

انظر، جلال الدين السيوطي: «جامع الأحاديث»، الحديث رقم (١٠٠٥٦).

(٥) أبو المحاسن سليمان بك: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): والرفيق =

إني لولا أن منَّ الله تَعَالَىٰ به عليّ لقتلني همي، ولا لحقني نصب السـفر بأبي وأمي، وقد كان أسرع من الريح في طاعتي، وأقوى من عفريت الجن في خدمتي، ولا بدع ؛فهو الحائز من صفات الفضل فنونًا شتى، والسالك الطريقة التي لا عوج فيها ولا أمتى [(١)]:

وهـو الـذي نفق الـثنـاء بسوقه وجرى الهدى بعروقه قبل الدم[(٢)]

= الثالث في هذا السفر الحادث (هو سليمان بك) بن ليث الوغا كدخدا بغداد سابقًا الحاج طالب أغا ارتضع در الفضل صغيرًا وتقلد در الأفضال كبيرًا عانى فن الكتابة فمهر في الإنشاء فهو اليوم ينظم الكواكب الدرية في سلك تحريراته التركية إن شاء...

ومع ذا إذا نظم أبدع وإذا تفتق نور شعره فالحسن بين مرصع ومصرع وينضم إلى ذلك لين جانب ورعاية صاحب وكرم أخلاق وحسن وفاق.

فهو الذي اجتهد في طلب الكمال ففاق وقلد بدور الأفضال سائر الأعناق فيا له من مجتهد مقلد ومسددٍ مسدد ما صحب ذا عقل من الوزراء إلا كان مقدم حزبه والمستولي على سمعه وبصره وقلبه كل ذلك لعلو همته ومزيد صدقه في خدمته لا يترك وإن ضاقت لسعة غائلته الأوقات الاشتغال بما عين له من النفي والإثبات ويميل في الاعتقاديات إلى مذهب الحلف وكم له في ذلك الميل من سلف ولا يرى في العمليات غير تقليد الإمام الأعظم وتعظيم سائر أئمة الدين عنده أمر ملتزم فكلهم درر مستجاده إلا أن الإمام الأعظم واسطة المقلادة...

وأبو هذا المترجم حَفِظَهُ ٱللَّهُ من كل ألم كان حسن السياسة ذا عفة وكياسة وكان محبًا للعلماء ومحبوبًا لجميع أهل الزوراء وهو من موالي حضرة الوزير أبي الوزراء سليمان باشا الكبير...

(١) تضمين لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

(٢) قال العماد الأصبهاني في خريدة القصر: طالعت ديوان ابن حيوس فوجدت له في شرف الدولة قصيدة يمدحه بها حين فتح حلب وعلّقتُ منها حيث استحسنتها:

ما أدرك الطَّلِبات مِثلُ مُصَمِّمٍ إنْ أقدمتْ أعداؤه لم يُحْجِمِ
تَـرَكَ الهُوَيْنا للضعيفِ مَطِيّةً مَن بَطْشُه كقِراه ليس بمُعْتِمِ

ومنها:

لاَرَاعَتِ الأَيَّامُ مَنْ بِفِنائِهِ كنز الفقير وعصمة المستعصم
أنتَ الَّذي نفقَ الثَّناءُ بسوقهِ وجرى النَّدى بعروقهِ قبلَ الدَّمِ

=

بل أعود فأقول، غير مبال بحسود أو جهول:

لا أبصرت مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت مثله حسنا[١]

أسأل الله تَعَالَىٰ ذا العرش العظيم أن يسير له بلقيس أمنيته، وأن يختم سُبْحَانَهُ بخاتم القبول على صحائف طاعته، ولم أقل ما قلت مداهنة له، أو طلبًا لأن استزيد بذلك فضله، بل رأيت نجابة ذات فذكرتها، ودرر صفات فنشرتها، ولو أني كنت أحسست منه بمعاملة معي وخيمة، ولم يرد عني ما عودته مع الأخلاء وإن أخلوا بحقي من رعاية الحقوق القديمة، لسلقته بلسان قلم أسود ينضنض كما ينضنض لسان الأفعى، ويتقاطر منه سم تهتري منه أبدان الأسود وهي حية تسعى:

فإني إن لم أذكر المرء بالذي يعاملني إن جيدًا أو مذمما

= وَتَحَقَّقَ الأَمْلَاكُ طُرًّا أَنَّهَا إنْ لمْ تسالمْ ملكهُ لمْ تسلم

وحكى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أنشدنا أبو القاسم علي بن إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال: أخذ الأمير أبو الفتيان بن حيوس بيدي ونحن بحلب وقال: أروعني هذا البيت وهو في شرف الدولة مسلم بن قريش:

أنت الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت في غاية المدح؛ وقد تقدم في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي ذكر الأبيات النونية، وكونها منسوبة إليه، وهي موجودة في ديوان ابن حيوس المذكور، والله أعلم بجلية الحال فيها.

انظر، العماد الأصبهاني: «خريدة القصر وجريدة العصر»، (١٢/٢)؛ العباسي: «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص»، (ص: ٢٢٨)؛ ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، (٤٤٣/٤).

(١) البيتان للسيد محمد بن عمر العرضي، قالهما في شريف، يدعى بالحسن:

في دَعَةِ الله إن ظعْنت وخلَّفْ تُ شريفًا يا ليته ظَعَنَا

فرَّق بيني وبينه زمنٌ لَا يْنتُه وهْو لم يزل خشِنَا

لا أبصرتْ مُقلتي محاسنُه إن كنتُ أبصرتُ بعده حَسَنَا

انظر، المحبي: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» (٢٨٩/١).

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما[١]

ولله تَعَالَىٰ الحمد على أن لم يقع من ذلك الأخ، ما يتوقع منه أن أقول بلساني أو قلمي أخ.

■■■

(١) البيتان عزاهما القالي إلى أبي العالية الرّياحي.
انظر، أبو علي القالي: «الأمالي» (١/٢٠٥).

حضرة أفندينا محمد حمدي باشا

وفي آخر رجب الأصب، شرب القلم بفم السمع ما أحب، حيث أتاني رسول من حضرة واحد الوزراء على الإطلاق، والثاني ركبته على منصة مكارم الأخلاق، [حضرة][(١)] أفندينا محمد حمدي باشا[(٢)]، زادنا الله تَعَالَىٰ بانتعاشه انتعاشًا،

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

(٢) محمد حمدي باشا: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة غرائب الاغتراب: ومحمد حمدي باشا هو رجل من رجال إسلامبول. ولد على أيدي قوابل الاعتبار والقبول. وارتضع لبان المجد. وامتهد حجور السعد. حتى ترعرع وبرع. وورد منهل المجرة وشرع. وفاق الأقران. وزاحم منكبه كيوان. فهو اليوم لا يجارى بكرم. ولا يبارى بمحاسن شيم. ذو وفاء وافي. وطبع من كل غش صافي.

ورد بغداد في معية حضرة فاتحة قرآن العرفاء. وخاتمة قرون الوزراء (علي رضا باشا) كان له رضي مولاه سُبْحَانَهُ غطاءًا وفراشًا. فنلت إذ ذاك تفضله. ورقيت إلى ما رقيت بإخلاصي له. فأنا ربيب نعمته. وغرس أيادي أياديه وهمته.

وبقي في بغداد مدة مديدة. وأعوامًا على عامة أهل وداده سعيدة. وهو في جميع تلك المدة بدر سماء وزارة ذلك الوزير. ونجمها الذي يهتدي به في ليل المشكلات ذلك المشير. وكان عليه الرحمة وهو المهاب يهابه. ويهوله وهو البحر الخضم عبابه. ثم رجع لأمرٍ ما إلى الأستانة العلية. فخطبته حوراء الوزارة البهية...

وقد تشرفت بولايته عدة أيالات. وما انفصل من أيالة إلا واصل أهلها البكاء لما أضحكهم من أياديه السالفات. وكان بينه وبين المرحوم (علي رضا باشا) قرابة سببية. وكانت أقوى من كثير من القرابة النسبية. وذلك أنه كان متزوجًا بخالته. ولذا اتحدت حالته بحالته. وكان هو متزوجًا ببنت درويش باشا الصدر الأعظم. وبعد وفاته خرجت عليه الصدور فصودر بما الله تَعَالَىٰ بمقداره أعلم.

وكان أبوه رئيس وزراء العساكر البحرية. وكان داهية دهما مع ديانة وأياديه البيض أدهمية. وهو زاده الله تَعَالَىٰ في الآخرة انتعاشًا. مشهور في البر والبحر بسيدي علي باشا. وسبب ذلك أنه كان واليًا في الجزائر. وكان يجلب بملاطفته قلوب أهلها الأكابر والأصاغر. فكانوا يخاطبونه على وجه التعظيم بسيدي بالتخفيف. وكذا كانت عادتهم في خطاب كل جليل شريف. فاشتهر بذاك. من بين وزراء الأتراك. تغمده الله تَعَالَىٰ برحمته...

=

ومعه كتاب مختوم، يستدعيني به إلى أرزن الروم، فملئت فرحًا، وبت كأني لم أعانِ ترحًا.

ولما ولى الليل بسوط الفجر طريدًا، ولبس الجو فرحا من أبيض الضياء برودًا[١٦]

ودَّعنا آمد وخرجنا من مضايقها، وقد شيعنا أكثر من كرمت [خلائقه من خلائقها][١]، وأظهروا من جزع الفراق، نحو ما أظهر شيعتنا من سنة أهل العراق، وعند دجلة الخير مما جرى من العيون، وتصاعد من الزفرات حتى نكسته على أخدود الخدود الجفون.

■■■

= أسأل الله تَعَالَىٰ أن يعطيه سؤله. ويبلغه عن قريب مأموله. ويوالي مواليه. ويعادي سُبْحَانَهُ معاديه.

(١) في النسخة المطبوعة (خلايقه من خلايقها) وقد اعتاد في المطبوعة تسهيل الهمزة.

مصطفى بك

ولقد قلدني هناك شمامة أهل العراق، ومن وقع على عراقته في المجد الاتفاق، الحبيب الذي لم يزل خياله إذا غاب معي، أخي أبو المفاخر مصطفى بك أفندي الربعي[(١)]، درر دموع نظامها الغرام، ونظامها وُدٌّ شبَّ حتى اكتهل في مدينة السلام، وما شاهدت من شفقته منذ خرجت من العراق، مثل ما شاهدت منها ونحن على شفا جرف الفراق، ولا بدع ؛ فالمسافر تتوارد عليه حالات، وفرق بين وقت الفراق وسائر الأوقات.

■■■

(١) أبو المفاخر مصطفى بك أفندي الربعي: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): والرفيق الثاني الذي التمسته وأدركت منه اللطف من قبل وآنسته، أخي الذي لم أزل معه ولم يزل معي جناب مصطفى بك أفندي الربعي، وهو من قوم كانوا في بغداد أعيان مجد يشار إليه بالأصابع وأقران فضل لا طاعن فيه ولا مدافع.

إذا ركبوا زانوا المواكب هيبة وإن جلسوا كانوا صدور المجالس

صار أبوه (علي بك) في بغداد قائمقام واليها سليمان باشا الكبير وكان عند الوالي المشار إليه ذا قدر على خطير ونصبه بعد متسلما في ماردين وهناك تسلمت الملائكة روحه فعرجوا بها إلى عليين وهو ابن عبد الله بك بن محمد أفندي دفتردار بغداد المحمية وقد ورد دفتردار إليها من جانب الدولة العلية وهو ابن علي باشا كان واليًا في الحدباء أتاها من قبل الدولة سنة خمس وتسعين بعد الألف وحكم فيها ثلاث سنين على ما ذكره العمري في كتابه منهل الأولياء وذكر فيه أيضًا قصة غريبة لهذا المرحوم ونص على أن اسم أبيه عليه الرحمة قدوم وذريته تنكر ذلك الكلام وترفع رأسها إلى بعض الصدور العظام وتقول أن ذلك الصدر كان من رؤوس ربيعة وأنه كان صدرًا عند حضرة السلطان مراد يوم جاء إلى بغداد فنال بفتحها الفخر جميعه وقد فاز عند الفتح بالشهادة وحاز بالرفع إلى عليين أعلى مراتب السعادة...

علي برداغ

ثم إنا لم نزل نسير بين وعر يسير، ومعنا من الضبطية[١] أربعة نفرات، حتى وصلنا إلى قرية تسمى علي برداغ بعد خمس ساعات، ونزلنا عند رجل يسمى عمر أغا[٢]، فأسرع في خدمتنا ونغى[٣]، وبيوتها في غاية القلة، يعدها إنسان العين بأول وهلة.

■■■

(١) الضبطية: قوة الشرطة التي يعهد إليها القيام بالخدمة ضمن مراكز الأقضية لتبليغ المذكرات الإدارية والعدلية ولمساعدة مشايخ القرى في جباية الأموال الأميرية.
انظر، لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ٢٠٢).

(٢) آغا Aga: مصطلح من أصل فارسي، ويعني «السيد»، وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة؛ منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الانكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة. ومنها أيضًا صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللقب مهمًا للغاية في عهود القوة والنفوذ.
وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح يطلق على الإنسان الكريم صاحب المكانة العالية، وصاحب الفضيلة، كما كان يدل في الوقت ذاته على التكبر والتفاخر، ويذكر أن هذه الكلمة محرفة من كلمة «آقا» المغولية - وقيل الفارسية - المستخدمة صفة للعلماء.

(٣) نغي: النَّغْيَةُ مثل النَّغمة وقيل النَّغْية ما يُعْجِبك من صوت أَو كلام وسمعت نَغْيةً من كذا وكذا أَي شيئًا من خبر.
انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

طوزله

ولما وهى نطاق الجوزاء، وانطفى قنديل الثريا من قبة السماء.

سـرنا جملة، ولم ننزل إلا في قرية تسمى طوزله[1]، وبتنا عند رجل يقال له بكر أغا، فكل ما ابتغيناه منه تيسر وانبغى، وفيها مملحة مليحة، تحكي حياضها وجوهًا صبيحة.

■■■

(١) طوزله: ذكر موستراس في المعجم الجغرافي عدة مدن باسم طوزله، إحداها في قبرص والأخرى في البوسنة، ولعل أقربها إلى المقصود هو طوزله صويي Touzla - Sougoa: نهر في تركية الآسيوية، يخرج من منطقة جبلية تشكلها تشعبات ديكلي طاغ ويصب في الأرخبيل، وينبع هذا النهر جنوب مدينة بيرميش، ثم يسير جنوبًا فغربًا حتى يصب في البحر المتوسط بعد أن يمر بمدينة طوزله التركية (الحالية)، كما أن هناك نهر آخر في تركية الآسيوية يسمى طوزله، يقع غرب مدينة أرضروم على دائرة العرض ٣٩,٤٣ وخط الطول ٤٠,١٨.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣٥٤ - ٣٥٥).

يخكيك

ولما انحلت عن صدر غانية الشمس الأزرار، واختلط في كأس الجو مسك الليل بكافور النهار.

سـرنا حتى أتينا قرية تسمى يخكيك، فبتنا فيها ولولا الضرورة لا يبات فيهـا إلا ذو عقل ركيك، وأجزت هناك بعض الطلبة، بعد الاقـتراح الكثير بورد أعجبه.

■■■

جبقجول

ولما غصت بابتلاع النجوم أفواه المغارب، وشمطت من الليل المهموم سود الذوائب.

عبرنا من عند الفرات بكلاك[1]، لا تكاد تعبر فيها إلا الجن أو الأملاك، ثم لم نزل نسير، ورشح سقاء السحاب علينا كثير[١٧]، فلم يبق لنا ثوب غير مبلول، حتى أتينا قرية يقال لها جبقجول[2]، فنزلنا في بيت سليمان بك المدير، وهو لعمري كرة نجابة على محور العقل تستدير، وقد أرسل لملاقاتي من نحو فرسخين شبله، ومعه غير واحد من أتباعه وخاصته الأجلة، وبتنا على فراش مسره، حول ماء جار وخضرة.

■ ■ ■

(١) الكلك: مركب يركب في نهر العراق ويعرف بالطوف أيضًا، فارسيته كلك، وأصل معناه القصب، وأما الطوف فمعرب عن السريانية.
انظر، أدي شير: «الألفاظ الفارسية المعربة».

(٢) ربما يعني بها بلدة جابا قجور Capakcur (بنكول Bingol): مركز أحد الألوية في إيالة ديار بكر، راتب أميرها ٣٧٠ ألف أقجة، ومخصصاته أربعة ملايين أقجة، يسكن في هذا اللواء نحو مئتا ألف من العشائر الرحل، معهم حوالي مليون رأس من أغنامهم.
انظر، يلماز أوزتونا: «تاريخ الدولة العثمانية»، (٢/٧٦٨ - ٧٦٩).

[برخين]

ولما طرز قميص الليل بغرة الصباح، وتهادت غانية الشمس بثوبها المعصفر تهادى الرداح.

سرنا إثر ما أكلنا، ولم نزل نسير، حتى أعيانا المسير، وصرنا من فرط النصب مسترخين، فنزلنا للاستراحة في قرية يقال لها برخين، وهي فيما يتخيله البصر أقرب أرض إلى السماء، وأبعدها من مستقر الماء، تكاد من علاها تغرف من حوض الغمام، أو تشرب من نهر المجرة إن عراها أوام.

■■■

أغنوت

وبعد ساعة فارقنا البيوت، ولم نزل نسير حتى نزلنا قرية يقال لها أغنوت، حيطانها خصاص، وبيوتها أقفاص، وماؤها طين، وترابها سرجين[١].

ولولا الضرورة لم آتها ... وعند الضرورة آتى الكنيفا[٢]

وبتنا عند رجل يسمى محمد حسين، فكنا عنده بمنزلة السمع والعين.

■■■

(١) (السِّرْجِينُ) الزبل كلمة أعجمية وأصلها سركين بالكاف فعربت إلى الجيم والقاف فيقال سرقين أيضا وعن الأصمعي لا أدري كيف أقوله وإنما أقول روث وإنما كسر أوله لموافقة الأبنية العربية ولا يجوز الفتح لفقد فعلين بالفتح على أنه قال في المحكم (سِرْجِينٌ) و(سَرْجِينٌ).
وتسميد الأرض: أن يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد.
انظر، الفيومي: «المصباح المنير»، (١/٢٧٣)؛ ابن منظور: «لسان العرب»، (٣/٢٢٠).

(٢) البيت عزاه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز، وكذلك في المنتحل، لعلي بن محمد البسامي، قوله في عبيد الله بن سليمان الوزير، وربما في أبيه:

بلوت أبا جعفر مدة ... فألفيت منه بخيلاً سخيفا
ولولا الضرورة لم آته ... وعند الضرورة آتي الكنيفا

وعزاه آخرون للبحتري.
انظر، الثعالبي: «الإعجاز والإيجاز»، (ص: ٦٦)؛ الثعالبي: «المنتحل»، (ص: ٣٧).

خمران

ولما خلع الليل ثيابه، وأماط الصبح نقابه.

سرنا في مسالك وعرة، لا تكاد تسلك بالمرة، ولم نزل نسير بين وابل وتهتان، حتى أتينا قرية يقال لها خمران، وهي قرية ضيقة الرقعة، كريهة البقعة، حشوشها مسايل، وطرقها مزابل، محصورة بين الشعاب، ولها من الجبال المحيطة بها نقاب.

ولما حللنا فيها، لم نر أحدًا من أهاليها، فقلت للمكاري هل عَمَّ أهل هذه القرية قضاء ؟ فقال: لا، ولكنهم في مثل هذا الفصل يخرجون إلى الفضاء(١).

فبتنا في أحد بيوتها الخالية، بحالة - والعياذ بالله تَعَالَى - غير حالية، حتى أنه استولى عليّ الوهم، فما غمض جفني ولا هم.

---

(١) ذكر خورشيد باشا في رحلته عادات بعض هاتيك المناطق في الانتقال للرعي في بعض الفصول ثم العودة لمناطقه وزراعتها في فصول أخرى، حتى لو كانت هذه المراعي خارج حدود الدولة، يقول: (... وتنتقل تلك الطوائف في فصل الشتاء وفصل الربيع، ففي فصل الشتاء ينتقلون إلى مناطق مختلفة مثل سواحل نهر سيروان الذي ذكرناه سابقا، وقضاء (قرة طاغ) التابعة للسليمانية، وأيضا ناحية زنكبار التي تتبع بغداد، وناحيتا (قورة تو) و(شيخان) الملحقتان بزهاب. أما في بداية فصل الربيع فيبدءون في الانتقال من تلك الأماكن ويذهبون إلى صحراء شهر زور ليرعون حيواناتهم بها. وتظل هذه الطوائف مقيمة في صحراء شهر زور لمدة عشرين أو ثلاثين يوما، ثم ينتقلون منها إلى ارض (سنه) أو أرض (سنندج) التابعة للأراضي الإيرانية، ويقيمون بها حتى قدوم فصل الصيف، وعندما يعودون إلى شهر زور يمكثون في طريقها لعدة أيام وعندما يقترب فصل الشتاء يذهبون إلى مراعيهم الشتوية، وتلك الطوائف تمتلك بعض المزارع في صحراء شهر زور يقومون بزراعتها وحرثها...).
انظر، خورشيد باشا: «سياحة نامهء حدود» (رحلة خورشيد باشا ١٨٤٣م - ١٨٤٧م)، طبعة استانبول عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، (ص: ٢٥١).

[قرة شيخ]

ولما تقوس من شيخ الليل الظهر، واحتاج – من مزيد هرمه – إلى استعارة عصى من شاب الفجر.

قمنا جياعًا [١٨] وسرنا سراعًا، وبينما نحن نسير في وعر غير يسير، لبست السماء أدكن جلبابها، واحتجبت الشمس في سرادق سحابها، وزأرت أسد الرعد، ولمعت سيوف البرق كثنايا دعد(١)، فابتل في قفص الجو جناح الهواء، وجعل طائره بعد سويعة يسبح في طين وماء، ولم يتغير من ذلك لنا كيف، وقلنا إنها غمامة صيف، حتى إذا صار المزاح جَدًا، وحاك مكوك البرق لي بُردًا، جعل سداه ولحمته ماءًا وبردًا، لاحت لنا قرية يقال لها – سوّد الله تَعَالَىٰ وجوه أهلها – قره شيخ، فأسرعنا إليها، ولحسن الظن في أعماق أذهاننا سيخ(٢)، حتى إذا أوتنا تربتها، طردنا – طرده الله تَعَالَىٰ من رحمته – كهيتُها(٣)، فأخبرناه بما

---

(١) دعد اسم امرأة، وهو اسم مشهور متداول كثيرا في كتب اللغة والنحو، وفي أشعار الغزل والنسيب:

كقولهم:

لم تَتَلَفَّعْ بفضل مِئْزَرِها ... دَعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ بالعُلَبِ

وقولهم:

فساروا فأما حَيُّ جُمْلٍ ففَرَّعوا ... جميعًا وأما حَيُّ دَعْد فصَعَّدوا

وقولهم:

أهيمُ بدعد ما حييت فإن أمتْ ... فلا صلحت دعدٌ لذي خلَّة بعدي

(٢) أي: رسوخ [منه].

(٣) كيخيا kahya: وهو أيضا الكتخدا kethuda: ويعني صاحب البيت أو رب البيت، وهو في الأصل فارسي، وقد اصطلح على استخدامه لمن يعمل نائبا أو قائما بالأعمال. وكان يطلق في البداية على من يشرفون على أعمال رجالات الدولة أو الوزراء، ومن ينوبون عنهم، ثم شاعت لتطلق في معناها الواسع على مديري الأعمال أو المشرفين العاملين في معية الكبار، المعتمدين =

معنا من أمر عبدي باشا، فضحك على عقولنا كأنه أعطى من علم الغيب بحاله ما شا[1]، فقلنا له نعطيك ما شئت من الأجر، فقال معاذ الله تَعَالَى أن أقبل شيئًا من ذرة إلى درة، اذهبوا عني قبل أن تروا ما تكرهون مني.

■■■

= عليهم في إدارة الأمور الخاصة. وقد استخدم الاسم في الدولة مضافا إلى الدائرة التي يتبعها الشخص. فقيل كتخدا الخزينة، أو كتخدا الصدارة... إلخ. وقد حرفت الكلمة او تم تتريكها إلى كيخيا.

انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ١٨٨).

(١) والصحيح (ما شاء) على عادته في تسهيل الهمزة، وهي هنا لمراعاة السجع.

داشخور

ففوضنا الأمر إلى مدبر الأمور، وسـرنا إلى قرية يقال لها داشخور؛ فبتنا في مسجد فيها كمفحص القطا[١]، فكان سقفه بدل ثيابنا المبتلة غطا:

ولما رأينا الصبح يخلط في الدجى   شجاعة مقدام بجبن هيوب
وحاكى سواد الليل في ضوء صبحه   سواد شباب في بياض مشيب[٢]

■■■

(١) يشير إلى الحديث النبوي، عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: من بنى مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة قلت يا رسول الله وهذه المساجد التي في طريق مكة؟ قال: وهذه المساجد التي في طريق مكة.
والقطاة: نوع من اليمام، ومفحص القطاة: موضعها الذي تجثم فيه وتبيض.
أخرجه ابن أبي شيبة (١/٢٧٥، رقم ٣١٥٩)، وابن عساكر (٢/٢٨٨).
انظر، جلال الدين السيوطي: «جامع الأحاديث»، الحديث رقم (٤٣٤٥٤)، و«كنز العمال» (٢٣٠٧٧).

(٢) البيتان من قصيدة علي بن محمد الكوفي التي مطلعها:
مَتَى أرتَجي يومًا شِفَاءً من الضَّنا   إذا كان جَانِيهِ عليَّ طبيبي
ومنها أيضًا:
كأَنَّ التي حولَ المجرَّةِ أوردَتْ   لتَكرع في ماء هناك صَبيبِ
كأنّ رسولَ الصُّبح يخلطُ في الدُّجى   شجاعةَ مِقْدامٍ بجُبْنِ هَيُوبِ
كأنّ اخضِرَار البَحرِ صَرْحٌ ممرَّدٌ   وَفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقُوبِ
كأنّ سوادَ الليلِ في ضوءِ صُبْحِه   سوادُ شبابٍ في بياض مَشِيبِ
كأنَّ نذيرَ الشمسِ يحكي ببشْرِه   عليّ بن داود أخِي ونسيبي
انظر، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: «زهر الآداب وثمر الألباب»، (٢/١٤٩).

أرزن الروم

سـرنا حتى دخلنا أرزن الروم(١)، وقد نبذنا وراء ظهورنا -والحمد لله تَعَالَىٰ- الغموم والهموم، وكان مسيرنا فيما بين القرى من المسافات، بين ثمان وتسع ساعات، وربما سرنا من مطلع الفلق إلى مجمع الغسق، وكم سرنا خلال جبال شمخت كأنها تريد أن تعانق بيت العزة، وجسمت كأنها تزعم أنها تمتنع بذالك عن الهزة، وفي أودية اعتنقت أشجارها، وتغنت أطيارها، وتنوعت أزهارها، واطردت أنهارها، وربما سرنا على مناطق جبال تحكي الصراط دقه، ولعل عبور

(١) أرزن الروم: فصّل المؤلف القول في جغرافيتها في كتابه غرائب الاغتراب فقال: (أرزن الروم) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة وبعدها نون وهي مضافة إلى الروم بلدة من الخامس من أرمينية وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق وفي شرقها وشمالها منبع الفرات ذات قلعة حصينة في الجملة ودور ظريفة وجوامع جليلة جيدة الهواء شديدة الشتاء وهو فيها ثمانية أشهر. ومن الناس من يقول امتداد شتائها كامتداد صيف بغداد. وأهلها على ما في التقريبات تسعة وسبعون ألفًا. وقال بعض المعاصرين من الجغرافيين أنهم يزيدون على مائة ألف وطولها على ما في الأطوال (سط) وعرضها (ما) وفي الرسم طولها (مو) وعرضها (لطية) وقال ابن سعيد طولها (سد) وعرضها ميل) وفي بعض كتب الجغرافيا لبعض المعاصرين طولها (نطيا) وعرضها (مرا) وأيضًا الصحيح (وفاتحها) عياض بن غنم الأشعري أرسله أبو عبيدة بعد أن فتح الشامات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه سنة عشرين بعد الهجرة وهو الذي فتح أيضًا بلاد الأكراد وسعرد وبدليس وما حولها والناس اليوم يسمونها أرضروم وأرزروم والأصل ما ذكرناه كما في القاموس وغير كتاب من كتب الجغرافيا. وبالإضافة إلى الروم تميزت عن أرزن غير مضافة فإنها من آخر الرابع من أطراف أرمينية عن خلاط ثلاثة أيام وطولها على ما في الأطوال (سه) وعرضها (لح) وقال ابن سعيد طولها (سو) وعرضها (لطى) ولم يتعرض لها المعاصر لأنها خراب وغير مشهورة ومثلها في الخرابية خلاط المشهورة بين العوام بأخلاط فهي اليوم يتجاوب في نواحيها اليوم وتتناوح في أراجيها الريح السموم. يستوحش فيها الأنيس. ويرثى لمصابها إبليس. ويوشك أن يساويها غيرها في ذلك. لعظم ما قد حل من البلاء لسوء معاملة المأمورين في أكثر الممالك. وفي بعض الكتب أن أرزن الروم كانت تسمى قاليقلا، فليراجع.

المؤمن عليه دون السير عليها في المشقة [١٩]، وبينها وبين الحضيض بُعد بعيد، وعرض عريض، وكم همَّ فرسي أن يمد إلى الأرض رجله ويذهب، فناديته: ويحك، مد يدك إلى السماء فهي أقرب.

وتفصيل حال هاتيك المناطق والجبال، مما تضيق عنه مناطق المقال، ولا تتسع له دوائر الخيال:

مرام شط مرمى العقل فيه ودون مداه بيد لا تبيد(١)

■■■

(١) البيت منسوب لابن حيوس، مع اختلاف في لفظة واحدة، في قصيدة مطلعها:

ليهنكَ ما أنالتكَ الجدودُ وَأنَّ الدهرَ يفعلُ ما تريدُ

مرامٌ شطَّ مرمى العزم فيهِ فَدُونَ مَدَاهُ بيدٌ لاَ تَبيدُ

وَأَمْرٌ قُمْتَ فِيهِ بِلاَ ظَهِيرٍ وَأَهْلُ الأَرْضِ مِنْ فَشَلٍ قُعُودُ

وقد استشهد به ابن الجوزي في كتابه (المدهش) دون أن يعزوه لأحد.

حضرة أفندينا حمدي باشا

وساعة دخلنا أرزن الروم، واجهنا حضرة وزير تسامت أقدام هممه هام النجوم، أعني أفندينا المشار إليه (حضرة أفندينا حمدي باشا)، لا زالت سحائب الحمد من جميع الناس منهلة عليه، فليتك شاهدت كيف صنع، وماذا وضع وماذا رفع، فلسان القلم قصير عن البيان، على أنه ليس الخبر كالعيان[١].

ثم إنه أنزلني في منزل عبد الله أفندي جنت زاده[٢]، لما أن نزوله نفسه فيه بعد يومين كان قصده ومراده، وهذا الرجل أجلَّ وجوه البلد من كل الوجوه، لا يخيب أصلًا من يقصده في مهم ويرجوه، ذو خلق ألطف من نسمات الأسحار في الزوراء، وديانة هو فيها بين أمثاله أصلب - على ما نسمع - من الصخرة الصماء، وكان من قبل قاضيًا فيها، وهو الآن مرجع أدانيها وأعاليها.

ومنزله يحكي الجنة، إلا أن شغل المقيمين فيه إقامة الفرض والسنة، مشتمل على حجر لم يحجر عنها من الحسن شي، وحوض كبير لو شرب من نميره القاضي التنوخي[٣] لاستغنى به عن ميّ[٤]، ويشرف على بستان أشرف

---

(١) بكسر العين، والعِيان: المعاينة، والرؤية، والمشاهدة بالعَين.

(٢) توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحج سنة ١٢٦٩. [منه].

(٣) إبراهيم التنوخي (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣٢م): إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي. فقيه مالكي، كان بارعًا في الفقه وأصوله، والعربية والحديث. من مؤلفاته: كتاب التنبيه، ويظهر في هذا الكتاب أن أبا طاهر كان يترفع عن التقليد إلى الاجتهاد، فقد كان يستنبط أحكام الفروع من قواعد الأصول، وله كتاب الأنوار البديعة إلى أسرار الشريعة؛ وكتاب التذهيب على التهذيب.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(٤) ميّ اسم امرأة، وهو اسم مشهور متداول في أشعار العرب في الغزل والنسيب، كقولهم:

لقدْ بكرَّتْ ميٌّ عليَّ تلومني ... تقولُ ألا أهلكتَ منْ أنتَ عائلُه

=

مما يزعمونه من إرم، إلا أن أطيارها غربان تنعب لا بلابل تترنم، وكذا أطيار جميع البلد، ولا يتشاءم منها هناك أحد، فكأن الشؤم عندهم إنما هو في الجِمال، كما يشعر به كلام عرف الراهب حيث قال:

غلط الذين رأيتهم بجهالة ... يلحون كلهم غرابًا ينعق

ما الذنب إلا للأباعر أنها ... مما يشتت جمعهم ويفرق[1]

وعندما ألقيت هناك عصى التسيار، وطاب لي المثوى وقر القرار [٢٠]، وجاءني العلماء والوجوه وفدًا وفدًا، واجتمع لرؤيتي من الناس جمع كثرة لا أستطيع لمفرداته عدا، وكنت بينهم - وأبيك - كخال الكعبة المكرمة، ما فاز به طائف من المسلمين إلا عظَّمه ولثمه، وجعلت أرسف بقيود من شفاه، وأتوكأ على عصي أيدٍ وجباه، وأجاذب غالب زواري فاضل إزاري.

وفي اليوم الثاني أقسم عليّ قسم العلماء بمنزل السبع المثاني، في إقراء جمع

= وقولهم:

أمَنْزِلَتي مَيٍّ سلامٌ عليْكما ... هلِ الأزْمُنُ اللاتي مضَيْن رواجعُ

وقولهم:

يا ميَّ أسقاكِ البريق الوامضُ ... والدِّيَمُ الغادية الفضافضُ

(١) روى المرتضى الزَّبيدي في «تاج العروس من جواهر القاموس»، قال رؤبَة: «... ما يُضَافُ إلَيْه الغُرَابُ ويُضَافُ إلَى الغُرَاب والأَبْيَاتُ في غُرَاب البَيْنِ كَثيرَةٌ مُلئت بها الدَّفَاتِر وإنَّمَا الكلامُ فيما حَقَّقه العَلاَّمَة الكَبِير قَاضِي غَرْنَاطَةَ أَبو عَبْدِ اللهِ الشَّرِيفُ الغَرْنَاطِيّ في شَرْحه الحَافِل على مَقْصُورَة الإمام حَازِم وصرّح بأَنَّ غُرَاب البَيْنِ في الحقيقَة إنَّمَا هو الإبِلُ التي تَنْقُلُهم مِنْ بِلاد إلى بِلاَد. وأَنْشَدَ في ذلك مَقَاطِيعَ مِنْهَا:

غَلِطَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُم بجَهَالَة ... يَلْحَون كُلُّهمُ غُرابًا يَنْعَقُ

ما الذَّنْب إلّا للأَباعر إنَّها ... مِمَّا يُشَتِّتُ جمْعَهمْ ويُفَرِّقُ

إنَّ الغُرَابَ بيُمْنِه تَدْنُو النَّوَى ... وتُشَتِّتُ الشملَ الجَمِيعَ الأَيْنُقُ

المرتضى الزَّبيدي: «تاج العروس»، (٤/٢٧٥).

منهم شيئًا من أنوار التنزيل[(١)]، أو من روح المعاني، فقلت والله تعالى العالم، لقد كلَّت مني المدارك مذ غابت عني من الأوطان المعالم، فلا أستطيع كشفًا عن حقيقة، ولا تبيانًا لدقيقة، فتوسلوا بمن غدا -بإذن الله تَعَالَىٰ- كشافًا للغيوم والغموم، وفخرًا لوزراء ديار العرب والترك والروم، حضرة الوزير السابق ذكره، لا زال فوق النيرات قدره، فأشار إليّ واقترح عليّ، فلم أر بحال، بدًا من الامتثال، فاجتمعوا محلقين، وفي رعاية الأدب غير مقصرين؛ فأقرأتهم من أول سورة النبأ في تفسير القاضي[(٢)] أربع آيات في عشر أيام، والمعني بالخطاب من بينهم رجب أفندي وعمر أفندي وكلٌّ من المدرسين الكرام.

وقرءا عليّ أيضًا عقد الشيخ الجليل، شيخ مشايخنا الشاميين الشيخ إسماعيل[(٣)]، ثم أجزتهما بما تجوز لي روايته، وصحت لديّ درايته، وكتبت

(١) يعني تفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي ناصر الدين البيضاوي.

(٢) ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٩١هـ/١٢٩٢م): ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد. قاضٍ وإمام مبرِّز من بلاد فارس. تولى قضاء شيراز، وكان صالحًا متعبدًا، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، وأبرزها المنهاج الوجيز في أصول الفقه، وتفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لخصه من تفسيري الزمخشري والرازي وأضاف إليهما ملاحظات في مواضع كثيرة. ولد البيضاوي في مدينة البيضاء قرب شيراز. ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. توفي في تبريز.
انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(٣) أبو الفداء العجلوني (١٠٨٧ - ١١٦٢هـ / ١٦٧٦ -١٧٤٨م): أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الجراحي، العجلوني، الدمشقي، الشافعي. محدّث الشام وعالمها الزاهد، مؤرِّخ، محدِّث مفسِّر، نحوي.
ولد بعجلون (في الأردن حاليًا) ونشأ بدمشق، وأخذ عن أبي المواهب الحنبلي ونجم الدين الرملي وإلياس الكردي وغيرهم، وأجازه النابلسي وغيره.
أخذ عنه أحمد بن عبيد العطّار ومحمد بن سعيد السويدي وزاهد الرومي وغيرهم. له عدة مصنفات منها: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ =

إجازة لهما، لما حققت فضلهما، ثم عُقد مجلس لقراءتها على الوجه المعروف عند الخاص والعام، وصُنعت ضيافة لا أظن يُصنع مثلها في غير دار السلام، فقرأت الإجازة بنفسي، وكدت أغيب من تصور الوطن عن حسي، وقد بكيت فكثر لبكائي الباكون، وجرت كرامة لعيني من عيونهم العيون. ثم ألبس حضرة الوزير المشار إليه عدة من الخلع الفاخرة، ألبسه الله تَعَالَىٰ لباس العز والعافية في الدنيا والآخرة.

وقد أجزت هناك بإجازات خاصة، نحو ماية مستجيز من العامة والخاصة، وأكثرها عدة، ما كان [٢١] بالبردة(١)، ومثلها ما كان بدلائل الخيرات(٢)، ولعل

= الأربعون العجلونية وهما مطبوعان. ومنها شرح له على صحيح البخاري، قال عنه تلميذه العطار: شرحه شرحًا يرحل إليه، جعله خلاصة الشروح السابقة، وأطال فيه من الفوائد والنِّكات والأحكام سماه الفيض الجاري، وصل فيه إلى كتاب التفسير وأخذته المنية قبل إكماله. وله أيضًا تفسير سماه: إسعاف الطالبين بتفسير كتاب الله المبين؛ وله الكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة؛ الفوائد المحررة في شرح مسوغات الابتداء بالنكرة في النحو وغير ذلك كثير. توفي بدمشق.
انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) قصيدة البردة للبوصيري، سيأتي التعريف به.

(٢) كتاب دلائل الخيرات، مؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر سليمان الجزولي السملالي الشريف الحسني كان فقيها ألف في التصوف وله كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي عمت بركته في الأرض. قال بعضهم في وصفه: نخبة الدهر. ووحيد العصر. محيي الطريقة بالغرب بعد درسها. وشمس الحقيقة عند طمسها. والكتاب عنوانه: «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار« قال صاحب كشف الظنون: هذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي يواظب بقراءته في المشارق والمغارب لا سيما في بلاد الروم» طبع حجر بمطبعة المدارس بالأزبكية ١٢٥٦ طبع حجر بمطبعة كاستيلى ١٢٧٧ طبع حجر بمطبعة أستانة ١٢٦٤ و١٢٧٣ و١٢٧٥ وطبع حروف في الأستانة وبمصر مرارا ومعه قصائد وأدعية وأوراد.
انظر، «معجم المطبوعات» (١/٦٩٧).

الإجازة بها كانت نصف الإجازات، وقد كنت ادخرت جميع ما أجزت به وحررت، ففتشت على ذلك بعد فإذا يدى والقاع، فما أدري أي يد أخذته من البقاع، بيد أني وجدت من ذلك نزرا، وظَفَر ظِفر تفتيشي بشيء من مقدمة ما حررت في الإجازة الكبرى، فمن ذاك ما حررته في الإجازة بعقد الجوهر[1]، جمع مولانا شيخ الشاميين والجامع الأزهر، وهو قولي:

■■■

(١) يعني به كتاب الشيخ إسماعيل العجلوني، «عقد الجوهر الثمين بشرح الحديث المسلسل بالدمشقيين».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نضَّر لأهل الحديث في القديم والحديث وجوهًا، وجعل كلًا منهم ببركة ما تحمله شهابًا ثاقبًا ومحمود الحال وجيهًا، وأطلعهم في سماء الهداية شموسًا وبدورًا ونجومًا، فغدت شهب حججهم لشبه الشياطين المخالفين للدين المبين رجوما، وأشرق أنوارهم على الآفاق، فاستضاءت بها العوالم، وقسمهم بين محدث ومسند وحافظ وحجة وحاكم(١).

أحمده سبحانه أن تكرم عليهم بشرف علو الإسناد، وأحسن إليهم باتصال أسانيدهم إلى سند المرسلين وسيد العباد، والصلاة والسلام على نبيه الذي روى عنه سُبْحَانَهُ ما نزل إليه كما نزل، وحدث أمته بالسند العالي ونقل، وعلى آله

---

(١) ذكر العلامة المناوي لأهل الحديث مراتب: أولها الطالب وهو المبتدىء، ثم المحدث وهو من يتحمل الحديث ويعتني به ودراية، ثم الحافظ وهو من حفظ مائة ألف حديث متنًا وإسنادًا ووعى ما يحتاج إليه، ثم الحجة وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديث. ثم الحاكم وهو من أحاط علمه بجميع الأحاديث المروية متنًا وإسنادًا، وجرحًا وتعديلًا وتاريخًا.

ولبعض المعاصرين تعريف مفصل موجز لهذه المراتب:

■ **المُسْنِد**: (بكسر النون) هو من يروي الحديث بسنده. سواء أكان عنده علم به. أم ليس له إلا مجرد الرواية

■ **المُحدث**: هو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية. ويطلع على كثير من الروايات وأحوال رواتها.

■ **الحافظ**: فيه قولان:

(أ) مرادف للمحدث عند كثير من المحدثين.

(ب) وقيل هو أرفع درجة من المحدث. بحيث يكون ما يعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله.

■ **الحاكم**: هو من أحاط علمًا بجميع الأحاديث حتى لا يفوته منها إلا اليسير على رأي بعض أهل العلم.

انظر، محمود الطحان: «تيسير مصطلح الحديث»، (ص: ١٢٢)؛ «الموسوعة الإسلامية المعاصرة»، (ص: ٢١٤).

وأصحابـه الذين رووا من زلاله، ورووا عنه جميع أقواله وأفعاله وأحواله، وعلى تابعيهـم من العلمـاء والمحدِّثِـين، المتقدمين منهـم والمحدَثين، صلاة وسـلامًا باقيـين ما بقي في العالم مجيز ومجاز، وتحقـق للعالم العامل إلى معرفة الحقيقة مجاز.

وبعـد ؛ فقـد أجزت من هـو بمنزلة أخي الشـقيق عنـدي، العذيق المرجب محمد رجب أفندي، بما اشتمل عليه هذا الكتاب المسمى بعقد الجوهر الثمين، لواسـطة عقد علماء الشام الشيخ إسماعين، كما أجازني العالم السري، الشيخ عبد الرحمن الكزبري، عن ذي الفضل المعطار، جونة العلم الشـيخ الشـهاب عبيد الله العطار، عن جامع الكتاب [٢٢] المذكور، ضوعفت لنـا ولهم الأجور، بأسانيده إلى أصحاب ما ذكره من الكتب المذكورة في ثبته، غمر الله تَعَالَىٰ بصيِّب رحمته شريف تربته.

وأُوصى المُجـاز ونفسي بالتقوى، فإنها في النجات الوزر الأوقى، والسـبب الأقـوى، وأن لا ينسـاني وخاصـتي مـن صالـح دعواته، لاسـيما عقيب درسـه وصلواته.

مـصـليًـا عـلـى الـنـبي الخـاتم وآلـــه وصـحـبـه الأكـــارم

[وكتب أبو الثناء شهاب الدين السيد، محمود ابن السيد عبد الله أفندي الآلوسي، غفر لهما][١].

■■■

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.



وقولي في أخرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لمن أجاز بجوائز الإحسان العلماء المحدثين، وصلاة وسلامًا على الجوهر الثمين، وواسطة عقد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية، وأفلاك الدراية والرواية.

وبعد؛ فقد أجزت الفاضل الأوحدي، جمال الدين عمر أفندي، لا زال كامل الصفة، جامعًا للعدل والمعرفة، بما حواه هذا الكتاب المسمى بعقد الجوهر الثمين، وبسائر ما أشار إليه من الكتب الأربعين، حسبما أجازني المولى الذي هو بالفضل حري، محدث دمشق الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري[1]، عن ذي

(١) الشيخ عبد الرحمن الكزبري (١١٨١- ١٢٦٢هـ/١٧٧٠- ١٨٤٦م): عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، الدمشقي، الشافعي (أبو المحاسن، وجيه الدين). وقيل في ميلاده ووفاته (١١٨٤- ١٢٦٢هـ/١٧٧١- ١٨٤٦م) عالم بالحديث، شافعي. نعته البيطار بمحدث الديار الشامية. من أهل دمشق. ولد بدمشق وتوفي بمكة حاجا في ١٩ ذي الحجة. توفي بمكة حاجا. له (ثبت الكزبري) في جامعة الرياض (١٥٤٦) وفي المكتبة العربية بدمشق.
انظر، «الأعلام» للزركلي (٣/٣٣٣)؛ «معجم المؤلفين» (٥/١٧٧)؛ و«حلية البشر» (٢/٨٣٣ - ٨٣٦)؛ و«إيضاح المكنون» (١/٣٤٥).
وقد أفرد البيطار له ترجمة في حلية البشر: قائلًا:
الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي محدث الديار الشامية، السيد الذي أشرقت شموس أفاضله في كل ناد، وفاضت بحار معارفه على صدور القصاد، وأفاد الطالبين بديع المعاني والبيان، وأروى المريدين بزلال الكمالات والعرفان... ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وثمانين ومائة وألف في دمشق الشام، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الهمام، إلى أن أتقن وتفنن وفاق، وطار صيته في الأمصار والآفاق. وأخذ عن أفاضل متنوعين كثيرين تركيين وعربيين، منهم والده الشيخ محمد والشهاب أحمد العطار والشيخ محمد الكاملي وبدر الدين بن بدير المقدسي وشهاب الدين أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمال الليل والشيخ نور الدين الوزائي الأزهري وغيرهم.
=

الخلق المزري بلطيف الأزهار، جونة العلوم الشيخ عبيد الله العطار، عن ناظم ذلك العقد الثمين، سلطان العلماء والمحدثين، شارح صحيح البخاري، الشيخ إسماعيل العجلوني عليه رحمة الباري، بأسانيده المذكورة في ثبته، تغمده الله تَعَالَىٰ بعظيم رحمته.

وأُوصى المُجاز ونفسي بالتقوى، في العلن والسر والنجوى، وأن يشركني وأحبابي في صالح دعواته، في خلواته وجلواته، وإثر تدريسه وصلواته، وأصلي وأسلم على الفاتح الخاتم، وآله وصحبه الطيبين الأعاظم، [٢٣] إلى أن تحدث الأرض أخبارها، وتظهر للخليقة أسرارها.

[وكتب الفقير إليه تَعَالَىٰ، أبو الثناء السيد محمود آلوسي زاده، غفر لهما](١)

= وقد أخذ عنه علماء الشام، وغيرهم من العرب والأعجام. ومن جملة من أخذ عنه سيدي الوالد فإنه روى عنه صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري الجعفي من أوله إلى آخره وقد أجازه به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه مما هو مذكور في ثبته، وأنا حضرته ولله الحمد على والدي في الدرس العام في جامع كريم الدين بين العشاءين من أوله إلى آخره وأجازني به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه.

وبعد موت والده وجه إليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه. وفي عام اثنين وستين ومائتين وألف توجه المترجم إلى الحجاز بقصد النسك، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي إلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودفن بعد أن غسل في محفل من الفضلاء والعلماء والوجهاء وصلي عليه في الحرم الشريف، والجامع الأنور المنيف، في مقبرة المعلا وقبره ظاهر يزار.

انظر، عبد الرزاق البيطار: «حلية البشر»، (٢/ ٨٣٣ - ٨٣٦).

وقال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): وأجازني أيضًا علماء أعلام، كل منهم في حلبة الفضل إمام، كالفاضل السري، محدث دمشق (الشيخ عبد الرحمن الكزبري) وقال عنه: مولانا محدث دمشق الشام. العلامة السري. الشيخ عبد الرحمن أفندي الكزبري. تغمده الله برحمته.

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

وقولي في أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كسى من استجازه من سابغ فضله برده، وأذاق من استغفره من سايغ كرمه ما استطيب برده، والصلاة والسلام على نبيه الذي بانت سعاد[1] محبوبيته من مدايح ربه، فهيهات أن تبلغ بردة مدح له بعد وإن طالت إلى كعبه، وعلى آله وصحبه أئمة الإسناد، ومن غدا حبهم زاد المعاد.

---

(١) استعارة مكنية لقصيدة بانت سعاد، وهي واحدة من أشهر القصائد في الشعر العربي وفي التاريخ الإسلامي، وهي قصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزَنِيّ (ت: ٢٦هـ / ٦٤٦م) ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يُفْدَ مكبول

وأخبار كعب في المصادر شحيحة، وأغلبها يصور خبر إسلامه، وقد تعددت الروايات في ذلك. والمتفق عليه عند الرواة هو أن أخاه بجيرًا قد سبقه إلى الإسلام، وشهد يوم الفتح مع رسول الله ﷺ، ويوم خيبر، ويوم حنين، وقال في ذلك شعرًا. وظل كعب على وثنيته حتى فُتحت مكة، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة في منصرفه من الطائف كتب بجير إلى أخيه إن النبي ³ يهم بقتل كل من كان يؤذيه من شعراء المشركين، فأقبلْ إليه فإنك إن فعلت ذلك قبل منك؛ وأسقط ما كان منك قبل ذلك، فقدم على الرسول ﷺ مسلمًا، ودخل عليه مسجده، واعتذر إليه بقصيدته الخالدة. وقد مدح فيها الرسول ﷺ، وأثنى على المهاجرين في قوله:

إن الرسول لنورٌ يستضَاءُ به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول

في عُصْبةٍ من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيلُ

لا يقع الطّعنُ إلّا في نُحُورهُم ... ومالهم عن حياض الموت تهليلُ

وقد نالت قصيدته في مدح الرسول ﷺ شهرة واسعة، ولُقبت بالبردة. وتعددت الأقوال في سبب هذه التسمية.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

وبعد ؛ فقد أجزت فلانًا مع علمي بقصوري وتقصيري، بالقصيدة الفريدة الشهيرة بالبردة للشيخ محمد البوصيري[1]، حسبما أجازني شرف ذوي البيوت، الشيخ عبد اللطيف بن علي مفتي بيروت[2]، عن المولى ذي الفضل الجليل

---

(١) البوصيري (٦٠٨-٦٩٦هـ/ ١٢١٢-١٢٩٦م): شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، أحد الشعراء الذين ينتمون إلى الاتجاه الصوفي بالمغرب العربي، وصاحب قصيدة البردة المشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. ولد بدلاص بالمغرب وحفظ القرآن منذ صغره ثم نزح إلى القاهرة حيث تلقى دروسًا في علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ، واتصل بأحد شيوخ الصوفية آنذاك، وهو أبي العباس المرسي. وقيل إنه عمل في وظيفة محتسب أو عرضت عليه، وأنه هجا اليهود والنصارى في عهده، وتغنى كثيرًا بمدح الرسول فأنشأ فيه قصائد كثيرة منها قصيدته المشهورة بالبردة والتي يقول في مطلعها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سلم ... مزجت دمعًا جرى من مقلةٍ بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق في الظلماء مِنْ إضم

ويقول فيها مادحًا الرسول:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

وكلُّ آيٍّ آتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

إلى نهاية القصيدة التي بلغت مائة وستين بيتًا، وقد عارضها الشاعر أحمد شوقي بقصيدة سماها نهج البردة.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(٢) الشيخ عبد اللطيف: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): السارح بقلبه في رياض الملكوت (الشيخ عبد اللطيف) ابن الشيخ علي مفتي بيروت، وقد كتبا لي بذلك من دمشق الشام، وصرحا فيما كتبا بعده إثبات لعلماء فخام ونظم في أثناء ما كتب الثاني، أبياتًا حسنة المباني والمعاني، فقال:

أحسن ببغداد التي ... تحوي المكارم والكرام

فاقت على كل البلا ... د بحسنها عند الأنام

فكم انتشى من عالم ... وكم انتشى فيها إمام

من حسنها أن قد غدت ... دار المحاسن والسلام

وكأناس آخرين من علماء الآفاق ... والفضلاء القاطنين في أرجاء العراق

قد انتظموا في سلك فضل قلادة ... وكلهم وسطي فناهيك من عقد

الجلي، الشيخ خليل الكاملي، عن ذي النور الساري الشيخ إسماعيل العجلوني شارح البخاري، عن معدن الغرائب، مولانا أبي المواهب، عن والده الراقي في علم الحديث أعلى المراقي، المولى الجليل الشيخ عبد الباقي، عن الهيكل النوراني، مولانا الشمس الميداني، عن الطيبي، عن الكمال الحسيني، عن أحمد بن عبد الهادي، عن إمام العربية أبي حيان، عن الناظم المذكور، ضوعفت لنا وله الأجور.

وأوصي المجاز ونفسي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنها أقوى سبب للنجاة في القيامة وأجل، وأن يشركني وأولادي وإخواني في صالح دعواته، في خلواته وجلواته، والحمد لله تَعَالَىٰ على أفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم(١)

[وكتب الفقير إليه عز شأنه، السيد محمود الآلوسي البغدادي، عفي عنه](٢) [٢٤]

---

(١) البيت منسوب إلى الشيخ أبي الهدى الصيادي، من قصيدة طويلة يعارض بها قصيدة البردة للبوصيري، مطلعها:

مولاي صل وسلم دائما أبدا على نبيك رب التاج والعلم
مولاي جد بتحيات مباركة على حبيبك خير الخلق كلهم
أمن تذكر جيران بذي سلم أضعت قلبا بغير الحي لم يهم

وجاء هذا البيت في شطري بيتين في ذيل القصيدة، وربما كان ذلك تضمين للبيت أو تشطير له، والبيت لشخص آخر:

تمدها أبحر التسليم وافدة على النبي بمنهل ومنسجم
ما رنحت عذبات البان ريح صبا وفاح من آله طه عطر ذكرهم
وأشبع الركب من مدح الصحاب شذا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

(٢) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

وقولي في أثناء الإجازة الكبرى، وقد أجرى من عيوني ما أجرى.

ما لفظه:

وبعد؛ فقد أخرجني القدر، على يعملات السفر، من مسقط رأسي، ومتقد نبراسي، ووطني الذي حلت فيه عني التمائم[١]، وحلت به عليّ بركة أنفاس مشايخه الأعاظم، مدينة السلام بغداد، لا زالت برج الأولياء[٢] وعش العلماء الأمجاد، فلم أزل أسير في مهامه يحير فيها القطا، وتقصر من طويل الهمة دونها الخطا، حتى حططت الرحل في آمد السوداء، وقد نَصَلَ خِضَابُ الشباب فعادت لمتي بيضاء، فنادتني من أرزن الروم، وقد كادت تغرب من سماء حياتي النجوم، شفقة حضرة وزير كل عناصره نجابه، وجميع شئون سهام قسي أفكاره إصابة، ومشير[٣] همه جلب الدعوات الخيرية للدولة العلية العثمانية، وشغله - حسبما يتأتى من يده كف الموانع عن راحة الرعية - طبق إرادة المراحم المجيدية، قد اتخذ الخلوص لدولته شعارًا، والصدق في خدمتها دثارًا، فما حلَّ في بلدة إلا حلَّ ببنان المراحم عن أهلها عقد الغموم، ولا نزل في محل مَحل إلا أغنى سكنته بوابل المكارم عن استشراق وابل الغيوم، حضرة الوزير الخطير، والبدر السامي المنير، أفندينا محمد حمدي باشا، زاده الله تعالى سرورًا وانتعاشًا، فلبيت المنادي، وحثحثت[٤] مشعملات المسير إلى هذا النادي، فأنساني إكرام المشير المشار إليه

(١) في النسخة المطبوعة (التمايم). (٢) أحد أسماء مدينة بغداد.

(٣) مشير Musir: كان لقبًا من ألقاب الصدور العظام قديمًا، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقبًا عسكريًا كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية.
انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ٢٠٩).

(٤) (حثث) الحَثُّ الإِعْجالُ في اتِّصالٍ وقيل هو الاستعجالُ ما كان حَثَّهُ يَحُثُّهُ حَثًّا واسْتَحَثَّه واحْتَثَّه، وفي حديث سَطِيح كأَنما حُثْحِثَ من حِضْنَيْ ثَكَن أَي حُثَّ وأُسْرِعَ يقال حَثَّه على الشيءِ وحَثْحَثَه.
انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

وطني وولدي، فله - بعد الله عَزَّوَجَلَّ - جُل شكري وحمدي، فاجتمعت هناك مع علماء أعلام، وفضلاء كلٌ منهم في حلبة الفضل إمام، قد جُبلوا على أخلاق ألطف من نسمات الزوراء في الأسحار، وتجلببوا بأردية كمال أزهى من روضة ضحكت غب بكاء الغمام المدرار، فحسنوا الظن بي، ولم يفتشوا عيبة عيبي، فاستجازني بعض أولئك الأكابر، ممن تحل بتقريره عقد المسائل وتعقد عند ذكره الخناصر [٢٥]، لعلمهم بشرف الإسناد، وأن ليس بدونه في الرواية اعتماد، فأنشدت:

ولست بأهل أن أُجاز فكيف أن ... أجيز ولكن الحقايق قد تخفى
وأضواء فكري قد عرتها عواصف ... فآونة تخفى وآونة تُطفى

وقلت قد استسمنتم ذا ورم، ونفختم في غير ضرم[1]، ما أنا بين أجلة العلما، إلا نحلة تدندن حول الحمى، فمنع حسن ظنهم أن يلج عذري في آذانهم، وأن يقر ما قررته من أمري في أذهانهم، فكرّوا على الإلحاح، وكرروا الاقتراح، ووسَّطوا واسطة قلادة الوزراء، ومن قلد الأعناق بجواهر النعماء، فأجبتهم إلى مطلوبهم، وفعلت طبق مرغوبهم، وكان من أفراد أولئك السادة، الجامعين بين زبد العلم وشهد العبادة، العالم الذي غدا للطلبة منتهى الأرب، وسحائب الفضل الهامي

---

(١) استسمن ذا ورم: تقول: استسمنت الشيء إذا عددته سمينا؛ والورم نتوء وانتفاخ في الجسد يقال، ورم الجسد بالكسر ورما، تورم واستسمن ذي ورم هو إنَّ يرى الحجم الناتئ من علة فيحسب ذلك سمنا وشحما. والمثل مشهور عند المتأخرين يضربونه عند خطأ الرأي في استجادة القبيح واستحسان الخبيث واستصواب الخطأ لأمارة وهمية كاذبة: قال أبو الطيب:

أعيذها نظرات منك صادقة ... أنَّ تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

وفي المقامات الحريرية: قد استسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم.
انظر، اليوسي: «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، (١/٣٣٣).

الهامر الأصب، من جَدَّ في اقتناص شوارد الكمال فوجد، أخي الفاضل محمد رجب أفندي ابن حمد، كان الله تعالى لي وله، ولا زال لطلبة العلم فيه وَلَه، وقد تخرج من قبل على الحاج مصطفى أفندي مَمّي زاده، لا زال رافلًا في الجنان بأردية السعادة.

ومنهم العالم الذي عمرت به دوارس المدارس، وعادت وحشيات المشكلات بتقريره أوانس، من حبه ملء قلبي وضميري، عمر أفندي ابن محمد أفندي الأسيري، رقاه الله تعالى إلى أوج التحقيق، وجعل لي وله التوفيق خير رفيق، وقد تخرج من قبل على من زاد بما سمعت من مدايحه سروري، الفلك الماخر الحاج أحمد أفندي الماخوري، غمره الله تعالى برحمته، وأسكنه الغرف العالية من جنته، فأجزت هذين الفرقدين، بل البدرين الأنورين، تدريس العلوم على وجه العموم، حسبما أجازني بذلك مشايخ أجلة، قد حووا الفضل كله.

منهم والدي وسيدي السيد عبد الله أفندي(١)، جعله الله تعالى غريق رحمته، وأسكنه بحبوحة جنته، ومنهم سيدي وسندي، [٢٦] علاء الدين علي

(١) السيد عبد الله الآلوسي: ترجم له المؤلف في رحلته «غرائب الاغتراب» عند ترجمته لنفسه، وقال تحت عنوان (ترجمة والد المؤلف): وتوفي إذ ذاك والأمر لله سُبْحَانَهُ والدي، ومن هو بعد الله تَعَالَىٰ مساعدي، وفي تناول ما يصلح حالي زندي وساعدي، سيدي وسندي (السيد عبد الله أفندي) تغمده الله برحمته، وأسكنه غرف كرامته في أعالي جنته، وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدور رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائمًا، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائمًا، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاه، إلا وجده يبكي خشية بين يد مولاه جل علاه، وقد درس نحو أربعين سنة في الحضرة الأعظمية وكان يذهب إليها ماشيًا إعظامًا لما ضمته من عظام محيي السنة الأحمدية وكان مع ذلك يدرس في مدرسة المولیخانه، التي جعلها داود باشا خانًا وسوقًا وبنى فيها لقهوة البن حانه، ونقل التدريس إلى بعض منها يسمى اليوم بالآصفية، ونصب فيها مدرسين للعلوم النقلية والعقلية، ودرس نحو أربع سنين في مدرسة الشهيد علي باشا التي أعدت لرئيس المدرسين، وهو عليه الرحمة ثالث =

= مدرس درس بها، وكنت في أيامه محافظ كتبها، ووعظ وخل الشباب غير مماذق، في جامع محمد الفضل بن إسماعيل بن جعفر الصادق وكانت الطلبة تتبرك بالقراءة عليه، وتعد من أسباب الفتوح عليها تقبيل يديه وقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وذهب إلى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن فوجده يوم دخل قد مات (وينتهي نسبه الذكي الزكي إلى الريحانتين) فمن جهة أمه إلى الحسن ومن جهة أبيه إلى الحسين، ويحلق نسب أمه إلى ذلك بجناح الباز الأشهب، ومن نصب له وكر العناية الأزلية في حظائر الغيب الأغيب، قدس سره، وغمرنا بره، والأمر مفصل في حديقة الورود، فقد زهت فيها نظمًا ونثرًا أسماء الآباء والجدود، وكذا في شجرة الأنوار، ونوار الأزهار، التي ألفناها في إسلامبول، وجمعنا فيها ما شاء الله تَعَالَىٰ من ذرية الزهراء البتول، ولعمري أنه نسب يصلح أن يجعل تميمة فطيم، ويتخذ لبركة من حوى رقية سليم.

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورًا ومن فاق الصباح عمودًا

فهو عليه الرحمة محبوك الطرفين، قد طابق شرفه في نفسه شرف الجدين فلا بدع أن نال بيد مجده الثريا، أو تفيء في الشرف مكانًا عليا.

ما عذر من ضربت به أعراقه حتى بلغن إلى النبي محمد
أن لا يمد إلى المكارم باعه وينال غايات العلى والسؤدد
مترقيًا حتى تكون ذيوله أبد الزمان عمائمًا للفرقد

وبالجملة كان نقي الذات، بهي الصفات، زكي الأعراق، ذكي الأخلاق، وافي الوفاء، لا يخل بحقوق الأخلاء، قد طهر الله تَعَالَىٰ سره، وأعلى لديه بطاعته قدره، فلو أقسم على الله سُبْحَانَهُ لأبره.

هذا أبي جامع ما قد سمعت به هيهات ما للورى يا دهر مثل أبي

ولما توفي عليه الرحمة في الطاعون، وسارت معه من أهل البيت الظعون، لبس لي الزمان جلد النمر وجعل يكر عليّ ويفر، وجرت أمور منها السماء تمور، ووقعت مواد تشيب لذكرها لمم المداد.

ثم قال عنه العلامة محمود شكري الألوسي في «المسك الأذفر»: توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطاعون، وسارت معه من أهل بيته الظعون، وذلك سنة ١٢٤٦هـ، ولم يبق من ذريته إلا ثلاثة أولاد وهم: السيد محمود أفندي، والسيد عبد الرحمن أفندي، والسيد عبد الحميد أفندي. وقد عاش نحو الثمانين، ودفن - عليه الرحمة - جوار مسجد الشيخ معروف الكرخي، وكان بينه وبين محدث دمشق الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري محبة أكيدة، وكم جرت بينهما محررات ولطيف مكاتبات.

انظر، محمود شكري الألوسي: «المسك الأذفر»، (ص: ٤).

أفنـدي، ابن علامة عصـره، وعلامة الفضل في مصره، ذي القـدر العلي، صلاح الدين يوسف أفندي الموصلي.

ومنهـم أمير المؤمنين في الحديث، وحجتهم في القديم والحديث، الشيـخ علي أفندي سويدي زاده[1]، أسكنه الله تَعَالَىٰ في سويداء السعادة.

(١) علي أفندي السويدي: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب):
«.. وقرأت شرح النخبة للهيكل النوراني، المحدث الحافظ ابن حجر العسقلاني، عند الفاضل الأوحدي الشيخ علي أفندي السويدي، وكان ذا جاه كبير عند والي بغداد سليمان باشا الصغير، فكان لا يصدر إلا عن رأيه، وهو يسعى في نصحه غاية سعيه، وامتحن بعد قتله بسبب ذلك، وكان يهوى لولا بركة العلم في مهاوي المهالك، ومن الغريب أنه على كمال عقله وتنزه نفسه، ارتكب ما لا يكاد يرتكبه أبناء جنسه، حيث ذهب إلى البصرة محاسبًا لواليها، ضابطًا رسم الكمرك الذي فيها، وكان ينسب إليه سيئ الإنكار، على أكثر الأولياء الكبار، وأنه وهابي العقيدة، وله فيها وَلَهٌ ومحبة شديدة، وأنه دعا إليها سليمان باشا، وملأ من علل الخروج على الدولة أهابه فخرج عليها، ولم يرسل شيئًا من خراج العراق إليها، فأثارت عشائر الأكراد وبعض الأعراب عليه، فتوجهوا في معية رئيسهم الداهية الهماء إليه، فخرج لقتالهم إذ قربوا من سور الزوراء، وقابلهم بجنود تغبر غيظًا من كثرتهم وجوه نجوم الخضراء، حتى إذا التقى الجيشان، واعتدل الصفان، خانه رؤساء العسكر فبقي مع مثل عدة الأصابع ففر، ومر فارًا على قبيلة الدفافعة، فقطعوا عنه ماء الحيوة، وسدوا عنه مشارعه، والإنصاف أن السويدي لم يسود قلبه بعقائد جهلة الوهابية، وإنما عقده على العقائد السلفية الأحمدية ولعمري ولا حاجة إلى اليمين، أن ذلك ظاهر من درر كتابه العقد الثمين، وأن خروج ذلك الوزير إنما جر إليه أمر آخر لسوء التدبير.
وبالجملة، كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين... وكان لأهل السنة برهانًا، وللعلماء المحدثين سلطانًا، ما رأيت أكثر منه حفظًا، ولا أعذب منه لفظًا، ولا أحسن منه وعظًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولا أوضح منه بيانًا، ولا أكمل منه وقارًا، ولا آمن منه جارًا، ولا أكثر منه حلمًا، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علمًا، ولا أغزر منه عقلًا، ولا أوفر منه في فنه فضلًا، ولا ألين منه جانبًا، ولا آنس منه صاحبًا، ولولا ونيم ذباب الذهاب إلى كمرك البصرة على ثيابه لقلت هو في جمع المحاسن الغرد فرد أسلافه وأصحابه، اختارت روحه في دمشق الشام من الملأ الأعلى رفيقًا، وهو يقرأ قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)، وجاء تاريخ =

ومنهم ذو الفضل البادي، ملحق الأصاغر بالأكابر يحيى أفندي المزوري العمادي[١].

ومنهم العالم السري، محدث دمشق الشيخ عبد الرحمن الكزبري.

ومنهم السامي في الفضل إلى دائرة السماوات، الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت، إلى غير ذلك ممن يطول الكلام باستيفاء ذكره، وإن تعطرت أردان الإجازة باستبقاء نفحة عطره، والكل قد أجازني بجميع العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وبما ألف فيها من كتاب، وبما أثر من أوراد وأحزاب، ولنقصر على ذكر أسانيد إثبات، لجملة من المشايخ الأجلة الأثبات، فنقول، والله تَعَالَىٰ العاصم من الفضول.

= وفاته أسكنه الله تَعَالَىٰ أعلى جناته (إن المدارس تبكي عند فقد علي) وقد أوقفني على جميع إجازاته، وأجازني كأولاده بجميع مروياته.

(١) الشيخ يحيى المزوري العمادي: ثم أفرد له ترجمة في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب) قال فيها: «الفاضل الأوحدي. ذو الجناحين حضرة يحيى أفندي. وهذا أحد الرجلين اللذين وعدناك آنفًا بترجمتيهما. وذكر ما وقفنا عليه سماعًا ومشاهدةً من صفتيهما. واشتهر هذا الفاضل بمعلم أولاد نجيب باشا. وكان قد ربط له بسبب التعليم مسكنا وكسوة ومعاشًا. وهو رجل قد ناهز القبضة. وسطا عليه الدهر بكلكلة ورضة. له انتساب إلى الطريقة النقشبندية. وانسلاك في سلك الطائفة الخالدية. واطلاع على مغزى السادة الصوفية. وعروج إلى حظائر مقاصدهم القدسية. وتضلع من علمي المنقول والمعقول. وانهماك في علمي الفروع والأصول. وهو من التواضع على جانب عظيم. ومن الشفقة على أهل العلم ما يظن معها أنه أب حميم. وفيمن أجازهم كثرة. حيث انه أجاز على القانون المقرر هناك غير مرة. والمشهور أنه اليوم أعلم المدرسين. وأنا أقول أنه اجتمع فيه من المحاسن ما لم يجتمع فيهم أجمعين. وقد اجتمعت به مرارًا. فرأيت سحائب محاوراته بوابل العلم غزارًا. وكان إذا سألنا في مجلس لا يسبقني بجواب. ويسبل على عوراء جوابي بكرمه أضفى نقاب. وكان ذا ديانة وعفة نفس. ويشهد لذلك طي كشحه عن قبوله وكالة الدرس. وبالجملة كان بالفضل مشهورًا. وعن لذائذ الدنيا الدنية حصورًا. كثر الله تَعَالَىٰ في العلماء أمثاله. وأدام على طلبة العلم أفضاله».

إلى آخـر مـا نهبته مني أيدي الجبال، وشـرد الآن عني فلم أجـده في حقيبة الخيال.

■■■

واتفق

أني حلقت هناك رأسي ورجل من الفقراء قد حضر، فسعى بعد أن طاف حولي للتبرك بأخذ ما حلق من الشعر، فصعدت نفسي ونكست رأسي، حياءً من ربي عز وجل لعلمي بتقصير نفسي.

وكان ولدي، عبد الباقي أفندي[(١)]، في هاتيك الأيام، للناس على تقبيل يده إذا مر في السوق ازدحام.

وبالجملة، كنا فيها كأنا ملائكة نازلون من السماء، لتعليم أهلها ما تعلموه من آدم يوم عرض الأسماء.

وتشرفت بزيارة ذي النورين عثمان أفندي، وهو بلا خلاف من أجلة خلفاء حضرة مولانا العثماني الشيخ خالد النقشبندي[(٢)]، قدس الله تعالى زكي تربته،

---

(١) عبد الباقي الآلوسي (١٢٥٠-١٢٩٨هـ/١٨٣٤-١٨٨١م): عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الآلوسي، البغدادي، الحنفي (سعد الدين) عالم مشارك في بعض العلوم. قرأ الأصلين والتفسير والحديث وغيرها من العلوم، وولي الإفتاء ببغداد، وسافر إلى الحجاز، وتقلد مناصب سامية، منها: قضاء كركوك، وتوفي، ودفن بمقبرة الكرخي. من تآليفه: أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج، الفوائد الآلوسية على الرسالة الأندلسية في العروض، البهجة البهية في إعراب الآجرومية، القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي، والفوائد السعدية في شرح العضدية. انظر، الآلوسي: «المسك الأذفر» (١/ ٤٦ - ٥١)؛ الأثري: «أعلام العراق» (٥٣ - ٥٥)؛ سركيس: «معجم المطبوعات» (٥ - ٦)؛ البغدادي: «هدية العارفين» (٤٩٧/١)؛ كحالة: «معجم المؤلفين» (٧٥/٥).

(٢) ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): وقرأت مسألة الصفات من الخيالي، على حضرة مولى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي، حضرة مولانا (ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي)، وهو صاحب الأحوال الباهر، والكرامات الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث جلالته وأجمع المنصفون على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، وانتشر صيته في كل وادٍ ونادي، بهر بجبل صفاته أطوار العقول، ونال =

منه تلامذته غاية الوصول، امتد في المقامات والأحوال باعه، وعمرت بالفضل والأفضال رباعه، كان حريصًا على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حل دقيقة علم أو طاعة، حسن السمت والسيرة، نير القلب والسريرة، إن توجه إلى قلب مريد ملأه نورًا، أو ربط على إكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سرورًا:

الإمام الجليل غوث البرايا — غيثها المرتجى ندى إحسانه
ذو سجايا مثل الرياض سقاها — وابل القطر من ندى هتانه
بحر جود له جداول عشر — في يديه تدفقت من بنانه
سار في الخافقين ذكر علاه — وعلا قدره على كيوانه
فائض العلم عن روية فكر — كاد يجلو سر القضا بعيانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم — قد جلاها بالكشف عن برهانه
فهو كشاف مشكلات معان — حل ألفاظها بديع بيانه

وبالجملة، ما حوى أحد في عصرنا فضله، وأنا لم أر مثلًا له وأظن أنه هو أيضًا ما رأى مثله، وإنكار بعض الأجلة عليه، وتوجيههم سهام الطعن وحاشاه إليه، كان بعضه محض نفسانية، وبعضه الآخر كان من غير روية، ومن المتنكرين من كان كالبائل في بئر زمزم، أراد أن يشهر اسمه بالإنكار عليهم مثله، وتحملوا من معاصريهم حملًا ثقيلًا، وصبروا على ما نالوا من معاديهم صبرًا جميلًا، تلك (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) على أن ذلك إنما نقص قدر من آذاهم ولم ينقص قدر ذرة من شامخ علاهم:

من كان فوق محل الشمس رتبته — فليس يرفعه شيء ولا يضعه

وقد كان له – قدس سره – على شفقة شفيقة، وقد أمرني بالاشتغال بالعلم وضمن لي أن لا أحرم من بركة الطريقة، وها أنا إلى هذا الزمن منتظر تحقق ما ضمن، وكأني في بركة تلك البركة، أسبح إن شاء الله ولا سبح السمكة، وفد طارت روحه إلى حضيرة القدس في دمشق الشام، فحبست في أقفاص الأسى لطيرانه قلوب المسلمين والإسلام وقيل في تاريخ ذلك، غير ما قيل هنالك، ومنه قول السياه بوش من قصيدة مرثية، شرحتها شرحًا نفيسًا سميته الروضة الأحمدية:

ولما هويت الحق قلت مؤرخًا — هوى للقاء الحق في القدس خالد
وحين بكت أهل الطريقة أرخوا — بكى فقدك الدرس الإلهي خالد
وحين نحوت القدس قلت مؤرخًا — دنى بازاء القدس في القرب خالد
وحين اتحدنا في الطريقة نسبة — وقد طهرت أعراقنا والمخالد
نبغت بصدق عن لساني أرخوا — مقامك صدق عند مولاي خالد

ووفقنا للاشتغال بجليل طريقته، فطلبت منه التوجه فتوجه لي، فأحسست أن قلبه من الأنوار القدسية ملي، ورأيته شيخًا، لم يجعل الطريقة فخًا.

ولم أزل أجتمع بقاضيها محمد أمين أفندي معين الدين، [٢٧] وهو ألطف خلقا من النسيم، وأرق من ماء العيون المعين، واجتمعت غير مرة بمفتيها ذي الخلق العطر الندي، ليِّن العريكة دورسون أفندي، وله في الجملة من العلم ماله، وأعظم من علمه ما به من البله(١).

وأكثر أهلها خيار، وإنها لنعم الدار، بيد أن شتاءها عظيم، والزمهرير بالنسبة إلى بردها جحيم، والصيف فيها سحابة صيف، يلم بها كما يلم الضيف، وتشتمل من البيوت على نحو ثمانية آلاف، على ما أخبرني به بعض الألاَّف، وفيها عدة جوامع وحمامات نفيسة، وبساتين صغار لكن تعد نفيسة.

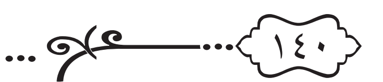
وبعد أن تم لنا فيها أربعة عشر يومًا خرجنا منها، وانقطع نصيبنا من مائها وخبزها، لا انقطع الخير عنها.

■■■

= حضرة مولانا المجدد المجددي سيدي وسندي (الشيخ خالد النقشبندي) قدس سره.

(١) البَلَهُ الغَفْلة عن الشرّ وأَن لا يُحْسِنَهُ بَلِهَ بالكسر بَلَهًا وتَبَلَّه وهو أَبْلَه، ورجل أَبْلَه بيِّنُ البَلَهِ والبَلاهةِ وهو الذي غلب عليه سلامة الصدر وحُسْنُ الظنِّ بالناس.

انظر، ابن منظور: «لسان العرب».



سيواس

وتوجهنا إلى سيواس[١]، في معية واليها، حضرة أفندينا حمدي باشا، لازال في استيناس، وقد وجهت له إيالتها بدلًا عن إيالة[٢] أرزن الروم، فارتفعت بذلك قدرًا على هام النجوم.

■■■

(١) سيواس: سيواس Sivas (سباستيه أو سبسطيه Sebastia) مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول - مركز الولاية واللواء الذين يحملان الاسم نفسه، على نهر قزل إرماق. تقع على دائرة عرض ٣٩,٤٥ وخط طول ٣٧,٠٢.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣١٧).

(٢) أيالة Eyalet: أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إدارية إلى إيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق - ما عدا الحالات القضائية - عليها.

إيلجه

وسـرنا حـتى أتينا قرية يقال لها إيلجه[١]، ولم نكـره مـن الطريق وعره وعوجه، وهي بكسـر الهمزة وسكون الياء المثناة التحتية، وبكسر اللام، وفتح الجيـم العربيـة، قريـة صغيرة، ولـدى إنسـان العـين حقـيرة، وحذائها حوض فيه عينان نضاختان، ولكن بماء كماء حمـام العليل آن، وبتنا هنالك في بعض البيوتات، وكان بينها وبين أرزن الروم ثلاث ساعات.

■■■

(١) إيلجه: إيليجه Iliga: بلدة في تركيا الآسيوية - الأناضول -، في ولاية أرضروم، قريبة من الفرات، تقع غرب أرضروم بقليل، على دائرة عرض ٣٩,٥٧، وخط الطول ٤١,٠٧. وهناك مدينة باليكسري، على دائرة العرض ٣٩,٥٢، وخط الطول ٢٧,٤٦.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١٣٠).

جِنِس

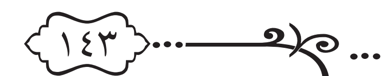
ولما كشفت الشمس أسود قناعها، ونشرت على البسيطة أبيض شعاعها

سرنا فبتنا في قرية جنس بكسر الجيم والنون، وهي من الحسن بمكان يستحسن جنسه الناظرون، وكان مبيتنا عند خالد بك[1] ابن عمر أغا، أحد وجوه أرزن الروم، وداره نفيسة جدًّا لا تنزل بها مع الضيف الهموم.

■■■

---

(١) بك BEY: ولقب «بك» تركي الأصل، ومختصر أو تحوير من كلمة «بيوك» أي الكبير، وأصل الكلمة تكتب بالكاف التركية «بك»، وهي من الكلمات الغزية التركمانية القديمة التي جلبها العثمانيون من موطنهم الأصلي، ويلاحظ أن لقب بك كأي لقب يلحق بالاسم، ومنها جاءت كلمة «أتابك»، وتعني الأمير في اللغة التركمانية القديمة ؛ حيث «أتا - أطا» تعني الأب، وبك وتعني الأب،ثم استعملت بمعنى الكبير أوالسيد، وقد جاء هذا اللقب في رحلة ابن بطوطة؛ حيث كان يطلق على أحد الملوك؛ حيث فسر ابن بطوطة معنى «بك» بالملك، وقد أطلق هذا اللقب على أمراء أذربيجان وديار بكر في القرن ٩هـ - ١٥م، كما أطلق على هذا اللقب على سلاطين السلاجقة خاصة في الأناضول.
وعلى العهد العثماني، كان لقب «بك» يطلق على مجموعة كبيرة من الرتب والوظائف الرسمية وغير الرسمية؛ حيث كان يعني: الرئيس، رئيسًا لعشيرة، حاكم، أمير، والي، آمر، ضابط، ضابط بحري «قبطان»، أمير السنجق «سنجق بك»، ويطلق لقب بك في الجيش العثماني على رتبة القائم قام «العقيد»، والعميد «ميرآلاي» خصوصًا، وأطلق على القناصل الأجانب المعتمدين في الدولة العثمانية من قبيل التبجيل، وأطلق على عدد كبيرمن الموظفين الملكيين في الدولة العثمانية، وله استعمالات كثيرة في الدولة العثمانية، وأصبح الآن من ألقاب الاحترام فقط.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: «مؤسسة شيوخ الإسلام»، (١/ ١٦٠).



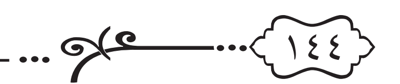
طوبال جاوش

ولما ارتفع عن الشمس سرادقها، وأضاءت للسائرين مشارقها

سرنا حتى أتينا قرية طوبال جاوُش، وثوب الطريق بجنادل الصخور مرصع منقوش، وفي قربها بئر يخرج منها ماء ويقسم في حياض، فيستحيل بعد عشرة أيام ملحًا شديد البياض [(١)]، ونهر الفرات هنالك من العجب، حيث إنه لا يكاد يبلغ - ورأسك - الركب، وبتنا في القرية المذكورة، ونفوسنا بقلة النصب مسرورة. [٢٨].

■■■

(١) الملاحات واستخراج الملح كان أحد الأنشطة الاقتصادية التي تميزت بها تلك المناطق، وكانت تشكل دخلا جيدا لخزينة الدولة من إدارتها وكذلك من الضرائب المدفوعة عنها، وليس أدل على ذلك من أن الدولة العثمانية قد أرسلت واحدا من كبار موظفيها وهو علي بك لمتابعة أمر هذه الملاحات، ويقرر عالي بك (وكان هدفنا من تلك الرحلة الاستيلاء علي ملاحة (بوارة) التي استولي عليها العربان والعشائر). وعالي بك أحد كبار المسئولين في الدولة العثمانية، فقد كان واليًا على طرابزون، وهو في هذه الرحلة في مهمة رسمية من قبل إدارة الديون العمومية والواردات المخصصة برتبة مفتش عام؛ إذ تم تكليفه بداية بالتفتيش على نواحي سعرد وديار بكر. تحمل الرحلة في الأصل العثماني عنوان: « سياحت جورنالي »، وقد طبعت في استانبول عام ١٣١٤ رومية أي ما يوافق ١٨٩٨ ميلادية، وجاء عدد صفحاتها ١١٩ صفحة في الأصل العثماني. بدأت الرحلة من العاصمة العثمانية في يناير عام ١٣٠٠ رومية وهو ما يوافق ١٨٨٤ ميلادية، ١٣٠٣هجرية، واستمرت نحو أربع سنوات حتى ١٨٨٨ ميلادية؛ وقد قام أستاذنا العلامة الدكتور محمد حرب بترجمة الرحلة إلى اللغة العربية ونشرت في المركز القومي للترجمة بالقاهرة.



بكريج

ولما بدا الأفق الشرقي بثوب معصفر، ولاحت غانية الشمس بدرع من زعفران يتلالأ عليه الشعاع، فهو أبيض وأصفر

سرنا من غير نزول وتعريج، حتى أتينا قرية يقال لها بكريج، وهي بباء موحدة مفتوحة عجمية، وكاف ساكنة عربية، قرية في الجملة نفيسة، وفيها للنصارى كنيسة، وبتنا عند شاب اسمه مصطفى أفندي، ولم يزل ثاويا لكونه طالب علم عندي، وله أب اسمه عمر أفندي كان في أرزن الروم، يزعم الابن أن له معرفة ببعض العلوم.

وكان أكثر مسيرنا على شاطئ الفرات، وفرينا بطنه ونحن على ظهور الحيوانات، وكان الطريق وعرًا، وطعم السير فيه مرًا، ورأينا كثيرًا من العيون تبكي الفرات كأنها ذات شجون، وابتلت ثيابنا من التهتان، ونحن إذ ذاك في اثني عشر من حزيران(١)، ورأينا عند القرية جبلًا له من الثلج طيلسان، وكم رأينا جبلًا على رأسه عرقية ثلج تحكي عرقية(٢) الشيخ قادر [أفندي](٣) الشوان.

■■■

---

(١) الموافق شهر يونيو في مسميات التقويم الجولياني والجريجوري.

(٢) عراقيه Arakiye: نوع من الطاقية كانت تلبس على الرأس تحت الطربوش حتى لا يتسخ بالعرق، لذلك كان يقال لها عرق جين Arakcin، كما كان يطلق أيضا عراقيه على ما يلبسه بعض دراويش الطرق الصوفية على رؤوسهم، وتنطقها العامة (عرقية).

انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ١٥٣)؛ لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ٢١٩).

(٣) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

قره قلاق

ولما اضمحلت سواري النجوم من السير، ولمعت أشعة الشمس في أجنحة الطير

سرنا مع الرفاق، حتى أتينا قرية قره قلاق، وعارضنا نهر الفرات فقطعناه، وله هنالك عـرض ما فهِبنـاه إذ رأيناه، ورأينا في الطريق مياهًا كثـيرة، وحزونًا يحزن سلوكها لكنها يسيرة، ونزلنا عند بعض العيون، للاستراحة من نصب هاتيك الحزون، فرأيت صبيًا أشـبه الصبيان بولدي شاكر[1]، حفظه الله تَعَالَىٰ وجميـع إخوتـه الغائب عني والحاضر، فانحل من عيني الوكا، وغلبني هنالك

---

(١) السيد أحمد شاكر أفندي: ولد ليلة السبت سلخ صفر الخير من شهور السنة الرابعة والستين بعد المائتين والألف. فأرخ هذا العام بعض شعراء مدينة السلام، حيث قال:

بدا البدر وانشقت ثياب الدياجر	وهـب الصبا وانجـاب حـر الهواجر
سـرورًا بمولود حكى قمر السما	تـولـد مـن شمـس عـلا ومـفـاخـر
أبوه شهاب الدين مفتي الورى ومن	لـه نـسـب يـنـمـي إلى كـل طاهر
تـعـبـقـن مـن أنـفـاسـه مرضعاته	وذلـك مـن أرواح طـيـب العناصر
تـوق إلى الأقـلام راحـات كفه	ولـلـبـذل والـبـيـض الـرقـاق البواتر
وأقـدامـه تـشـتـاق وهـو بمهده	لـترقـى إلى أعـواد أعـلـى المنابر
أتـى زائـرًا في شهـر مـيـلاد جده	فـأكـرم وأنـعـم في حـبـيـب وزائـر
فلله حمـدي ثـم شـكـري مؤرخًا	لـقـد زهـت الـعـلـيـا بـأحـمـد شـاكـر

توفي والده عليه الرحمة وعمره ست سنين، فاشتغل حينئذ بقراءة القرآن وبعض مقدمات علم الدين، ولم يزل يجد في التحصيل والقراءة على كل فاضل نبيل، وجلس للوعظ العام ولم يبلغ عشرين من الأعوام، فأرضى من حضر بما نطق، وقرر حيث إنه طلق اللسان فصيح البيان، ثم إنه تقلد على صغر سنه المناصب الجليلة كقضاء البصرة الفيحاء، فسلك فيها بما استوجب مزيد الثناء، وهو اليوم يحاكي كيوان، وكأني به إن شاء الله تَعَالَىٰ سيشار إليه بالبنان، وله الآن من البنين ولدان: محمد درويش وحسين، صانهما الله من كل شين.

توفي في الأستانة فجأة في شهر رمضان سنة ١٣٣٠هجرية، وقد كان فيها يومئذ عضوا في مجلس المعارف الكبير.

انظر، محمود شكري الألوسي: «المسك الأذفر»، (ص: ٥٨ ـ ٥٩).

البكا، فخضبت لحيتي، بقاني دمعتي، وأصابتنا في الطريق ديمة، لكنها لم تكن مستديمة. وأغلب أهل القرية مسلمون، وفيها عمارة ما تحتقرها العيون، وعلى علاتها، بتنا في بعض بيوتاتها.

■■■

[لوري / لوريه]

ولما انتشر جناح الضو، وجعل يخفق في أفق الجو

سرنا بين جبال، لا يبلغ ذراها طائر الخيال، وقد لبس معظمها من النبات ثيابًا سندسية، رؤيتها – لعمري – أحلي من النبات في الكئوس الصينية، ورأينا من العيون الباردة العذبة ما لم يجر في وادي [٢٩] الإحصاء، بل كان أكثر الأرض التي سرنا فيها كشِنٍّ بالٍ(١) لا يحفظ الماء، وهي مفعمة برياض تفعم المشام عطرًا، وتعطي المستام ما شاء ولا تطلب منه أجرًا، ونزلنا دار رجل يسمى مصطفى أفندي، ولم يجيء لما نزلت داره عندي، فسألت عنه فقيل خرج يحتطب لأهله، فلما جاء رأيته خيرًا إلا أن الأفندية جزء عمله، والأرض ملئى من مثله، وكان ذلك في قرية تسمى لوري، ولم أر فيها غير ذلك الأفندي من يعقل الخطاب ويدري، وأخبرني أهل القرية، أنها بضم اللام وسكون الواو وكسر الراء المهملة، وأنه يقال فيها أيضًا لوريه.

■■■

---

(١) شَنَّ: المِشَنّة: ينطقونها فصيحة بكسر الميم وهي وعاء يوضع فيه الخبز ونحوه ويُتَّخَذُ من خوص أو نحوه (مولد). والشَّنُّ: السِّقاء البالي.

انظر، العامي الفصيح: إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٣/٧)؛ الخليل بن أحمد: «العين» (٤٩٨/١)؛ الصاحب بن عباد: «المحيط في اللغة» (١٥٣/٢).

بلور

ولما قوضت من الليل الخيام، ومزقت بأيدي الضياء حلل الظلام

سـرنا باستيناس وسـرور، ولم نزل نسير حتى أتيت قرية يقال لها بُلور[(١)]، وهي بضم الباء العجمية واللام، قرية مفرحة جدًّا أهلها [أهل][(٢)] إسلام، وفيها جامع نفيس مسـوعة قبتـه بالرصـاص، يقال إنه أحدثه فروخ شـاد بك أحد أتباع السـلطان سليم[(٣)] الخواص، وكان أحد رؤساء عسكره، حين قاتل الغوري واستولى على مصره[(٤)]، وله وقف عظيم، ومع ذا هو أسوأ حالًا من يتيم، أكل

---

(١) بلور: ربما عني بها: بالورين Belweren وهي بلدة في تركيا الآسيوية -الأناضول، في ولاية خربوط، لواء سورك.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١٤٣).

(٢) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) سليم الأول (٨٧٢-٩٢٦هـ/١٤٦٧-١٥٢٠م): سليم بن بايزيد الثاني. تاسع سلاطين الدولة العثمانية. ولد بإسلامبول (إسطنبول). كان واليًا على سنجق طرابزون في أواخر عهد أبيه. تنازل له والده عن السلطة مكرهًا سنة ٩١٨هـ - ١٥١٢م. انشق عليه إخوته، ودارت بينهم حروب، انتصر فيها عليهم. اهتم بتجديد معاهدات الصلح والهدنة مع الدول الأوروبية، ووجه طاقاته العسكرية إلى بلدان شرقية إسلامية. وطغت شهرته عندما أوقف محاولات الصفويين لضم العراق، وانتصر عليهم في معركة تشالديران الشهيرة سنة ٩٢٠هـ - ١٥١٤م. ودخلت جيوشه على إثرها عاصمتهم تبريز، وقضى على دولة المماليك في الشام ومصر، وضم إليه الحجاز.
بدأ في عهده مد النفوذ العثماني على شمالي إفريقيا، وخاصة في الجزائر، وارتبط هذا بأسرة بربروسة الشهيرة، وحاول أن يجعل من إسلامبول مركزًا علميًا للبحوث المختلفة. وبنى كثيرًا من الجوامع. ومن آثار القاهرة التي وجه معظم عنايته إليها مقياس النيل في جزيرة الروضة. مات بمرض معوي قرب جرلو، ودفن بإسلامبول.
انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(٤) كان ذلك في موقعة مرج دابق (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م): وقعت موقعة مرج دابق بين الجيش العثماني بقيادة سليم الأول وجيش المماليك بقيادة السلطان قنصوه الغوري. كان أول أسباب النزاع =

ماله وصي لئيم، وعليه متولٍ اسـمه محمد بك يقولون إنه من الذرية، ووقفت أن حاله في ذلك الوقف كحال صالح بك، متولي[1] أوقاف[2] العادلية.

وبتنا في بيت رجل من الأفندية، يسمى الحاج يعقوب يزعم أنه قرأ إلى شرح

= بين العثمانيين ودولة المماليك - التي كانت تحكم الشام ومصر ولها سيادة على الحجاز - هو الخلاف على ترسيم الحدود بين الدولتين في طرطوس في الشام، فأراد سليم الأول حسم المسألة بالسيطرة التامة على هذه المنطقة. ثم إن السلطان المملوكي قنصوه الغوري آوى إليه بعض الأمراء العثمانيين الهاربين من السلطان سليم، وأراد أن يتخذ منهم أداة لإثارة القلاقل في وجه سليم. ووقف موقفًا غير ودي من العثمانيين أثناء غزوهم الدولة الصفوية، من ذلك منعه هدايا كانت مرسلة من الهند إلى الآستانة. ومنع الأمير علاء الدولة حاكم إمارة دلقادر من تقديم المؤن والأغذية اللازمة للجيش العثماني الزاحف على تبريز. فما كان من سليم إلا أن جعل هدفه الأول بعد تبريز القضاء على الخطر المملوكي، فبدأ بقتل الأمير علاء والاستيلاء على إمارته، وأنزل هزيمة ساحقة بالجيش المملوكي في معركة فاصلة بمرج دابق شمالي حلب، مات فيها السلطان الغوري من صدمة الهزيمة. واستولى سليم على أملاكه بالشام.
انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) المتولي: هو موظف إدارة الأوقاف، ويأذن بصرفها، وهو ضمن نظارة الأوقاف الهمايونية.
انظر، سونيا البنا: «فرقة الانكشارية»، (ص: ٢٦٧).

(٢) أسس السلطان محمود الثاني وزارة الأوقاف السلطانية «نظارة الأوقاف الهمايونية» في ١٢ ربيع الأول ١٢٤٢هـ/ ١٤ أكتوبر ١٨٢٦م في أعقاب الواقعة الخيرية، وكانت هذه النظارة من أقدم النظارات العثمانية على الإطلاق، وكان الغرض من تأسيس هذه النظارة هو إدارة الأوقاف العثمانية من قبل مرجع رسمي واحد، فكان آغا دار السعادة يشرف على أوقاف الحرمين الشريفين، و «سراي روزنامه جي» كاتب حسابات السرايا السلطانية، كان يشرف على الأوقاف السلطانية، وهناك متولين آخرين على الأوقاف الأخرى، وقد أشرفت نظارة الأوقاف على كافة الأوقاف العامة والخاصة في الدولة العثمانية، وكان أول ناظر للأوقاف هو يوسف أفندي، أما آخر ناظر للأوقاف سعيد بك، وقد استمرت نظارة الأوقاف حتى نهاية الدولة العثمانية ؛ حيث ألغيت عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، وأقيم بدلًا عنها في العهد الجمهوري مديرية الأوقاف العامة.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: «مؤسسة شيوخ الإسلام»، (١/ ٢٧٠).

الشمسية، ورأينا في طريقنا عدة قرى تتراءى نيرانها، وتكاد لمزيد القرب تتعانق جدرانها.

وفيه مياه عذبة باردة جدًا، لم أحصها لكثرتها عدًا، والجبال فيه ليست بشامخة الرؤوس، وقد نقشت ثيابها برياض ترتاح لها النفوس، وهنالك زروع لم تستحصد، وكنت أقول إنها تكاد تقطر ماء لو لم تستبعد.

■■■

جفليك

ولما انسل سيف الفجر من غمده، وجعل يسلخ من ثور الليل أسود جلده

سرنا ست ساعات من الزمان، فحططنا الرحل في قرية تسمى جفليك، من قصبات كلكت التابع لكمشخانة[١] التابع [٣٠] لطربزان، ونزلنا في بيت رجل اسمه عمر أفندي ابن محمود أفندي، وهو ذو خلق عطر ندي، وقد قرأ إلى شرح مولانا الجامي للكافية[٢]، وقراءته هذا المقدار لنيل جام المرام إذا كان الساقي شادن [الحظ][٣] كافية وافية.

وزارني مفتيها ومكث طويلًا عندي، فاستسميته فقيل ولي الدين أفندي، وحينما جاء رأيت أنف أنانيته في السما، وسمعت من لسان حاله ينادي يا بني آدم أنا آدم الذي علم الملائكة الأسما، فجرى ذكر العلماء المؤلفين، من السالفين والخالفين، فقلت له إن رجلًا بغداديًا في هذه الأعصار، ألف تفسيرًا هو تسعة أسفار كبار، فقال: هل يصحبك في سفرك شيء من أسفاره، فإن كان فأرنيه لأقف على حقيقة آثاره، فقلت نعم، وأريته جلدًا من روح المعاني، كان معي في هاتيك المغاني، فأخذه وأمعن فيه النظر، وراجع عدة مواضع عائمًا في بحار الفكر،

---

(١) كومشخانة Gumusch - Khane: مدينة في تركيا الآسيوية -الأناضول-، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية طربزون، على نهر قرشد جايي Kourschud - Tschai. كومشخانة وكومش خانة وكموشخانة، تقع على خط العرض ٤٠,٢٧ والطول ك ٣٩,٢٩، واسم النهر الذي يعبرها اليوم: هرشيت أو هرسيت أو خرشيت Harsit.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، (ص: ٤٣٤).

(٢) كافية ابن الحاجب في النحو.

(٣) في النسخة المطبوعة (اللحظ).

ثم قال: أنشدك برب البيت، أحي مؤلف هذا أم ميت ؟ فقلت: هو والحمد لله تَعَالَىٰ حي في هذا الحي، ولا يشكو إلا ألم الغربة ومرض العي.

فلما فطن كاد يموت من فرط خجلته، وندم على ما نَدَّ منه من مزيد أنانيته، فقام وقبَّل يدي، والتمس قراءة شيء منه عندي، فأقرأته لسبب ما من الأسباب، ما يتعلق بقوله تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم اقترح عليّ الإجازة العامة، وقال هي لدي النعمة التامة، فأجبناه لما اقترح، ولم نعبأ بمن قدح، واكتفى بالإجازة لسانًا، ولم يكلف لتحريرها منا بنانًا.

وفيها نائب اسمه [عزت أحمد أفندي][(١)]، أظن أنه في العلم لا يعيد ولا يبدي.

وهي أعظم من القرية التي سرنا منها سعة، تشتمل على نحو ماية بيت وجامعين تقام فيها الجمعة، وفيها سوق وحمام، لكن لم يتفق لي بها إلمام، والطريق إليها غير وعر، وفيها جبال لا ترفع لها على الأرض ولا فخر، والقرى فيه يسيرة، والمياه غير كثيرة.

■■■

(١) في النسخة المطبوعة (أحمد عزت أفندي).

شيران

ولما تقوس من الليل ظهره، وتهد بِقَدُّوم قُدوم النهار عمره

سرنا مع الإخوان [٣١] إلى أن أتينا قرية يقال لها شيران، وهي بكسر الشين المعجمة على زنة صنوان، أمامها فضاء واسع بالنسبة إلى ما قبلها، وفيه مزارع كثيرة تكفي غلتها أهلها، ولها نهر جار، عليه قنطرة لها في الجملة اعتبار، وبيوتها على ما سمعتماية وأربعون، وكل أهلها - ولله تعالى الحمد - مسلمون، وفيها جامع بخطيب وإمام، لكنها خالية عن سوق وحمام، ومديرها شاب ذو أخلاق مستجادة، اسمه [عصمان بك][1] وهو ذو قرابة من عبد الله أفندي جنت زاده.

وزارني نائبها وأطال المكث عندي، فاستسميته فقيل إسماعيل أفندي، وهو من أهالي أرزن الروم، وقد سمع ما وقع لي هناك من الإجازة بالعلوم، فأسف كثيرًا على غيبته، وخلو عيبته، وذكر لي أنه من تلامذة مفتي تلك الدار، فعلمتُ بذلك مرتبة علمه من غير استخبار.

وشاهدنا في أثناء الطريق عدة قرى، تبصر نيران كل من الأخرى وترى، وبتنا عند رجل اسمه حسن، وهو نحس الخيم نجس الأديم، ليس - وحرمة الحسين - بحسن.

■■■

(١) في النسخة المطبوعة (عثمان).

تكية زخار

ولما افتر عن نواجذه الفجر، وجعل يضحك على جيش الليل حيث فر

سرنا ولم يقر لنا قرار، حتى أتينا قرية يقال لها تكية[(١)] زخار، وهي بكسر الزاي والتخفيف على زنة شفار، وقد تزاد راء بين الزاي والخاء، وتشتمل من البيوت على نحو ماية، وبينها تباعد يكاد يبلغ الغاية، وهي من خشب منضد بعضه فوق بعض، لم أر مثله في خشب العراق في الطول والعرض، وفيها جامع ذو إمام، فيه الجمعة تقام، ولها مدرس اسمه حسن أفندي، لم يجئ عند الدخول عندي، وقد سمعت أنه قرأ العلوم وأجيز بتدريسها في قيصر[(٢)]، ولا قصور وفي

(١) هناك الكثير من المدن والقرى والقصبات التي تحمل اسم تكية كذا، وأصل ذلك ان هذه المناطق كانت غير عامرة، وقد عمرها المتصوفة بتكاياهم التي اعتزلوا فيها الناس وكانوا يقيمونها على طرق المسافرين وبعيدا عن المدن، حيث يزرعونها ويأكلون من عمل أيديهم، ويضيفون المسافرين وقوافل التجار ومن حولهم من القرويين الفقراء حتى غير المسلمين منهم، وسرعان ما تتحول المنطقة إلى مكان عامر آمن بما ينشره هؤلاء من أخلاق وخدمات، ثم يرحلون عنها لمكان جديد خالٍ. حدث ذلك بشكل مكثف في نواحي الرومللي / البلقان، وماتزال الكثير من المدن هناك تحمل اسم تكية كذا، أو قرية الشيخ فلان...
التكية: وهي كلمة فارسية الأصل، جاءت من أصل كلمة «تكين» وتعني وحيد - فريد، وتعني أيضًا المنقطعين عن الدنيا، بقصد العبادة أو الانقطاع للعبادة، وتعني الزاهد والناسك، ثم أصبحت تطلق على المكان الذي يمارس فيه هؤلاء الزاهدين عبادتهم؛ لتعرف فيما بعد بالمكان الذي يلتقي فيه المتصوفة وأصحاب الطرق ؛ ليمارسوا عبادتهم ودروسهم وخلوتهم.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: «مؤسسة شيوخ الإسلام»، (١/ ٢٥٤).

(٢) ربما يعني قيصرية: وهي (قيصري أوسابيوس Eusabia Caesearea، مازاكه Mazaca، قيصرية التي عد جبل أرغايوس): مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول -، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بوزاووق، مقر اسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية، وقيسارية مدينة مغرقة في القدم، فكانت عاصمة بلاد قبدوقية واسمها آنئذ مازاكه Mazaca. أو يعني: قيصرية Kaissariye (قيصرية ستراتونيس Caesearea Stratonis، قيصري فلسطين Caesearea Palastin: مدينة خربة في فلسطين، على تخوم منطقة السامرة بين =

علمائها على ما يذكر، وكل منهم سالم من العيب، وعندي لسالمهم محبة في الغيب، [أعني سالم أفندي المفتي سلمه الله تَعَالَىٰ][(١)].

ثم شاهدنا المدرس المذكور، فإذا هو دارس القوى من مر الدهور، وقد علا فقرات ظهره أسود الفقر، وأنساه هم قراءة ما قرأه في سالف الدهر.

وبتنا عند رجل يسمى السيد علي ابن السيد محمود ممش زاده، فأكرمنا وآنسنا بأخلاقه المستجادة، وذكر لي أنه يقرأ الإظهار، أظهر الله تَعَالَىٰ له من ضمائر عباراته [٣٣] الأسرار، وكان حييًا ذا أدب، فاستحييت أن أمتحنه بشيء من كلام العرب.

وفي الطريق الذي قطعناه قرى موصولة، مأهولة وغير مأهولة، وعدم المأهولية ليس إلا لأن أهلها خرجوا بسرحهم إلى الفضاء، وطلب طيب الكلأ في بطون أودية البيداء.

ومنها قرى صرخ بها صارخ العنا، ولبت منادي الفنا، فلا ترى فيها أحدًا، ولا تسمع في نواحيها إلا الصدا.

أمست يبابًا وأمسى أهلا احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لبد[(٢)]

= مدينتي أرسُوف والطنطوروة. مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القدس.

وقيصرية أو قيسارية، هو اسم أطلقه الأباطرة الرومان على الأقل على ١٧ بلدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقية، لم تذكر منها المصادر العربية سوى البلدتين الواردتين أعلاه. وتقع قيصرية التركية التي كانت تعرف أيضًا باسم قيصري، واليوم: قيصري، على خط العرض ٣٨,٤٣، والطول ٣٥,٣٠.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، (ص: ٤١٤).

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة، حيث كانت في حاشية المخطوط.

(٢) البيتان من قول النابغة الذبياني:

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها   عيت جوابا وما بالربع من أحد =

وسرنا بين مياه وأوحال، لكن لم تتلوث منها أذيال الخيال، وبين أشجار متنوعة الأثمار، وخلالها أشجار الورد الجوري، وورد أكثره ضعيف حيث إنه بري، نعم منه ما تملأ الواحدة الكف، ولا تقتطف جميع أوصافه يد الوصف، قد عز أن يكون له ثاني في الورد البستاني.

والجبال هناك مما يجول فوق ذراها جواد النظر، وليست كالجبال التي شاهدناها من قبل تحتك بفلك القمر، والقرية باردة الهواء ليس للعراقي فيها قرار، وفي زعمي أنه قد جاوز في البرد كرة النار، لا يستغني ساكنها في حزيران[١] عن كانون[٢]، اللهم إلا أن يكون ملتحفًا فيها بلحاف المنون، وارتفاع الثلج هناك شتاءًا خمسة أشبار، وكثيرًا ما يتفق أنه لا يرى من تراكمه دار، وحينئذ لا يخرج أحد من حبسه إلا إلى رمسه، ولا يطيق المسير إلا إلى جهنم وبئس المصير.

فسبحان من حبب قلوب من شاء من عباده، سكنى مثل هذه المواضع من بلاده، فإذا فارقها تأججت نيران أنكاده، وإذا عاد إلى ثلجها ثلج صدره وربت حبة فؤاده، ولا يقال نحو ذلك في حر العراق، إذ هو أقرب إلى الاعتدال عند معتدل المذاق، وليتنا لم نشارك فيه، وترك لنا كدره وصافيه.

■■■

=

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

(١) الموافق شهر يونيو في مسميات التقويم الجولياني والجريجوري.

(٢) يعني به الموقد الذي يستخدم لطهي الطعام، ويستخدم صياغة بلاغية ليشير إلى الشهر الموافق شهر يناير (كانون الثاني) أو ديسمبر (كانون الأول) في مسميات التقويم الجولياني والجريجوري.

آليشر

ولما أشرقت الدنيا وأضاءت الآفاق، ووهى من قينة الجوزاء النطاق

خرجنا [٣٤] منها، وسرنا عنها، ولم نزل نسير وكل منا قد أسر من الضجر ما أسر، حتى أتينا بين العصرين إلى قرية يقال لها آليشر[١]، وهي بمد الهمزة، أو فتحها من غير مدها، وبكسر اللام وسكون الياء المثناة التحتية، وبفتح الشين المكسوة[٢]، وتخفيف الراء العربية، قرية فيها من البيوت على ما قيل تسعون، ونصف أهلها مسلمون، وبين البيوت تلال، تشبه في الخيال الجبال، وفيها جامع فيه الجمعة تقام، وليس فيها سوق ولا حمام.

وبتنا عند رجل اسمه السيد علي، وهو على إعدامه من المكارم ملي، وله والد اسمه السيد مصطفى، جاوز فيما يقال المماية ولا وهن شيء من قواه ولا عفا.

وكان للطريق علينا غاية اعتداء وجور، فبينما نحن في صعود نكاد نأخذ بقرن الشمس فإذا نحن في هبوط تكاد تعلق أذيالنا بقرن الثور، ولاح لنا جبل عليه ثلج في غاية الارتفاع، لم يلح لنا مثله في هاتيك البقاع، ربما يتوهم المتوهم

---

(١) أليشر: ربما عني بها: ألاشهر Ala Schehir (فيلادلفية Philadelphia) وهي مدينة في تركيا الآسيوية -الأناضول-، في ولاية ولواء آيدين، بني قسم منها في السهل، والقسم الآخر فوق هضبة، غير بعيد عن نهر قوزي جايي، تضم حوالي ٣٠٠٠ منزل، مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية، وهي واحدة من الكنائس السبعة التي بناها بولس الرسول، تقع على دائرة العرض ٣٨,٢١، وخط الطول ٢٨,٣٢، وقد جاء ذكرها في الإنجيل في سفر الرؤيا، ١: ١١، ٣: ٧: ١٣.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٨٩).

(٢) في النسخة المطبوعة (المعجمة).

أن محو القمر من تصاعد أبخرته، أو من حكة وجهه بأظفار ذروته، وعارضنا نهر كالخالص[١] في كبره، فعبرناه خالصين من مشقة معبره.

والمياه والأشجار، دون ما تقدم في طريق تلك الدار، وارتفاع الثلج شتاءً - على ما ارتفع للمسامع - إلى قرب السرة، والبيوت كما شاهدنا من خشب ليس معه بالكلية آجره.

ولما أصبحنا وظهر الشفق، تبين أن سيفًا لنا قد سرقه من سرق، وكنت قد قلّدته خادمي صالحًا، غافلًا عما فيه من الغفلة غاديًا ورايحًا، فآه من صالح ثم آه، لا يعرف سوى أنه إذا تكلم غمض عينيه وفتح فاه، ومع هذا فقد خدمني حسب استعداده، لكن حسب أن مرادي عين مراده.

وبالجملة؛ هو وإن كان ذا حال عجيب، خير من الوصيف نصيف[٢] ومن الكسيف شبيب.

---

(١) قال خورشيد باشا في رحلته إلى العراق، تحت عنوان (أنهار مقاطعة خالص):
إن نهر خالص هو عبارة عن ترعة كبيرة، ويتفرع من هذا النهر عدة جداول تقوم برى المزارع والأراضي في القرى المجاورة التابعة لمقاطعة خالص، وينقسم نهر خالص إلي جزأين: يسمي الجزء الأول نهر خالص الشرقي والجزء الثاني نهر خالص الغربي، وكل فرع من هذان الفرعان ينبع منه عده أفرع هي:
أفرع نهر خالص الشرقية: نهر سكران - نهر حكيم - نهر مرادية - نهر هاشمية جلو- نهر بيرة جك - نهر الحضرية - نهر قاطون - نهر حاجي جواد - نهر الحاجي، وغيرها....
أفرع نهر خالص الغربية: نهر مجدد- نهر البستان- نهر مطلق -نهر وندية- نهر خور الكورية، وغيرها....
انظر، خورشيد باشا: «سياحة نامهء حدود»، (ص: ١٢٤).
(٢) يعني خادمه (نصيف) الذي رافقه في تلك الرحلة، وقد قال عنه في موضع آخر: (وصيفنا الزنجي الحمار نصيف).

قرة حصار

ولما بدا من ذروة الشرق أبو صقر[١]،

وتوارى في حضيض الغرب ابن داية[٢] وفر

سرت وقد خانني في الطريق فتقى ورتقي، ولم نزل نسير حتى أتينا بلدة يقال لها قره حصار الشرقي[٣]، وهي بلدة على ذروة جبل، هي في نظري أحسن من ديار بكر وأجل، وبيوتها [٣٥] نحو ألفين، يتخللها بساتين صغار في نظر العين، وهي من أخشاب، بينها حجارة بدون تراب، وسقوفها باطنًا وظاهرًا من خشب، وما يلي السماء منها محدب، وهو على ما يقولون أمنع لنزول الماء من الطين، لكنه يحتاج إلى التجديد في نحو خمس وعشرين من السنين، وليس لشيء من البيوت رحاب، وذاك في نظر أهل العراق من العجب العجاب، وتشتمل على ثلاثة عشر جامعًا للجمعة، وفي أغلبها سعة أي سعة، ومنها جامعان، للفاتح[٤]

---

(١) كناية عن الشمس.

(٢) كنَّى عن السواد بالغراب، ويُقال للغُرَابِ: ابْنُ دَايَةٍ؛ لأنَّه يَحْضُنُ فِرَاخَه دُوْنَ دلأم. وقيل: لأنه يَقَعُ على دَأيَةِ البَعِيْرِ الدَّبِر فَيَنْقُرُها. وفي مَثَلٍ: «جاؤوا به غُرَيَبَ ابْنِ دَايَةٍ» للخَبَرِ الذي لا أصْلَ له. قال ابن السّكيت: قالتْ غَنِيَّة يقول الإنسان إذا كذب حدَّثه ابن دأيَةَ والغراب لا يُخْبِر بشيءٍ أبدًا.

انظر، الصاحب بن عباد: «المحيط في اللغة»، (٢/٣٦٦)؛ ابن قتيبة الدينوري: «الجراثيم»، (٩٧)؛ ابن سيده: «المخصص»، (٤/١٣٦).

(٣) قرة حصار: هناك الكثير من المدن والقرى التركية أو العثمانية التي تحمل اسم قرة حصار، منها: قرة حصار أفيون، قرة حصار بيغا، قره حصار تكه، قره حصار تيمورجي، قره حصار دوه لوه، قره حصار شابين، وكلها تقع في الأناضول.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣٩٢ - ٣٩٣).

(٤) يتبادر إلى الذهن فاتح بغداد السلطان سليمان القانوني، لكن المؤلف كان يعني السلطان مراد الرابع، وقد نص على ذلك في رحلته نشوة المدام بقوله:... خان يقال له خان أزينه بازار، =

المرحوم[١] ينسبان، أحدهما في القلعة، على سنام تلعة، وفيها ثلاث حمامات، وهي في الصغر متقاربات، وأمام البلد بساتين لا تحد، وفيها من خشب القوق أشجار شامخة إلى السما، كأن عطاردًا جذبها ليبري له بسيف المريخ منها قلمًا.

ولم نركب في الطريق البايتون[٢]، خوفًا من انكساره لكثرة الحزون، وقطعنا نهرين على كلٍ قنطرة، وقنطرة ثانيهما من أخشاب على حجرين عظيمين مقنطرة.

= وينسبونه للسلطان فاتح بغداد مراد خان. وهو يقصد استعادته لبغداد من أيدي الصفويين.

(١) **مراد الرابع**: تملك عام ١٦٢٣م، رفعه إلى عرش آل عثمان الانكشارية لحداثة سنه حتى يصفو لهم الجو ويفرضون ما تملى عليه أهواءهم، وداموا على هذا من حالهم طيلة الأعوام العشرة الأولى من حكم هذا السلطان. وكانت فرصة مواتية لشاه إيران الذي وسع رقعة ملكه، فانتزع من أملاك الدولة العثمانية المتاخمة لأملاكه فخرج (حافظ باشا) الصدر الأعظم إلى بغداد ليستردها من الإيرانيين وحاصر بغداد، ولكن الانكشارية تمردوا واستكبروا، حتى اضطر حافظ باشا إلى رفع الحصار والعودة إلى الموصل، ومنها إلى ديار بكر، وفيها تمادى الانكشارية في عصيانهم وتمردهم فعزل الصدر الأعظم، وخرج جيش العثمانيين ثانية إلى بغداد تحت إمرة (خليل باشا) الصدر الأعظم واستولى على بغداد، وثارت فتنة الانكشارية فهدموا قصر السلطان وقتلوا حافظ باشا.

وشفي السلطان مراد الرابع غيظه من الانكشارية بقتل كل من ثبت أن له ضلعًا في إثارة الفتنة، وحاول من يدعى (رجب باشا) إثارة الانكشارية، لكن سرعان ما أمر السلطان بقتله وإلقاء جثته من نافذة القصر ليكون عبرة لمن يعتبر، ومن تحدثه نفسه بإثارة الفتن، فأمن الناس على النفس والمال بعدما كابدوا من ثورات الانكشارية ما كابدوا من شدائد ومحن. وأرسل السلطان إلى والي دمشق يأمره بمحاربة (فخر الدين) أمير الدروز بعد خروجه على الدولة، ثم مضى مراد الرابع بنفسه على رأس جيشه إلى إيران ليسترد ما سبق للسلطان سليمان القانوني أن استولى عليه من البلاد، وفتح مدينة تبريز، وتوفي عام ١٦٤٠م، ومع أنه قضى طفولته في القصر إلا أنه كان ذا نزعة حربية عارمة، ومع ذلك كان أديبًا ذواقة وشاعرًا مجيدًا.

انظر، نجيب المصري، «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ٢٠٩).

٢) كلمة تركية تعني عربة مفتوحة يجرها جوادان.

وبتنا بخير وسعادة، عند رجل يسمى عبد القادر أفندي [خزنه دار زاده][١]، ويلقب بالبحري وبالسامي، وهو حري أن يلقب أيضًا بالسحاب الهامي، وهو من أجلّة المدرسين، له من الطلبة ما يزيد على أربعين، رأيناه خزنة المكارم، في هاتيك المعالم، وفيها مفتى هرم، اسمه نوري ورسمه مظلم، وقد اختبرناه علمًا فرأيناه هيولي مجردًا عن الصورة، وجبانًا في البحث قد جعل التبالة[٢] - تبًّا له - سوره.

ومما اتفق عندي، أن صاحب البيت عرض عليّ إجازة شيخ له اسمه ذهني أفندي، وكان على ما يقول العلم المفرد، والجوهر المجرد بين علماء البلد، وكانت خاصة بعلم الفرائض، فرأيتها جامحة عن الصواب لا يروضها ألف رائض، بل هي عند من يعلم إجازة من لم يعلم، ولا أقول هي إجازة جارية[٣]، ولكن الأحرى بها أن تكون حجرًا في اليم، وبينت له أغلاطًا فيها متباينة ومتداخلة، ومتوافقة ومتماثلة، فسلم لما أنا قائل، تسليم الميت [٣٦] للغاسل، ثم ذكر أنه قد قرأ عليه

---

(١) في النسخة المطبوعة (خزينه دار زاده).

(٢) تبل: لي عندهم تبل وهو الوغم في القلب. وبينهم تبول وذحول. قال المقدام التميمي:

أبى الله أن الغدر منكم وأنكم ... بني مالك لا تدركون لكم تبلا

وتقول: لم يزل إضمار التبول، سبب إظهار الحبول، وهي الدواهي. وتبلني فلان: أصابني بالتبل. وتوبل قدره: ألقى فيها التوابل. قال لبيد:

فساقت قديمًا عهده بأنيسه ... كما خالط الخل العتيق التوابلا

وفي مثل «أهون من تبالة على الحجاج» و«ما حللت بطن تبالة لتحرم الأضياف».

ومن المجاز: تبلته فلانة إذا هيمته كأنما أصابته بتبل، وقلب متبول. قال كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وتبلهم الدهر وأتبلهم. ودهر خابل تابل. وقزح كلامه وتوبله.

انظر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، «أساس البلاغة».

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في النسختين المخطوطة والمطبوعة، حيث جاءت هكذا (حمارية).

أيضًا سائر العلوم، وكتب له إجازة في المنطوق منها والمفهوم، ووعدني بعرضها، على طولها وعرضها، وطلب رؤية التفسير، فأريناه إياه فطالع فيه غيريسير، ثم قال بأعلى صوته، هو فوق ما سمعنا من نعته، فقلت ممن سمعتم، وعمن أخذتم، فقال من ذي الخلق العطر الندي، القاضي الموفق للحكم الصحيح سالم أفندي، جاء السنة السابقة من إسلامبول، فسمعناه يقول في مدح تفسيرك ما يقول، وقد كان رآه عند حضرة مولانا شيخ الإسلام[1]، فصار له فيك على الغيب مزيد غرام وهيام، ولذا لم تغرب شمس إلا كان ذكر اسمك في سماء مجلسنا الشهاب، ونجوم كؤوس الأنس مترعة بخندريس الثناء عليك يا أبا الثناء[2] تدور بين الأصحاب، وكنا نتمنى رؤيتك ولو بالطيف، فالحمد لله تَعَالَىٰ على رؤيتي إياك وأنت لي ضيف، فعجبت غاية العجب، أن صاغ مدح الروم لرجل عصري من أبناء العرب.

ثم طلب الإجازة منى، في رواية ما تجوز روايته عني، فاعتذرت بعدم أهليتي منضمًا إلى ما قاسيته في غربتي، فقال ومنزل المثاني، هذا في غاية العجب من صاحب روح المعاني، فقلت أيها الهمام، الوقت ضيق وأريد الذهاب الآن إلى الحمام، فما فتح في الإلحاح فما، وقال نعيمًا مقدمًا، فذهبت وأبيت أن يصحبني، وخرجت قبيل المغرب وقد خرجت من ثياب دربي، وبعد العَشاء والعِشاء ذهب

---

(١) شيخ الإسلام: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسئولًا عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتيًا، بدأت ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية. انظر، سهيل صابان، «المعجم الموسوعي»، (ص: ١٤٢).

(٢) كنية صاحب الرحلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى حرمه، وأوصى باحترامي جميع خدمه، فلم أر من الإنصاف حرمانه ما طلب، فحررت له الإجازة بعيد ما ذهب.

فلما كان الصباح أنجز [حر][1] ما وعد، فعرض الإجازة الأخرى، فرأيناه بالنسبة للأولى الطامة الكبرى، وبيَّنَّا له ما فيها، وما يرد على ظاهرها وخافيها ؛ فأذعن لذلك وسلم، وعاد لطلب الإجازة على وجه أتم، فأريناه ما كتبناه، فزاد ذلك أنسه، واستخفه ما استثقله من المنة، فلم يملك نفسه، فقام على وقاره [٣٧] وجلالة مقداره، وعظم منزلته، عند أهل بلدته ؛ فقبَّل رجلي، شاكرًا فعلي.

ثم ذهبنا معه إلى حضرة الوزير، حضرة أفندينا حمدي باشا، وعنده القاضي خليل أفندي، والمفتي وجمع من الأعيان كثير، فنقل له الخبر من مبتداه، وأنهاه إلى منتهاه، فكادت روح المفتي تزهق، مما سمع وتحقق؛ حتى إذا قمنا للمسير، ودع على حسب العادة حضرة الوزير، ثم قصد وداعي، فأقبل – وداعي الأدب دعاه إلى نحو ما فعل قبل – فقبَّل، فاستعظمت ما فعل ذلك الرأس بحضور أولئك الوجوه، مع أن الداعي لم يكن فيما أرى بحيث يجره إلى هذا المقدار ويدعوه، فقلت يا سيدي لقد أخجلتني، وفوق ما يقتضي عاملتني، فاستقل ما فعل، ودعا لي بما دعا تقبله الله عز وجل.

وبالجملة، لم أر في الجملة مثله:

هو الشمس علمًا والجميع كواكب ... إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب[2]

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٢) أخذ المعنى والألفاظ من قول النابغة:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذَا طَلَعتْ لم يَبْدُ منهنّ كَوْكَبُ

أسأل الله تَعَالَىٰ أن يبقيه، ومن كل سوء يقيه.

ثم اعلم أن إجازات هاتيك الأرجاء التي رأيتها لا يعول عليها، وكم من غلط قد طوي ولا يكاد ينشر إلى الحشر بين جنبيها.

ولم أجد في صحة أسانيد الإجازات مثل ما عند علماء العرب، فحري أن تكتب بسواد العيون فضلًا عن ماء الذهب، وكم سئلت هنالك عن شيء من إثبات الأثبات من المتقدمين والمتأخرين، فقيل لي - وأبيك - ما سمعنا هذا في آبائنا الأولين.

ولما رأوا ما عندي منها عجبوا، وأحبوا أن يكتبوه وما كتبوا، نسأل الله تَعَالَىٰ لنا ولهم التوفيق، وأن يسلك بنا وبهم خير طريق.

■■■

أندروس

ولما بدت مليكة النهار، وليس في دارة الفلك الدائرة غيرها ديار

سرنا في طريق لوعره غير مأنوس، ولم نزل نسير حتى أتينا قرية أندروس [(١)]، وهي تشتمل من بيوت المسلمين على خمسين، ومن بيوت النصارى على ثلاثة من المئين، والظاهر أنه لكلٍ معبد، وفرق بين من ثلَّث ومن وحَّد، وفيها مياه وفيرة، وبساتين نفيسة كثيرة، وقد حوت أنواعًا من الفاكهة منها التوت الأبيض، ودبسه لذيذ يستغنى به عن العسل [٣٨] ويتعوض، ولا أظن من شرب منه وأكل، يقول يومًا: عسى العسل.

ومررنا على جبال حثت التراب على رؤوسها لما رأت ذوائب رياضها قد شابت، وكأنك بها تغسله بالبرد والثلج إذ رأتها قد عادت إلى عنفوان شبابها وآبت، ورأينا أودية مفعمة بكثير، من الماء العذب النمير، فخضناها، وما هبناها، والزرع هناك منه قائم يميد، ومنه ما هو حصيد [(٢)].

وبتنا عند رجل اسمه مصطفى، في بستان إذا شم القلب نسيمها غفا، وذكر لنا أن البرد في الشتاء شديد، وأن الثلج يبلغ السرة وقد يزيد.

■■■

---

(١) أندروس: ربما يعني بها أندريز: وهي بلدة في تركية الآسيوية -الأناضول- في ولاية طرابزون، لواء قرة حصار شرقي. كانت تقع جنوب شرق مدينة قويلو حصار على دائرة عرض ٤٠,١٨ وخط طول ٣٧,٥١، قريبًا جدًا مدينة صو شهر.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١١١).

(٢) تضمين لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٠].

كجه يردو

ولما ظهر في رقعة شطرنج الليل شاه النهار، والتقط بِرُخ فجره أولًا فأول ما كان في الرقعة من الأحجار

سرنا مع الرفاق وقد جدوا، ولم نزل نسير حتى أتينا قرية يقال لها كجه يردو، وتشتمل من البيوت على خمسة وعشرين، وفي رواية على ثلاثين، وكل أهلها نصارى، وفي قفر التثليث حيارى، وكان مبيتي عند كشيشهم[1] مركوس، وهو في أوحال الجهل مركوس، وقد بحثت معه، وألزمته بالحق فما سمعه، وقال نحو ما قاله من قبل المشركون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] فأعرضت عن جداله، وتركته في عريض ضلاله، إذ لم أطمع منه برشاد ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

ولم نركب البايتون لأن سيرنا كان كالعروج إلى السماء، وأنّى للبايتون[2] أن يطير في الهواء، ولقد علونا نحو ثلاثين جبلًا مصطفة على سمت القبلة، كأنها درج للسماء نصب لبعض المصطفين الأجلة، ولرب موسى وهارون لو رآها فرعون في زمانه، لما احتاج إلى ما قاله من أمر الصرح لهامانه[3]، وبين كل درجتين مياه مطردة، وزروع متعددة، هي في عنفوان شبابها، تميس بأخضر جلبابها، وليس الحصاد في حسابها، ولا خوف الرعي في أهابها.

---

(١) الكشيش هو راهب الكنيسة، وكشيش خان هي الدير.
انظر، لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ٢٦٠).

(٢) هو الفايطون المذكور آنفًا.

(٣) تضمين لقول الحق سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وآخر جبل علوناه، وبسيف التوفيق قطعناه، يحكي لارتفاعه عند كل راءٍ ما شاع من جبل قاف، ويشبه لما فيه من الموبقات صحيفة أعمى عن رشاده غدا ناظر أوقاف[1]، ولم [٣٩] أشاهد والمؤمن العائذات الطير بين هاتيك الجبال طيرًا، ولم أدر أذاك لعجزه أن يحلق للدخول والخروج أو أنه فر إذ شاهد من شدة القر هناك ضيرًا، وكانت الأشجار في طريقنا بغاية القلة، ولم أبل غلة تحيري في وجه ذلك أيضًا بعلة، وسبحان العالم بحكم الكائنات: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ [الرعد: ٤].

وفي موقع القرية نوع تفريح، لأن فضائه في الجملة فسيح، وكم من قرية قد خنقت بين فترين من الجبال، وحنقت عليها الرياح فجعلت لا تشم ريحها إلا بأنف الخيال.

■■■

(١) ناظر: بمعنى الوزير، وفي القديم كانت تطلق على من يتولى تدبير شئون الوقف. ولكن اعتبارًا من عهد السلطان محمود الثاني أطلق هذا الاسم على من يتولى الوزارة.
انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ٢٢٦)؛ مجيب المصري، «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ١٤٧).

زاره

ولما زال من أديم السماء بهقه، ولم يبق في ثوب الجو من مسك الدجا عبقه

سرنا مع السيارة، ولم نزل نسير حتى أتينا قرية زاره(١)، وتشتمل من البيوت على نحو ثلاثماية وخمسين، ومعظم أهلها من المسلمين، والبقية، على النصرانية، وفيها للجمعة جامعان، وفي أحدهما منارة كشمعدان، وقد عطر أردان ثيابها، وجعلها تميس فخرًا على أترابها، احتواؤها على نحو خمسين من طلبة العلوم، هم لحيارى أهلها أهدى من سواري النجوم.

وكان مسيرنا بين شعاب جبل عظيم، فيها أشجار بأكف أغصانها وجه المريخ لطيم، واسم ذاك الجبل عند الروم حبش، وفيه هربت بغلة عبد الباقي تنادى (أفلح من غبش)، وتبعها وصيفنا الزنجي الحمار نصيف، ولم يعودا إلا وكلٌ من قوة النصب ضعيف، وكنت لكدري العريض أنادي طول النهار، وأقول لنفسي دعي ذكرها فلا رجعت ولا رجع الحمار(٢).

---

(١) زاره: بلدة تابعة لقضاء قوجكيرلي، وعلى منتهى شمال شرق اللواء المذكور على مسافة ١٢ ساعة عن سيواس، توجد بلدة زاره. والماء الذي ينبع من جبل كمي بل والماء الذي تنبع من جبل كوسه فيجتمعان، ويشكلان نهر قزيل ايرماق المشهور، ومن توابعه ناحية عبش، وفيه (قازلي كول) بحيرة قازلي.

انظر، صائب النقيب: «جغرافية ممالك الدولة العثمانية المفصلة»، القسطنطينية، مطبعة أبو الضياء، سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م).

(٢) «فلا رجعت ولا رجع الحمار»، عجز بيت من الأبيات المشهورة التي سارت مثلا، وهو من أشعار عبد الغفار الأخرس أحد أشهر شعراء الأندلس، من قصيدته التي مطلعها:

ألا من مبلغٌ عنّي ابنَ شبلي ... رسائلَ ضمنها خزيٌ وعارُ

وفيها يقول:

ذهبت موليًا خدعًا ولؤمًا ... فلم يلحق بمذهبك الغبار

كما ذهب الحمار بأمّ عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

=

ولم أر في مسـيري طيرا وكذا لم يره أحد، غير أنه لاح من بُعد لقلق صغير الجثة أسود، ورأيت ذبابة على محدب سيف عنق الحصان، وكأنها حسبت زبد لعابه عسلًا أبيض، فصحبته من كوارة فارقناها منذ زمان.

وبعـد أن قطعنا ذلك الجبل عارضنا وادٍ أفيح، وعلـى حافتيه رياض فيها ما شـئت من العقاقـير(١) إلا الشـفلح(٢)، وهو ممتد إلى سـيواس، ويفعم بماء السـيل زمن الربيع على ما يقول الناس، وله جسـر [٤٠] من خشـب أطول من جسـر بغداد، على ظهره يمشـون إذا ملأ السيل بطنه وزاد، ويسمى ذلك بقزل أورماق(٣)، وليس ماؤه بالعذب كثير ولكنه براق، ويشـق القرية نهر صغير، ماؤه كرضاب الحبيب عذب نمير، ثم ينحدر إليه، ويجود بعذوبته عليه.

وبتنا في بيت رجل ما خرج عن طاعة أمير النجابة ولا بغى، يقال له السـيد أحمـد أفندي ابن السـيد خليل أغا، وهو من أجلة أهل ذلك المكان، وقد ذاق من حلاوة العلم ما ذاق بطرف اللسـان، والتمس منا الإجازة بما قـرا، فأجزناه جزاء ما تفضل به من فاضل القِرى.

= انظر، اليوسي: «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، (ص: ٣١٠).

(١) في النسخة المخطوطة (العقارير).

(٢) الشفلح من النباتات الطبية المنتشرة في معظم بلدان الخليج العربي ويعرف علميا باسم (القبار الشوكي).

(٣) قزل إرماق Kizil Irmak (هاليس Halys) نهر في تركية الآسيوية - الأناضول- ينبع في الطرف الجنوبي لجبل كمن بلي داغ Guemin- beli -Dagh، في نجد قبدوقية، ويصب في البحر الأسود بين مدينتي سينوب وصامسون. قزل إرماق أي: «النهر الأحمر»، طوله ١٤٠٠ كم، أطول أنهار تركيا، قديمًا: هاليس Halys، نهر كبير في آسيا الصغرى.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، (ص: ٣٩٨).

قوج حصار

ولما بدت تتهادى غانية الشمس كالرداح،
وسالت بأعناق مطايا أشعتها البطاح(١)

سرنا مع من سار، ولم نزل نسير حتى أتينا على الفايتون قوج حصار(٢)، وتشتمل من البيوت على نحو ثمانين، وأكثر أهلها والحمد لله تعالى من المسلمين، وفيها جامع تقام فيه الجمعة، له إمام لكن لم أجتمع معه.

وكنا نسير في طريق وعره يسير، ونزلنا في الطريق هنيهة عند يار حصار، فشربنا مخيضًا باردًا وشراب بُن حار.

وبتنا عند رجل اسمه السيد حسين بن السيد عصمان(٣)، ولم يقصر في الإكرام حسب الإمكان.

---

(١) التضمين هنا من الأبيات التالية:

ولمَّا قَضَيْنا مِن مِنىً كُلَّ حاجَةٍ ... ومَسَّح بالأرْكان مَن هو ماسِحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَطايا رحالُنا ... ولا يَنْظُرُ الغادِي الذي هو رائِحُ
أَخَذْنا بأَطْرافِ الأحاديثِ بَيْنَنا ... وسالَتْ بأَعْناقِ المَطِيِّ الأباطِحُ

وهي أبيات مشهورة نسبت لأكثر من شاعر، فقد نسبها أبو الحسن البصري في الحماسة البصرية إلى عُقْبَة بن كَعْب بن زُهَيْر، (١٤٩/١)؛ والجرجاني في «الوساطة بين المتنبي وخصومه إلى ابن الطّثريّة، وغيرهما إلى كثير عزة».

(٢) قوج حصار: ثمة ثلاثة مدن تحمل هذا الاسم وهي: قوج حصار Kodj-Hissar: بلدة في تركيا الآسيوية - الأناضول - في ولاية بوزاووق، لواء كنغري. وتعرف باسم قوج حصار: إلقاز، وهو اسمها الحالي، تقع شمال مدينة كنغري، على دائرة العرض ٤٠,٥٦، وخط الطول ٣٣,٣٨.
قوج حصار قرمان Kodj-Hissar Karaman: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول - في ولاية قرة مان، لواء نيكده، قريبًا من ضفاف بحيرة طوز كولي. وهي اليوم: شرفلي قوج حصار، تقع إلى الشرق من البحيرة، على دائرة العرض ٣٨,٥٦ وخط الطول ٣٣,٣٣.
قوج حصار كولي Kodj-Hissar Guelu.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٤٠٦).

(٣) في النسخة المطبوعة (عثمان).

سيواس

ولما امتلأت كئوس الآفاق نورًا،

ورأينا الضياء يدرجه الغرب ودرج الصباح منشورًا

فاختلط الليل والنهار كما تخلط كف مسكًا وكافورا [١]

سرنا بمزيد استئناس، ولم نزل نسير حتى دخلنا الساعة الرابعة سيواس، وقد خرج لملاقاة حضرة أفندينا حمدي باشا رأس الوزراء الوجوه، فانشرح بملاطفته صدر كل منهم فوق ما يرجوه.

وهي بلدة تشتمل من البيوت على نحو سبعة آلاف، ومعظم وجوهها خيار ليس بينهم كثير اختلاف، يحبون الغريب، ويقابلونه بالإكرام والترحيب، وحللت في بيت خواجكان [٢]، قلما يسمح بمثله الزمان، اسمه عبدي أفندي، والحرية تقول هو حري أن يكون سيدي.

---

(١) البيت من شعر كشاجم، وقد رواه له أبو إسحاق القيرواني في «زهر الأداب وثمر الألباب» في مقطوعته:

سَقْيًا لليلٍ قصرْتُ مُدَّتهُ ... بدير مُرَّانَ مَرّ مشكورا
وبات بَدر الدجى يشعشعها ... نُوريّةَ تملأ الدُّجَى نُورَا
غارَت على نفسها وقد سَفرت ... فعاد جيبُ الحباب مزرُورَا
حتى رأيت الظلامَ يدرجُه الـ ... غرب ودَرجَ الصباح منشُورا
فاختلط الليل والنهارُ كما ... تخلط كفٌّ مسكًا وكافورا

انظر، الحصري: «زهر الأداب وثمر الألباب»، (٢/١٤٩).

(٢) خواجكان: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): وأوجههم من سائر الناس. ذو الذهن المزري بالنبراس. صاحب الأخلاق الحسان. حر النفس (عبدي أفندي) خواجكان. وهو الذي نزلت في داره العامرة. فكانت سحب هممه بوابل المسرة لي غامرة. رأيته ينشد بلسان حاله. وشفتي فضله وأفضاله.

وإني عبد الضيف ما دام نازلا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

وزارني قاضيها درويش محمد أمين أفندي الملقب بالصافي، فلاح لي أن حظه من [٤٢] الوفاء مع الأخلاء وافي، وله قلب طائر في جو محبة حضرة الباز الأشهب، والمحلق بجناح التوفيق إلى الغيب الأغيب، قدس الله تَعَالَىٰ جليل سره، وأظلنا بجناح بره، وإخلاص يفوح نشره، مما يبدي لحضرة نقيب أشراف[١] العراق السيد علي أفندي، حيث إنه فرخ ذلك الباز، ومجاز السلوك إلى الحقيقة من سباسب المجاز، وقد جعل القاضي ذلك الحب والإخلاص، سببي خلاصه يوم يؤخذ بالأقدام والنواص، ولم يقيد في سجل أعماله سواهما سببا، بل لم أر له في غيرهما ولو قطع إربًا إربًا.

وزرنا جاشغون أفندي مفتي البلد[٢]، حيث تخلف عن زيارتنا لمرض عرض لجوهره فكتب يعتذر اعتذار الولد، فرأيته شيخًا قد أكل الدهر عليه وشرب، ومزق أديم عيشه كلب الفقر الكلب، فهو بين أبناء بلده أفلس من ابن المذلق[٣]،

(١) نقيب الأشراف: الشخص المعين من قبل الدولة والمتفق على منصبه في الإشراف على الأمور المتعلقة بالسادة والأشراف المنتسبين للسلالة النبوية الشريفة من ذرية سيدنا الحسين والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وكان يقيم في العاصمة وله وكيل ناحية يسمى قائمقام، كما كان يحافظ على السجلات الخاصة بأنسابهم وحقوقهم والامتيازات الممنوحة للسادة من لدن الدولة.
انظر، محمد عبد اللطيف هريدي: «شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق»، (ص: ٥٨)؛ سهيل صابان، «المعجم الموسوعي»، (ص: ٢٢٤).

(٢) جاشغون أفندي: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): فيها علماء أفضلهم (جاشغون أفندي) المفتي وهو على كبر سنه أشد حياءً من ذوات الحجال. وعلى قلة ذات يده أكرم من ابن مامة وابن سعدي بين الأمثال. وفيها وجوه أوجههم من زمرة العلماء.

(٣) أفلس من ابن المذلق: رجل من عبد شمس بن سعد بن زيد مناة وكان لا يجد في أكثر أوقاته في بيته قوت ليلة واحدة وكذلك كان أبوه فقال الشاعر في أبيه:

فإنك إذ ترجو تميما ونفعها ... كراجي الندى والعرف عند المذلق

انظر، أبو هلال العسكري: كتاب «جمهرة الأمثال»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، (١٠٧/٢).

مع أنه بالنسبة إليهم في الفصاحة كالساعدي[١] وأذلق، ولما شممت بخر إفلاسه من تصاعد أنفاسه، عرضت ذلك لحضرة الوزير، فأرسل إليه بصِلة وعائد توقير.

واجتمع لرؤيتي في مجلسي علماء أعلام، وطلبة علم منهم قعود ومنهم قيام، فأثيرت مطايا البحث في فلوات المشكلات، فليتك شهدت فشاهدت ما صنعت مطية فكري في هاتيك الفلوات.

---

(١) يعني بالساعدي قس بن ساعدة الإيادي، ويضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والحكمة. فهو خطيب العرب وحكيمها، وعُمِّر ثلاثمئة سنة، وزاد عليها سنين. وقيل إنه أدرك رأس الحَواريين «شَمعون الصَّفا». وكان مُوحِّدًا لله عزَّ وجلَّ في الجاهلية.

وعن الشَّعبي عن ابن عباس، قال: قدِم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ فلما فرغوا من شأنهم، قال لهم: هل فيكم أحدٌ من إياد، قالوا: نعم، قال: أفيكم أحدٌ يعرف قُسَّ ابن ساعدة الإيادي، قالوا: نعم، كلُّنا نعرفه، قال: فما فعل، قالوا: هلك، قال: ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام يخطب الناسَ على جمل له أحمر، وهو يقول: يا أيُّها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، مَنْ عاش مات، ومَنْ مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت.

أما بعد فإن في السماء لخبرًا وإنَّ في الأرض لعبرًا، سقفٌ مرفوع، ونجومٌ تمور، وبحارٌ لا تغور، وتجارة لن تبور، أقسَمَ قسّ بالله وما أثِمَ لئنْ كان بعض الأمر رِضىً لك إن في بعضه لسخطًا وما هذا لعبًا، وإن من وراء هذا لعجبًا، أقسَمَ قسّ بالله إن لله دينًا هو أرضى له من دينٍ نحن عليه، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرَضوا فأفاقوا، أم تُركوا فناموا، قال: وقال رسول الله ﷺ: لقد سمعته ينشد أبياتًا لا أحفظها، فقال بعضهم: أنا أحفظها يا رسول الله، قال: قُل، فقال:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائرْ
لما رأيتُ مواردًا للموتِ ... ليس لها مصادرْ
ورأيت قومي نحوها ... يمشي الأصاغر والأكابرْ
لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الباقين غابرْ
أيقنتُ أني لا محا ... لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

انظر، الجاحظ: «البيان والتبيين»، (ص: ١٦٣)؛ بهاء الدين الإربلي: «التذكرة الفخرية»، (ص: ٢٥)؛ «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة»، (ص: ٣٠٥)؛ الجرّاوي: «الحماسة المغربية»، (ص: ١٣٥).

وسألني معرضًا بي مفتي النظام في هاتيك الديار، عن قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: ١١٣] فذكرت ما ألجم فاه، وأبكى عليه أوليائه وأضحك عداه.

وزارني أوليا أفندي المفتي السابق[١]، فرأيته ذا خلق رايق فايق، فاتخذته وليًا، وأنزلته من قلبي مكانًا عليًا.

وزارني من إخواني النقشبندية، المنسوبين للحضرة الضيائية الخالدية، ذو الأخلاق المستجادة، محمد أمين أفندي القيصري طويل زاده، والشيخ المجد السيد درويش محمد، والمشغول بالكلام القديم عن حديث زيد وعمرو، الحافظ المقرئ الحاج أبو بكر.

ومن المنتمين إلى حضرة الشيخ محمد جان الهندي[٢]، أحد خلفاء حضرة مولانا الشيخ عبد الله الدهلوي النقشبندي[٣]، ذو القدر الجليل الجلي، السيد

(١) أوليا أفندي: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): رجل يقال له أوليا أفندي، كان مفتيًا فترك باختياره الإفتاء. حيث رأى الابتلاء بذلك من مر القضاء. فهو اليوم في ذلك البلد. محترم مكرم عند كل أحد. ذو خلق ألطف من النسيم. وفكاهة ألذ من التسنيم. ولباس كلباس الشيوخ. غير أنه ليس له مثلهم فخوخ. فكأنه أحد الأولياء. في هاتيك الأرجاء.

(٢) محمد جان: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته (غرائب الاغتراب): حضرة مولانا الشيخ محمد جان. أحد خلفاء ذي المدد العلوي. شيخ مشايخنا الشيخ عبد الله الدهاوي. وكان للمرحومة والدة السلطان. اعتقاد به محكم الرابطة قوي الأركان. فكانت تتردد إليه كثيرًا. وتستفيض مما أفاض الله تعالى عليه. وبذلك نال اعتبارًا عظيمًا وفخرًا. حتى ظن أكثر الناس أنه سيصافح المشيخة الكبرى. وهو أحد أعضاء مجلس الأحكام. وله مع ذلك النظر في أموال الأيتام. فلله تعالى در همته. مع اختلال نصف بنيته. وقد جالسته كثيرًا فرأيته من الأخيار. وصح عندي أنه يكرم الغرباء من سائر الأمصار. وله أبناء في غاية الكمال. كأنهم من حيث الحياء مخدرات الحجال. وهو اليوم في زمرة أرباب القلم. وفضلهم فيما بينهم كنار على علم. وله سلمه الله تَعَالَىٰ طبيعة شعرية. وقريحة في النظم مرضية.

(٣) الشيخ عبد الله الدهلوي: أفرد له البيطار في حلية البشر ترجمة مطولة جاء فيها: الشيخ =

محمد ذهني أفندي الزارلي [٤٣].

= عبد الله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي بن شاه عبد اللطيف الدهلوي، شيخ مشايخ السادة النقشبندية، وأستاذ أهل الطريقة الفاضلة العلية.. نال قدس الله سره من العلوم الإلهية ما نال، ومن المقامات العلية ما لا يخطر ببال. وذلك أن هذا العزيز، بعد ما بلغ سن التمييز، أكب على تحصيل الفضائل.. إلى أن أصبح في كل علم إمامًا، فزاد إقدامًا على الترقي في المعالي واهتمامًا، فصعد النظر إلى قمر المعارف، فرأى نوره مستمدًا من شمس أستاذه العارف، فقصد على جنائب العزم جنابه، ويمم بالهمم الكبار رحابه، فأقبلت به نسمة القبول، على حرم مراحم الوصول، إلى ذلك المقام المأمول، مقام المرشد العظيم.. وكان خير خلف، لأشرف سلف. قام بتأييد الشريعة المحمدية، وتجديد معالم السنة السنية..

شذرة من خبره وذرة من أثره: ولد قدس سره عام ثمان وخمسين ومائة وألف في قصبة بتاله ضلع بنجاب وجاء تاريخ ولادته مظهر جود وهو من آل البيت الكرام غير أني لم أقف على نسبه الشريف. وكان والده الشريف الشاه عبد اللطيف عالمًا عارفًا صالحًا زاهدًا كبير الشأن قادري الطريقة..

وكان قدس سره في الذكاء آية باهرة، حفظ القرآن المجيد في شهر واحد، وأكب على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها، حتى أصبح عالم عصره... ومن التمسك بالسنة المطهرة ما لا يدرك شأوه، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يهاب معه الأمراء والملوك كما يعلم ذلك من مطالعة مكتوباته... وكان قليل النوم جدًا، فإذا قام إلى التهجد أيقظ النوام ثم يتهجد ويجلس للمراقبة، ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء. وكان ورده في كل يوم عشرة أجزاء ثم يصلي الصبح جماعة في وقت الغلس، ثم يلتفت إلى حلقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق. وكان رباطه لا يستوعب المريدين لكثرتهم، فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة، ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قرب الزوال، فيتناول الغداء. وكان إذا أرسل إليه أحد الأغنياء طعامًا نفيسًا لا يأكله بل يكره أيضًا أن يأكل منه المريديون، وإنما يهديه لجيرانه، ومن كان حاضرًا عنده من أهل البلدة... وكان بعد تناول الغداء يقيل قليلًا، ثم يشتغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرهما والتحارير الضرورية، ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير إلى العصر، فيصلي ثم يقرأ حديثًا وتصوفًا كمكتوبات الإمام الرباني وعواف المعارف ورسال القشيري، ثم يجلس في حلقة الذكر والتوجه العام إلى الغروب، وبعد صلاة المغرب يتوجه لخواص السالكين، ثم يتناول العشاء حتى إذا صلى العشاء أحيا عامة ليله بالذكر والمراقبة، فإذا غلبه النوم اضطجع في مصلاه..

وروى بزلال زيارته رياض جنان جناني، الحافظ المقري محمد عطائي أفندي البستاني، وهو من خلفاء الشيخ شمس الخلوتي السيواسي(١)، أوقد الله تَعَالَىٰ من جذوة أشعة أمداده نبراسي.

وحباني بزيارته وحياني، السيد محمد(٢) أحد ذرية الشيخ عبد الرحمن الأرزنجاني، وكذا ذو القدر العلي السيد صالح أفندي الدارندلي، وجناب ذي الخلق الرندي، المقري الحافظ حسين أفندي، ولهذا الفاضل إطلاع بالتاريخ عجيب، ووقوف على تراجم المشايخ - قدست أسرارهم - غريب، ولذا أنست به أكثر من أنسي بصحبه، وقد زاروا مجتمعين، حط الله تَعَالَىٰ عنهم أوزارهم أجمعين.

وسمعت درس رجل يدعى مصطفى أفندي دباغ زاده، فرأيته قد تدرع جلد كذب قد أنتن، فلا تصلحه الدباغة المعتادة، ومنه والعياذ بالله تَعَالَىٰ ما يخل

---

(١) السيواسي: أحمد بن محمد بن عارف شمس الدين أبو الثناء الزيلي الرومي السيواسي الحنفي الصوفي المتوفى سنة ١٠٠٦ ست وألف له من التصانيف إرشاد العوام. ترجمة الهي نامه للشيخ عطار نظمًا. ترجمة منطق الطير كذا. جلاء العيون العرائس المخدرة. الحجة الإلهية في الأمر بالمعروف. حل معاقد القواعد اللاتي ثبتت بالدلائل والشواهد. الحياض من صوب غمام الفياض في مناقب أبي حنيفة. دائرة الأصول. ديوان إلهيات وغزليات. رسالة التأويل نظمًا ونثرًا. رياض الخلفاء الراشدين. زبدة الأسرار شرح مختصر المنار. سليمان نامة في التاريخ. شرح غزليات السلطان مراد خان الثالث. صفائح النوائح في التوحيد. عبرت نما. عمدة الدين في القواعد...قصة موسى والخضر عليهما السلام. كلشن آباد في التصوف. لطائف الآيات ونقوش البينات. مرآة الأخلاق ومرقاة الأشواق منظومة تركية. منازل العارفين. مناسك الحج. مولد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. نقد الخاطر في التفسير. هشت بهشت منظومة.

انظر، الباباني: «هدية العارفين»، (١٧٢/١).

(٢) الدارانده لي نسبة إلى دارانده من أعمال سيواس [منه].

بمنصب النبوة، ويحكم على قائله بما يكره من له أدنى معرفة بالفتوى والفتوة، فأخبرت بذلك حضرة الوزير، فأمر القاضي أن ينهاه عن ذلك الأمر الخطير.

وفي البلد من الجوامع ما يزيد على ستين[1]، وما فيه منارة منها نحو تسعة وأربعين، وفيها عدة حمامات تزيد خدمة دلاكيها الداخل انتعاشًا، وأجودها على ما سمعت حمام الوزير سعيد باشا، وقد دخلته فأزلت فيه الدرن، ولم يكن فيه إذ ذاك دلاك حسن.

وكذا فيها عدة مدارس، معظمها بوحوش الجهلة أوانس، وماؤها في الطرق سار وساير، لكن فيه على التحقيق نجس وطاهر، وهواء البلد وخيم، والبلاء في شتاها من البرد والوحل عظيم، وجوه أرجائها قتره، ومن البساتين النفيسة مقترة، وهي في نظري على علاتها، خير من ديار بكر وجاراتها.

وتشرفت فيها بزيارة مرقد حضرة الشيخ شمس السيواسي – قدس عزيز سره – فظهر لي ظهور الشمس في رابعة النهار امتلاء قدره وعلو قدره، وزرت أحد أبنائه، وأحد خلفائه ذا البدن الجسيم، جناب الشيخ إبراهيم، فرأيته للبله والعي ثالث ثلاثة، وتحققت أن مشيخته محض وراثة.

وبقيت فيها خمسة [٤٤] أيام، أقوم وأقعد على فراش احترام وإكرام، وقد صنع معي حضرة الوزير من النجابة الظاهرة ما لم يخطر بضمير. أسأل الله تَعَالَىٰ بحرمة كل ولي أن يكون سُبْحَانَهُ له كما كان لي.

■■■

---

(١) تقام فيها الجمعة [منه].

قارخين

ولما مالت سواري النجوم للغروب،

وشقت الدجنة من مزيد أسفها عليها الجيوب

وحاكى اخضرار الفجر صرحًا ممردًا وفيه لآلٍ لم تشن بثقوب[(١)]

خرجنا على بركة الله تَعَالَىٰ بنية التوجه إلى صمصوم، وسائلين من لا يخيب سائلًا أن يمسك عنا سائل الغموم والهموم، وكان ذلك الزمان ثالث عشر شهر رمضان، وقد صحبنا محمود الخصال، والمقدام إذا أحجم الأبطال، محمود أغا مولى الوزير الخطير والمشير الكبير، شيخ الحرم[(٢)]، وروح شيخ الكرم، وزير

---

(١) البيت عزاه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء لابن طباطبا مع بعض التغيير:
كأن اخضرار الجو صرحٌ ممردٌ
وفيه لآلي لم تشن بثقوب
وقد عزاه بنصه العباسي في معاهد التنصيص لعلي بن محمد الكوفي، وكذلك الحُصري في زهر الآداب وثمر الألباب، من قصيدة مطلعها:

متى أرتجي يومًا شفاء من الضنا إذا كان جانيه عليَّ طبيبي
ولي عائدات شُقْتهن فجئن في لباسِ سوادٍ في الظلام قَشيبِ

ومنها:

كأن رسول الصبح يخلط في الدُّجى شجاعة مقدام بجبن هَيوب
كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقوب

وقد عزاه النويري في «نهاية الأرب» لأبي محمد العلوي.
انظر،الراغب الأصفهاني: «محاضرات الأدباء»، (٦٨/٢)؛ العباسي: «معاهد التنصيص»، (٤٥٧/١)؛النويري: «نهاية الأرب» (٣٥/١)؛الحُصري: «زهر الآداب وثمر الألباب»، (١٣٢/٢).

(٢) شيخ الحرم: كان هذا اللقب عند المماليك شيخ البلد، أي شيخ جامع البلدة، وقد كان الأمير المملوكي المرسل من الدولة المملوكية يختلف عن الباشا المرسل من استانبول، فقد كان شيخ البلد عند المماليك هو أعلى رتبة عندهم، يليها إمارة الحج. وكانت إمارة الحج تمنح لمن سيتولى شؤون الحجاج في سنته.
انظر، منير أطالار: «الصرة الهمايونية» (١٦٠).

العلماء، وعالم الوزراء، الوالي الأسبق في بغداد، داود باشا[١] كان الله تَعَالَى له يوم التناد، ومعه ولده البدر الأوحدي، ذو الشمائل اللطيفة علي ياور أفندي، والأخ الذي باطنه كظاهره جلي، السليم الحليم الحاج يوسف أغا الموصلي، ورئيس الأطباء[٢]، الذي لم يخرج عن قانون الوفاء، العجمي الهندي، الحاج عبد الله أفندي.

---

(١) داود باشا (١١٨٨- ١٢٦٧هـ/ ١٧٧٤- ١٨٥١م): داود باشا والي بغداد. كرجي الأصل، مستعرب. جلبه بعض النخاسين إلى بغداد وعمره ١١ سنة فاشتراه أحد الولاة (سليمان باشا) وعلمه، فقرأ الأدب العربي والفقه والتفسير، ونثر ونظم باللغات العربية والتركية والفارسية. وأجازه علماء العراق. وتقدم في الخدم السلطانية إلى أن جعله سعيد باشا (ابن سليمان باشا) قائدا لجيش العراق (كتخدا) سنة ١٢٢٩ هـ. وكانت الفوضى عامة، فقمعها. وقوي شأنه، وخافه سعيد باشا فعمل على التخلص منه ولو بالقتل. وشعر داود، فترك بغداد وقصد كركوك (١٢٣١) وكتب إلى الآستانة، فجاءه (الفرمان) بولاية بغداد وعزل سعيد، فعاد إليها (١٢٣٢) ونظم أمورها بعد أن قتل سعيدا وآخرين.

وطمح إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية، فجلب الصناع من أوربة، وأمر بعمل المدافع والبندقيات في العراق، وبلغ جيشه أكثر من مئة ألف. واستولى على الإحساء أيام كان إبراهيم (باشا) ابن محمد علي يتوغل في نجد. وطمع بالاستيلاء على بلاد فارس ولم يتهيأ له ما تهيأ لمحمد علي بمصر من الاستقلال، فانه لما استفحل أمره وجه إليه السلطان محمود جيشا في نحو ٢٠ ألفا وانتشر الطاعون في داخل بغداد، فكان يموت كل يوم ألوف، وقيل: مات به من أولاد داود لصلبه عشرة أولاد يركبون الخيل. فانكسرت نفسه، وصالح قائد الجيش على أن يسلمه بغداد ويرحل إلى الآستانة. ورحل (سنة ١٢٤٧هـ) فأكرمه السلطان محمود ثم ابنه السلطان عبد المجيد، ولقب بشيخ الوزراء. وأرسله عبد المجيد شيخا للحرم النبوي سنة ١٢٦٠ فظل في المدينة، مشتغلا بالعلوم والتدريس إلى أن توفي، ودفن في البقيع. ومن آثاره فيها البستان المعروف بالداودية. وعلى اسمه ألف عثمان بن سند البصري كتابه (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود).

انظر، «الأعلام» للزركلي (٣٣١/٢)؛ «حلية البشر» (١/ ٥٩٧ - ٦٠٧).

(٢) رئيس الأطباء: كان يوجد لدى العثمانيين كبير للأطباء يعني بالشئون الصحية، خاصة للموجودين في السراي، وعلى رأسهم السلطان وعائلته، كما يقوم بإدارة المؤسسات الصحية =

وقد عين لخدمتي الوزير ذو الحضرة العلية، نفرين من أعيان الضبطية، فسرنا بين أودية وتلال، وجبال تضاءلت من صنع حوادث الأيام والليال، حتى أتينا ولنا من الأين أنين، قرية يقال لها قارخين.

وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو خمسين، ولم نر فيها والحمد لله تعالى سوى المسلمين، وفيها جامع لهم، قدموا فيه للصلاة بهم أجلهم، وأمامها فضاء عظيم، يتنزه فيه عليل النسيم، وأكلنا أثناء السير مشمشًا قيسيًا، لو رآه قيس غيلان[1] لحسبه نجومًا ملئت حميا، ونزلت للغداء وإراحة فرسي على شاطئ نهر جارٍ قرب مكان يسمى (أوزمش تكيه سي) وهنالك قبر عليه قبة ثلجية، قد زرناه فلم نحس منه بروحانية، ومررنا على جبل في الجملة طاغي، يسمى فيما يقال يلدز داغي[2].

= في الدولة، وكان يسمى رئيس الأطباء (حكيمباشي)، وكان يتم اختيار رئيس الأطباء من بين هيئة رجال العلم، ويتولى منصبه في احتفال رسمي خاص، ومقر إقامته الرسمية في سراي طوبي قابي.

أما في الفترة التي تمت فيها الرحلة، فقد كانت في إطار حركة التغريب التي واكبت عهد التنظيمات، فقد أخذ منصب رئيس الأطباء (حكيمباشي) يفقد مكانته كمسئول عن كافة شئون الصحة في الدولة، وانحسر في مهمته داخل السراي، وذلك بعد تشكيل «الدائرة الصحية» في نظارة الحربية سنة ١٨٣٧م، ثم ظهور كلية الطب الشاهانية عام ١٨٥٠م.

انظر، أكمل الدين إحسان أوغلو (إشراف): «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة»، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، استانبول، ١٩٩٩م، (٤٧٨/٢ - ٤٨٢).

(١) تنسب إليه مجموعة من قبائل العرب العدنانية، وهو قيس بن غيلان بن مضر بن نزار.
انظر، أبو الحسن اليمني القرطبي، «التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب»، (١٨/١).

(٢) يلدز في اللغة التركية تعني النجم، وداغي تعني الجبل، فيكون الاسم (جبل النجم).

توقاد

ولما حان أن تضع الليلة الحبلى جنينها، وأبدت [٤٥] وطفاء عين الشمس من وراء حاجب الأرض جبينها

سرنا بجد واجتهاد، ولم نزل نسير حتى أتينا بلدة توقاد(١)، وهي أنفس بلدة أتيناها، وأطيب تربة رأيناها، هواؤها نسيم، وماؤها تسنيم، واسطة هاتيك البلاد وسرتها، ووجهها المتورد وغرتها، تشتمل من البيوت على نحو ستة آلاف، إلا أن الأكثر نصارى بلا خلاف، وفيها خمسة جوامع سلطانية(٢)، وعدة حمامات عن درن الاعتراض نقية، ولها قلعة قد امتطت الجوزاء، وناجت أبراجها بروج السماء، وبساتين غدت مرتع النواظر، ومتنفس الخواطر.

وبالجملة، قد فازت من محاسن البلاد بأجلها، وبلا تطويل لا عيب فيها سوى [بعض](٣) أهلها، فالمعظم قد ملأ من العيب عيبته، والمعظم من أخلى من المحاسن حقيبته، بل إن رأيت فيها غير ذلك فهو غريب، أو أن ذلك من العجب العجيب(٤).

ولما حللت نواحيها، سبق نفر من الضبطية فأخبر مفتيها، واسمه السيد أحمد، وهو علم عن المعنى الأصلي مجرد، وقال إن فلانا ضيفك هذه الليلة، فقال

---

(١) توقاد: توقاد (Tokad Comana Pontica): مدينة في تركية الآسيوية/الأناضول في ولاية ولواء سيواس. تقع على دائرة عرض ٤٠,١٩، وخط طول ٣٦,٣٤.
انظر، انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٢٢٢).

(٢) جامع السلاطين: الجامع الذي كان يتم بناؤه من لدن السلطان العثماني أو ولي العهد أو الأمراء المنتسبين للأسرة المالكة.

(٣) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٤) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

منزلي ضيق والخان أوسع له، وكان في المجلس قاضيها [ذو الفضل الندي][1]، عبد السلام أفندي[2]، فقال للنفر إن فلانًا لا محالة ينزل عندي، وتكلم بكلام تخفق منه أجنحة تواضعه، وأدى المرام بلفظ طيب يدل بالمطابقة على طيب مراضعه، ثم كر على المفتي بالملامة، وهو غريق في بحر اللئامة، فنفر إلينا النفر، وأخبرنا الخبر، فقلت: أنا راضي، بحكم هذا القاضي، وتوجهت إلى مقامه، رغبة فيه دون طعامه، وفي أثناء الطريق، استقبلنا رسول المفتي يدعونا إلى محله الذي وصفه بالضيق، فقلت معاذ الله تَعَالَىٰ أن آتى محله وإن كان واسعًا، ويأبى الله سبحانه إلا أن أنزل في بيت القاضي ولو كان شاسعًا، وبقيت على عزمي الماضي، حتى حللت منزل القاضي، فتلقاني ورحب بي كأنه من خاصة صحبي، وبلا ريث جاء المفتي معتذرًا، فلم أقم له، وجعلت أتوسمه، فإذا هو قد جمع اللؤم كله، قد نسج من شيبه، مخلاة لعيبه، وخبَّأ [٤٦] بين أكوار عمامته، صنوفًا من لئامته، وبرقع ببردته، ألوفا من حيلته، وقد أفهمني أثناء الكلام، أنه من السادات الكرام[3]، فأنشدت له، قول بعض الأجلة:

قال النبي مقال صدق لم يزل	يحلو لدى الأسماع والأفواهِ
إن فاتكم أصل امرئ ففعاله	تنبيكم عن أصله المتناهي
وأراك تسفر عن فعال لم تزل	بين الأنام عديمة الأشباه
وتقول إني من سلالة أحمد	أفأنت تصدق أم رسول الله

فما درى المبنى، ولا فهم - والله - المعنى، حيث إنه من [الأتراك][4] قولًا

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة. (٢) من أهل سيواس [منه].

(٣) السادات والأشراف هم نسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهما الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) في النسخة المطبوعة (الأعجام).

وفعلًا، وما شعر بشعر العرب أصلًا، ثم قام يجر ذيل الجهل، ولله تَعَالَىٰ الحمد على أن لم يكن لمثله عليَّ فضل:

فما كل ذي خضراء أدعوه سيدًا ولا كل ذي نعماء أرضاه منعما

ولذلك القاضي ذي الخلق الوردي، ابن أخ يدعى بمصطفى أفندي، وهو نائبه أيضًا وصهره، وإليه ينتهي في المصالح أمره، لم يقصر في خدمتي، ولم يزل يتعهدني طول ليلتي.

وسمعت في بعض جوامعها رجل يعظ الناس، هو في الكذب دون واعظ سيواس، وقرأ حديث (سبعه يظلهم الله)[١]، فورب العرش العظيم لقد غلط سبعة أغلاط في لفظه ومعناه، وبعد فراغه سألته عن جواب تناقضٍ لزمه، فما وعى كلامي أصلا ولا فهمه، [فتدحرج][٢] رجل فأجاب بما يضحك الثكلى، ويذهل عن تعهد نفسها الحبلى، ولما شرعت أبين له ما فيه من الأغلاط، أكثر عليَّ - لا أكثر الله تَعَالَىٰ أمثاله - الهياط والمياط[٣]، فاجتمع الناس على رأسي،

---

(١) عن أَبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأ في عِبَادَةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ، فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

انظر، النووي: «رياض الصالحين».

(٢) في النسخة المطبوعة (فعندها).

(٣) قيل: الهِيَاطُ: الاجْتِمَاع. والمِيَاطُ: المُبَاعَدَةُ. وقِيلَ: الهِيَاطُ: اجْتِماع النّاس للصُّلْحِ. والمِيَاطُ: التَّفَرُّق عَنْ ذلِكَ وقِيلَ: الهِيَاطُ: الصِّياحُ والجَلَبَةُ والصَّخَبُ. والمِيَاطُ: التَّنَحِّي. وقِيلَ: الهِيَاطُ والمِيَاطُ هما قَوْلُهَم: لا واللهِ وبَلَى واللهِ.

انظر، مرتضى الزَّبيدي: «تاج العروس من جواهر القاموس» (١/٥١٢).

فغشـيت منهم أن يطفوا نبراسي، فخرجت مهرولا، أنادي: لا حول ولا، وسَئَلت عـن هذا الفظ، بعـد أن تفرق الجمع وانفظ، فإذا هو أمين ذلك الخائن، والمفتي الماجن، فقلت: وافق شـن طبقه[1]، وسـبحان من قيّض كلا لصاحبه [٤٧] وخَلَقه.

وكان في معظم الطريق جبال ووهاد، لا تكاد تُسلك شعوبها إلا بدليل وهاد، وأشجار ملأت الأرض، حتى لا يكاد يرى منها سوى البعض.

■■■

(١) (الشن) القربة الخلق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها، جمعها شنان، وشن وطبقة اسمان لرجل وامرأة عرفا بالذكاء ومن أمثالهم (وافق شن طبقة) يضرب للمتوافقين في الشدة وغيرها. ومن هذا قول أكثم بن صيفي: إنّما الشيء كشكله. ومنه حديث عبد الله وغيره: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» الأصمعي: ومن أمثالهم في هذا قولهم: وافق شنًا طبقه. قال: وأصل الشن الوعاء المعمول من الأدم فإذا يبس فهو شن فكأن قوما كان لهم مثله فتشنن، فجعل له غطاء فوافقه. وقال بعض أهل العلم خلاف ذلك فذكر إنّه شن بن بطن من عبد القيس، والتقوا هم وحي من إياد، يقال لهم: طبق، فاتفقوا على أمر، فقيل في هذا: «وافق شن طبقه».

انظر، «المعجم الوسيط»: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط: ٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ؛ «المستقصى في أمثال العرب» (١/٤٩٧)؛ «الأمثال» لابن سلام (١/٣٣).

ترخال

ولما فرغ الناس من السحور، وفزع الأعمش إذ رأى النور في غاية الظهور

سرنا خفافًا بالأثقال، ولم نزل نسير حتى حللنا ترخال[١]، وتشتمل على جامعين فيهما الجمعة تقام، وعلى ثلثماية بيت وسوق وحمام، وعلى قلعة خراب، على هضبة من الهضاب، وعلى عدة بساتين، فيها ما يسر الناظرين، ويمر بحذائها نهر حلو المذاق، وهو النهر المسمى سابقًا بقزل أورماق، وتنعر عليه ثلاثون ناعورا، فتضحك الرياض من ذاك النعير سرورًا.

وفيها عدة مراقد للصالحين، أيقظنا الله تَعَالَىٰ من نوم الغفلة ببركتهم أجمعين، منها مرقد مولانا يوسف الخلوتي، جلى الله تَعَالَىٰ بنسائم أنفاسه سحائب محنتي، ومنها مرقد لولي يلقب بكسك باش، وتنقل خواص القرية في شأنه نحو ما تنقل الأوباش، وهو محض هذيان، يروي عن هيان بن بيان[٢]، وأقرب ما يكون في القياس، إلى جثة بغير راس.

ومعظم الطريق مزارع وبساتين، قد تشابكت أيديها ذات الشمال وذات اليمين، ولم أر بعد الخروج من العراق طريقًا مثله سهلًا، بيد أن هواء صيفه

---

(١) طورخال Tourkhal: مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول -، في ولاية ولواء سيواس. طورخال = كشان ؛ تعرف اليوم بالاسم الأول، ويكتب: Turhal، تقع بين مدينتي أماسية وتوكاد على خط العرض ٤٠,٢٤ والطول ٣٦,٠٦.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (ص: ٣٥٢).

(٢) في المَثَلِ: «هَيُّ بنُ بَيٍّ» و«هَيَّانُ بنُ بَيّان»؛ ولا يُعْرَفُ لهما أصْلٌ، وقيل: يُعْنى به البَعُوْضَةُ.
الصاحب بن عباد: «المحيط في اللغة» (٢/٤٨٢).
ويقال للرجل الذي لا يُعرف: هَيّانُ بنُ بيَّان.
انظر، ابن سيده: «المخصص»، (٤/١٣٥).

حار فلذا لا يقطع في الصيف إلا ليلًا، ونسبته في ذلك الصقع من مدينة السلام، نسبة للطائف في الحجاز من دمشق الشام، ومن الغريب أنا أمطرنا فيه وكنا في تموز(١)، ووجدنا برد هوائه نحو برد هواء الزوراء في العجوز، والمياه فيه قليلة، لكنها غير وبيلة.

وقرب القرية المذكورة أرض رخوة مشهورة، قد تغرق الخيل شتاءا في وحلها، وكذا القرية يصعب يوم المطر المشي فيها على أهلها، ورأيت سككها قذرة، حشوها - أجلكم الله تَعَالَىٰ - عذرة، واللقالق فيها أكثر من العصافير في بغداد، فسبحان من قسم مخلوقاته على البلاد كما أراد.

وفيها نائب اسمه محمد أفندي، زارني وأطال الجلوس عندي، واستأنست به غاية الاستيناس، حيث [٤٨] كان ابن جشغون أفندي مفتي سيواس، وقد ناب في اللطف مناب أبيه، فطار بقدامى جناحه وخوافيه.

وفيها مفتي اسمه مصطفى أفندي، يخيل من صفائه أنه يسر من الصلاح أكثر مما يبدي، واخترنا دار واعظها حسين منزلًا، فما أذاق فم بغيةٍ لنا كرب لا.

■ ■ ■

(١) الموافق شهر يوليو في مسميات التقويم الجولياني والجريجوري.

أزينه بازاري

ولما تبدت الشمس للأبصار، وتشافه الليل والنهار

سرنا والحمول أمامنا سواري، ولم نزل نسير حتى نزلنا أزينه بازاري[(١)]، وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو خمسين، وفيها جامع بتنا فيه بدل المصلين، لما أن أهلها خماص، وبيوتها أقفاص، على أنَّا لم نر فيها سوى الشيخ الكبير، والطفل الصغير، ومن عداهم خرج للحصد، وتهيئة ما يحتاجه أيام البرد[(٢)].

وكان مسيرنا في يوم فاختي[(٣)] الهواء، وللسماء من برود الغمام حلة بيضاء، على أرض سهلة ذات مياه وأشجار، تتمايل من لطف النسيم تمايل الخرد

---

(١) أزينه بازاري: ربما عني بها آينة بازاري Aine - Pazari: وهي بلدة في تركية الآسيوية/ الأناضول في ولاية ولواء آيدين، على نهر بيوك مدرس جايي، على مسافة ستة كيلو مترات من آيدين كوزك حصار، إلى الجنوب آثار مدينة مغنيسيا Magnisia التي على نهر الماندر Maendrum القديمة.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١٣٤).

(٢) في تلك المناطق يكون البرد شديد القسوة، وتغطي الثلوج معظم الأراضي، فلا تصلح حينها للزراعة ولا غيرها، وبالتالي يستغل الأهالي بقية المواسم في الزراعة والحصاد وتجهيز أنفسهم وأطعمتهم لموسم الشتاء القارص البرودة والخالي من الإنتاج الزراعي. لكنها تكون ليالي سمر وتزاور، حيث يجتمع أهالي القرى كل مساء في بيت أحدهم، ويبدأ الأجداد وكبار السن في سرد القصص والحكايات التي يتناقلونها كتراث شعبي، وتكون تلك الأمسيات بمثابة مدرسة يتربى فيها الجيل الناشئ من الكبار ويأخذ عنهم تراثهم وتجاربهم الحياتية، كما تكون بمثابة رابطة تجمع أهل القرية يوميا ليتدارسوا مشكلاتهم ويتعاونوا ي حلها ومواجهة ظروفهم الصعبة في شتاء الأناضول القارص البرودة.

(٣) فَاخَت الرِّيحُ تفوخُ فَوَخَانًا: سَطَعَتْ أو إذا كانَ لها صَوْتٌ، والرجلُ فَوَخَانًا: خَرَجَتْ منه رِيحٌ كأفاخَ، وأفِخْ عَنَّا من الظَّهيرَةِ: أبْرِدْ.

قال ابنُ المعتزّ:

ويوم فاخِتيّ الدَّجنِ مُرْخٍ ... عَزَالِيَهُ بهَطْل وانهمال

=

الأبكار، حتى إذا علا رونق الضحى، وبلغت الشمس كبد السما، جئنا مكانًا يقال له دربند[(١)]، ما للطف هوائه حد، فيه نهر:

تروع حصاه غانية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وتعكف عليه أشجار:

تصد الشمس أني واجهتها فتحجبها وتأذن للنسيم[(٢)]

وقريب من شاطئه حانة قهوة بُنٍ ما أحلها وأجلها، وهنالك شجرة بلوط

= وقال آخر:

ويوم فاخِتيٍّ الجوِّ رطب يكاد من الغضارة أن يسيلا

انظر، الحُصريّ: «زهر الآداب وثمر الألباب»، (ص: ٣٠٨)؛ المحبي: «نفحة الريحانة»، (ص: ١٣)؛ الفيروزآبادي: «القاموس المحيط»، (ص: ٣٣٠)؛ الجوهري: «الصحاح» (٢/٥٤).

(١) كلمة دربند فارسية تعني باب الأبواب، وهي علم للكثير من القرى والقصبات في الدولة العثمانية.

(٢) الأبيات من قول: المنازي الكاتب، وهو: أبو نصر احمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب؛ كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء، وزرلأ بي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر. وكان فاضلًا شاعرًا كافيًا، وترسل إلى القسطنطينية مرارًا، وجمع كتبًا كثيرة ثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد، وهي إلى الآن موجودة بخزائن الجامعين، ومعروفة بكتب المنازي. وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعرة النعمان، فشكا أبو العلاء إليه حاله، وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذنه، فقال: مالهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة فقال أبو العلاء: والآخرة أيضًا! وجعل يكررها، ويتألم لذلك، وأطرق فلم يكلمه إلى أن قام، وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنه وما هو عليه، فعمل فيه هذه الأبيات:

وقانا لفحه الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمإ زلالا ألذ من المدامة للنديم

يراعي الشمس أنى قابلته فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

انظر، ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، (١/١٤٤).

قطر دائرتها أكثر من ذراع لم أر في الماضي مثلها، فنزلنا عندها للاستراحة والغداء، واغتنام لطف ذلك الماء والهواء، وما أجل مبيتنا وأعلاه، حيث كان في بيت الله جل علاه.

■■■

أماسيه

ولما أقبلت رايات الصباح من الشرق،

وانفلق قلب الدجى خوفًا من ذلك وانشق

سرنا والعزائم منا عاسيه، ولم نزل نسير حتى حللنا أماسيه(١)، وهي بلدة يشقها نهر قزل أورماق، وعليها من شوامخ الجبال رواق، وفي جبل عندها غيران، كانت على ما يقال معابد للرهبان، وعليه قلعة يحسر دونها الناظر، ويقصر عنها العقاب [٤٩] الكاسر.

وتشتمل من البيوت على نحو ستة آلاف، وبينها في الحسن والظرافة ائتلاف، ومن الجوامع على نحو خمسين، وقلما تملأ من المصلين.

وعلى نحو اثني عشر من الحمامات، وعلى مثلها كما قيل من الخانات(٢)، وبساتينها ممتدة نحو ساعتين، وفيها ما تشتهيه النفس وتلذ العين، ومنه الكمثرى، التي هي أحلى من السكر وأمرى، وأنها لتذوب بلا مضغ، وتنساب إلى

---

(١) أماسيه: آماسيه (Amassia Amasea): مدينة في تركية الآسيوية / الأناضول على نهر يشيل إرماق، مركز لواء يحمل الاسم نفسه، في ولاية سيواس، مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية. تقع على دائرة عرض ٤٠,٣٩ وخط طول ٣٥,٥١.
انظر، س.موستراس، (ص: ١٠٤).

(٢) الخانات منازل صغيرة ونوع من المؤسسات الخيرية التي تقدم خدماتها من الطعام والمثوى للمسافرين والمحتاجين، والنوع الكبير منها يسمى كروانسراي، وكان يشيد كالقلاع في طرق المسافرين ليقدم لهم الطعام والمأوى ويحمي بضائعهم من اللصوص وقطاع الطرق، وكان من الناحية المعمارية قطعا فنية رائعة.
انظر، يلماز أوزتونا: «تاريخ الدولة العثمانية»، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، (٢/ ٢٩٤).

الحلقوم بلا بلع، لها نسيم العنبر والمسك الأذفر، ولون العشاق، إذا بلوا بالفراق، ومع ذاك، هي أرخص من البصل هناك.

وفي البساتين قصور، ما هبت عليها ريح قصور، وقد نزلت للاستراحة في إحداها، فتضلعت والحمد لله تعالى من كمثراها.

ورأيت ست قناطر على ذلك النهر، ثلاث منها صنعت من خشب وثلاث أحكمت من صخر، وعليه عدة نواعير تدور، وتئن أنين عاشق مهجور، قد بدت ضلوعها، وتبددت دموعها.

وصادفنا في الطريق وادٍ بين صدفين، لا يبعدان يقاس البعد بينهما بفترين، فلما أشرفت على بطنه نزلت عن ظهر الجواد، ولم أصحبه راكبًا خشية أن أفارقه إلى يوم المعاد، فقطعناه جميعًا ماشين، وما عيب منا أحد بذاك وما شين، ويسمى ذلك الموضع المسمى فيما بين الروم[(١)] بفرحات قايه سي، ويذكرون في وجه التسمية حكاية[(٢)]، هي في الغرابة غاية، وأظنهم نحتوها من جبل تَخَيُّل، وسلكوا بها وادي تَضَلُّل، وكذا صادفت جمالًا، فضاق في ذلك الفضاء عطني، وحننت ولا بدع حنين الشارف إلى وطني، وجادت سحائب أجفاني بدموع حمر، وغدت نيران جناني ترمي بشرر كأنه جمالات صفر[(٣)]، ثم ذكرت ما قاسيت في

---

(١) كان معظم العرب يطلقون اسم الروم وبلاد الروم على الأتراك ومنطقة آسيا الصغرى والأناضول، حتى فترة متأخرة من عهد الدولة العثمانية.

(٢) الحكاية وذلك أن رجلًا اسمه فرحات (فرهاد) كان عاشقًا لامرأة تسمى شيرين، وكلفته بإجراء الماء إلى أماسيه فشق ذلك الجبل من هذا الموضع لإجرائه، ولم يشق عليه، ثم لم يزل ينحت مجرى له من جبل يمين الداخل إليها من جهة بغداد حتى أخبر بوفاتها قبل الوصول إلى أماسية بنحو مسافة ساعة، فأعول وضرب نفسه بالمعول ففاضت نفسه، وكان عند منتهى المنحت في أعلى الجبل رمسه، وهناك أيضًا قبر شيرين قريبًا من قبر ذلك العاشق المسكين [منه].

(٣) تضمين لقول الحق سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢ - ٣٣].

بلدتي، فهدأت بعدما هدرت شقشقتي(١)، وقلت لقلبي وقد لامني على كربي جميع ركبي:

دعـانـي مـن نجـد فـإن سنينه　　　لعبن بنا شيبًا وشيبننا مـردًا(٢)

فضاق صدره وكاد يوسعني أذى وجعل ينادي: [٥٠]

لا أنتـهـي لا أنـثـني لا أرعـوي　　　ما دمت في قيد الحياة ولا إذا(٣)

ثم قال لي أما وحرمة الجمال، وما فيها من المنافع والجمال، لأن بقيت على قسوتك، لأفرن من قفص صدرك إلى وكر بلدتك، ثم وعدني بعد أن توعدني بأن

---

(١) شَقْشَقَ الفحلُ شَقْشَقَةً: هَدَرَ. والعصفور يُشَقْشِقُ في صوته. والشِقشقَةُ بالكسر: شيءٌ كالرئة يُخرجا البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: ذو شِقْشِقَةٍ، فإنّما يُشَبَّهُ بالفحل. انظر، الجوهري: «الصحاح» (٣٦٣/١).

(٢) البيت نسبه الهجري في كتابه «التعليقات و النوادر» إلى الصمّة بن عبد الله، ومعه قوله:

خَـليـليَّ قابلتما الهضبَ أوبَـدَا　　　لكم سَنَدُ الدكاء إن تَبْكيا جَهْدَا
سلاَ عبدْ الأعلى حَيثُ أوفى عشية　　　خزازى وَمَدَّ الطَرفَ هَل آنسَ النجدا
فَما من قلبيّ للنّجْدِ أصبَحَت ها هنا　　　إلى جبلِ الأوْشـالِ مستخبيًا بردَا
دَعـونـي مـن نَجـدٍ فـإنَّ سنينَهُ　　　لَـعِـبْنَ بِـنـا شيـبًـا وشَـيَّـبـنَـنـا مُـرْدا

(٣) البيت من شعر الشيخ جمال الدين مطروح، والقصيدة أنشدها له الشيخ بهاء الدين العاملي في «الكشكول» كالتالي:

عانقته فسكرت من طيب الشذا　　　غصن رطيب بالنسيم قد اغتذى
نـشـوان مـا شـرب المـدام وإنمـا　　　أضـحـى بحـمـر رضـابـه متنبذا
أضحـى الجـمـال بـأسره في أسره　　　فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
وأتـى العذول يلومني من بعدها　　　أخـــذا الـغـرام علـي فـيـه مـأخـذا
لا أنـتـهـي لا أنـثـني لا أرعـوي　　　عـن حبـه فـليـهـذ فـيـه مـن هـذا
والله مـا خـطـر السـلـو بخاطري　　　مـا دمـت في قـيـد الحـيـاة ولا إذا
إن عشت عشت على هواه وإن أمت　　　وجــدًا بــه وصـبـابـة يـا حـبـذا

انظر، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي: «الكشكول»، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، (٥٣/١).

الحال سيحول، ويعود المرحلوًا بعد العود من إسلامبول، فأظهرت له الوفاق، وأضمرت نحو ما يضمره بعض لبعض أهل العراق.

وأرسلت ألوكة استصحبنيها حضرة أفندينا حمدي باشا فخر الملوك، إلى والي[1] البلد ايت عمر باشا الوالي السابق في كركوك، فاصطفى أن يكون القرار، عند رجل اسمه مصطفى أفندي القاضي الأسبق في قره حصار، ومنزله لصيق خان له، وله باب يأتي منه أهله، فنزلت منه في قصر باهٍ باهر، مشرف على النهر

(١) الوالي/ ميرميران / البكلربكي: وهو رأس الحكم في الإيالة، وأطلقت عليه المصادر العثمانية إلى جانب ذلك أسمي: ميرميران، وأمير الأمراء، ثم أصبح اسمه الوالي مع مقدم القرن الثامن عشر. وكان يستخدم في النظم العثمانية في البداية بمعنى القائد «قومندان» صاحب الصلاحيات العسكرية الواسعة، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية معًا. كما كانت تستخدم البكلربكية في القرن الخامس عشر رتبة ودرجة تُمنح لكبار رجال الدولة، ولا سيما بكلربكية الروملي.
وتتوزع مهام البكلربكي على حالتين أساسيتين؛ الأولى هي: حالة السلم، والأخرى: حالة الحرب. وكانت عملية توفير الأمن في الإيالة واحدة من بين مهامه الأساسية. ونظرًا لأن البكلربكي كان رأس النظام العسكري في إيالته، والقائد العام عليها، فقد تعددت صلاحياته، وازدادت مسئولياته. وكان يقضي ثلثي حياته الوظيفية تقريبًا وهو يخوض الحرب بالفعل، أو أن ينشغل بالإعداد لها. وكانت تختلف بكلربكية الروملي عن باقي البكلربكيات من حيث أنها كانت الأولى في الدولة، ومن حيث منطقة الروملي نفسها باعتبارها «دار الجهاد»، كما كان يشارك بكلربكي الروملي في اجتماعات الديوان الهمايوني.
وعلى الجانب الآخر فإن البكلربكيين الذين تولوا على إيالات مهمة مثل: مصر، وبودين، والشام، وبغداد، والحبشة، والأحساء، واليمن كانوا يحوزون رتبة الوزراء. والمعروف أن للبكلربكي مكانة مهمة في التشريفات «البروتوكول». والحاصل منهم على رتبة الوزراء كان يلقب بلقب «أمير الأمراء الكرام»؛ بينما يلقب غير الحاصل عليها بلقب «الدستور المكرم».
انظر، أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة»، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، (١/١٩٨).

وقنطرة من القناطر، وعنده ناعور يغني ويدور، فجاءنا القاضي قبيل الغروب، ومعه ابن له كأنه رعبوب، فتفاوضنا الحديث فإذا هو أجهل من قاضي جبل، لا يعرف الحِل(١) من الجُـل(٢)، ولا القِل(٣) من القُل، وعندما نزلنا ذلك القصر المشيد، قمنا لسماع واعظ في جامع ينسب لحضرة السلطان بايزيد(٤)، فذهبنا

---

(١) حل لك الشئ يحل حلا وحلالا، وهو حل بل أي طلق. وحل المحرم يحل حلالا، وأحل بمعنى. وحل الهدى يحل حلة وحلولا، أي بلغ الموضع الذى يحل فيه نحره. وحل العذاب يحل بالكسر، أي وجب. ويحل بالضم، أي نزل. وأحللنا، أي دخلنا في شهور الحل. وأحللنا، أي دخلنا في شهور الحل. وأحل بنفسه، أي استوجب العقوبة. ومكان محلل، إذا أكثر الناس به الحلول.
انظر، إسماعيل بن حماد الجوهري: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

(٢) الجل: أَصله من الشيء الجَلِيل وقول أَوس يَرْثِي فضالة وعَزَّ الجَلُّ والغالي فسره ابن الأَعرابي بأَن الجلَّ الأَمر الجَلِيل وقوله والغالي أَي أَن موته غالٍ علينا من قولك غَلا الأَمر زاد وعَظُم. انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

(٣) النواة تنبت منفردة ضعيفة [منه].

(٤) بايَزيد الأول (٧٤٨ - ٨٠٥هـ /١٣٤٧ - ١٤٠٢م): رابع السلاطين العثمانيين واسمه بايزيد الأول ابن مراد الأول بن أورخان، ولُقّب بالصاعقة لشجاعته وسرعة تحركه للانقضاض على أعدائه. خلف والده السلطان مرادًا الأول في الحكم عام (٧٩١هـ، ١٣٨٨م)، وجرى على سياسته في الغزو والتوسع الإقليمي في الجبهتين الأناضولية والبلقانية في آن واحد. ورأى - لتحقيق هذا الهدف - أن يقيم علاقات ودية مع ما تبقى من دولة الصرب، لتكون الصرب حاجزًا بينه وبين دولة المجر، وليؤمّن ظهره حين التوسع في آسيا الصغرى. فوافق على أن يحكم الصرب ابنا لازار، ويقدما له جزية سنوية وعددًا معينًا من الجنود، وتزوج أختهما. وأطلت دولته على بحر إيجه وعلى البحر الأبيض والأسْود. ووافق السلطان العباسي في مصر على اعتماده سلطانًا. وسقطت في يده مدينة تيرنوفو البلغارية. وأعدم ملك بلغاريا عام (٧٩٦هـ، ١٣٩٣م)، وبذلك أنهى استقلال بلغاريا، وأسلم سيشمان ابن الملك البلغاري، فعينه بايزيد في منصب إداري كبير في إحدى مدن الأناضول.
أحدث سقوط بلغاريا دويًا هائلًا في أوروبا؛ فدعا سيجسموند ملك المجر والبابا بونفيس التاسع (٧٩٢ - ٨٠٧هـ، ١٣٨٩-١٤٠٤م)، إلى أكبر حلف أوروبي يواجهه العثمانيون في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي، والتقى بجيش بايزيد في معركة نيكوبوليس عام ٧٩٨هـ،
=

إلى الجامع قبيل العصر، رغبة بالسماع ومجالسة بعض فضلاء العصر، فرأيناه جامعًا جامعا الحسن كله، لم نر فيما مررنا عليه من البلاد جامعًا مثله، قد ميزه على غيره، مزيد سعة، وأشجار منها ما قطره لم نر نحوه في قطرنا ولم يخطر ببالنا أن نسمعه، قد وقع حذاء ذلك النهر الأجل، فتراه كأنه صحيفة خزنوية جرى عليها جدول، وفيه حوضان تترعهما أكف ناعورين على كتفه، ولا زالا يصفقان ويغنيان وربما حنًّا حنين النازح إلى إلفه، ولكن من بعض الحيثيات لجامع آمد الكبير، فضل عليه - إذا حققت - كثير.

ومررنا أثناء سعينا فيه بموقت خانه[(١)]، فيها عدة أشخاص عليهم سيماء العلم والديانة، فقاموا لنا مذ أبصرونا، فدخلنا عليهم فعظمونا واحترمونا، فجرى ذكر روح المعاني، وقد وصل خبره قبلي إلى هاتيك المغاني، فالتمسوا أشد التماس رؤية شيء منه، ليأخذوا ارتفاع ما سمعوه في المبتدأ من خبر المحدثين [٥١] عنه، فأريتهم بعض مجلداته، فلم أجد فيهم من يحسن قراءة شيء من عباراته، فأنى لهم بفهم رموزه وإشاراته، لكنهم أقبلوا وأثنوا عليه، وقبلوه وقبَّلوا دفتيه.

وبعد أن صليت العصر مع جمع فيه كثير، حضرت درس واعظ اسمه حسن أفندي ابن قطمير، فرأيته - لا أبا له - قد تفيء من كهف الاستكانة ظلًا ظليلًا، وتلطف في صرف ورقة الزيف - الذي ضمه وَرِقَه - فراج على السامعين

= ١٣٩٦م، وهُزم الحلف. وفرض حصارًا على القسطنطينية، ثم رفعه عندما علم بتقدم المغول تجاه آسيا الصغرى بقيادة تيمور لنك، والتقى بالمغول في معركة أنقرة عام (٨٠٥هـ، ١٤٠٢م)، فهزموه وأسروه، ومات في الأَسْر.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) المُوَقِّت هو الموظف المسئول عن التوقيت في المساجد، وكان يتم اختياره من الملمين بعلم الفلك.

انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ٢١٨).

إلا قليلًا، لكنه في الأكاذيب دون واعظ سيواس، الباسط ذراعيه في وصيد الافتراء على الله تَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى كثير من الناس، وهو أيضًا أعلم من واعظ توقاد، وأصح منه حديثًا عند المحدثين النقاد.

وزرنا بعد الوعظ مرقد الوزير الأواه، ومن لم يزل سادًّا ثغور البحر بأيدي المرابطة في سبيل الله، سيدي علي باشا[١]، زاده الله تَعَالَىٰ في غرف جنانه انتعاشًا، وهو والد حضرة الوزير، والبدر السامي المنير، حضرة أفندينا حمدي باشا، تصاغر عدوه من كبير هيبته وتلاشى.

■■■

---

(١) بالتخفيف، وذلك أنه كان واليا بالجزائر، فكان أهلها يقولون في مخاطباتهم (سِيدي) مخففا مكان (سيِّدي) مشددا كما هو لغة الشاميين ونحوهم اليوم، كذا سمعت من ابنه أفندينا حمدي باشا [منه].

فلما استتر وجه الشمس بالنقاب، وتوارت عن أعين الخليقة بالحجاب

أرسل إليّ والي البلد، فذهبت إليه أمشي على قتاد النكد، فرأيته خفيف العقل ثقيل المعاملة، لم يترك سيء الغرور من حسن الأدب نصيبًا له، [والعجب كل العجب، أنه يفتخر بما سمعت سابقا من اللقب.

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب   إلا ومعناه إن فكرت في لقبه(١)

وأعجب من ذا افتخاره بأن أمه جيلان، ويا ليت شعري هل يتولد أيت من غزلان، فقمت وأنا أدعو بأن يبيض الله تعالى راية والدته، وأن يسود سُبْحَانَهُ وجه من يميل إلى رؤيته.

ولما عدنا إلى المنزل استكشفنا أمر صاحبه القاضي من العدول، حيث أحسسنا منه أنه سجلّ مُسَاوٍ وراء طور العقول:

مساوٍ لو قسمن على الغواني   لما أمهرن إلا بالطلاق(٢)

فذكر لنا أنه الخاني في نفس الأمر، وأن القصر الذي حللناه قد قصره من حرمه لمن كان ممدود القدر، وله وكيل يبيع بالكيل مطففا التبن والشعير، [٥٢] ويناقش إذا اشترى على الفتيل والقطمير، وأيد ذلك أن خادمنا صالحا أخبرني بأنه لم يأمر بعليق للخيل، وإنما أمر بالشراء من رجل في الخان فاشتراه السايس بعد حصة من الليل، وأنه لم يحضر معنا الطعام، ولم يخطر ابنه عن

---

(١) ورد البيت في بعض كتب الأدب للدلالة على ترابط الاسم والمسمى، ولم يعزهما أحد لقائل بعينه، سوى المرزباني قال: قال بعض أصحاب ثعلب:

اسم المبرد من معناه مسترق   حقا كما اقتد داجي الليل من نسبه
وقلما أبصرت عيناك ذا لقب   إلا ومعناه إن فتشت في لقبه

انظر، المرزباني: «نور القبس»، (ص: ١٢٢).

(٢) من شعر أبي تمام.

القيــام والقعود مع الطغام، فتحقق عندنا ما توســمنا فيه، وظهر لنا والحمد لله تَعَالَىٰ خافيه، ويا سبحان الله تَعَالَىٰ بقاضٍ خاني فيما مضى من الزمان، وكأن فعل ما فعل ليقال هذا القاضي قاضي خان.

وأنى يجديه ذاك، وهل تفيد السمك دفعة حروف السماك.

وفي الحيوان يشترك اضطرارا أرسطاليس والكلب العقور[(١)](٢)

وفي البلد مفتي اســمه محمد أفندي، وقاضٍ اسمه عطاء أفندي، [وكان عرضحاليًا عند المرحوم شيخ الإســلام مكــي زاده](٣)، لم أجتمع بهما لكن مَدَحَهُما بعض من كان من أهل البلد عندي، وذكــر لي أصحابي بعد أن رجعت من الســراي، أنــه قد جاء جمع من العلمــاء فلم يجدوني في مثواي، وذلك بعد أن انتصف من الليلة عمرها، وكاد ينطفي من مجرة الجو جمرهــا، فاعتذروا عن الانتظار بأمور، والمعول عليه منها قرب وقت السحور، فعاد كل منهم إلى مقامه، راجيًا من صحبي أن يبلغوني مزيد سلامه.

■■■

---

(١) هذه العبارات غير موجودة في النسخة المطبوعة.

(٢) البيت أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان دون عزو، وقبله بيت آخر:

إذا شوركت في أمر بدون فلا يلحقك عار أو نفور

ففي الحيوان يشترك اضطرارًا أرسطاليس والكلب العقور

لكن المحبي عزاه في «خلاصة الأثر» للجالقي.

انظر، ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، (٨/ ٣١٣)؛ المحبي: «خلاصة الأثر»، (٢/ ١٢٥).

(٣) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة، وقد جاءت في حاشية المخطوط.

خان سليمان أفندي

ولما لاكت أشداق الغرب نوَّار الأنوار، وشربت أفواه أشعة الشمس قطر الندى من كئوس الأزهار

ركبنا مشمعلات السير فلم تزل بنا تخدي، حتى حللنا خانًا نفيسًا يقال له خان سليمان أفندي[١]، فأنزلونا في حجرة حذاء حانة خمار، وحوادث الدهر المخمور من قديم عجيبة الآثار، وليلًا تحولنا عنها، إلى أخرى بعيدة في الجملة منها، وكنت مقعدًا في الأولى لما عراني من نصب الطريق وغشى، فحققت صحة قول سيدي ابن الفارض[٢] (ولو قربوا من حانها مقعدًا مشى)[٣]، وكان

(١) هو أحد كتاب إسلامبول، وشريكه فيه نجل نصراني اسمه درنوس [منه].

(٢) ابن الفارض (٥٧٦ - ٦٣٢هـ/١١٨١- ١٢٣٥م): عمر بن علي بن مرشد الحموي، أبو حفص، شرف الدين ابن الفارض. أشعر المتصوفين، ويعرف بسلطان العاشقين. ولد بمصر في بيت علم وورع. ولما شب اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي. عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا. اختلف الناس في شأنه كاختلافهم في ابن عربي ومن ذهب مذهبه. وقال عنه الذهبي: «سيد شعراء عصره وشيخ الاتحادية». وقال ابن خلكان: «سمعت أنه كان رجلًا صالحًا كثير الخير، جاور بمكة. وكان حسن الصحبة محمود العشرة».

له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء. له في هذا الديوان قصيدته التائية الشهيرة ومطلعها:

نعم بالصبا قلبي صَبَا لأحبتي ... فيا حبذا ذاك الشَّذا حين هَبَّتِ

ديوانه مطبوع وشرحه كثيرون، منهم عبد الغني النابلسي وحسن البوريني. كانت وفاته بالقاهرة ودفن بسفح المقطم. والفارض لقب أبيه، وهو الذي يكتب الفروض للنساء بين يدي الحُكّام.

انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(٣) البيت من قصيدة ابن الفارض التي مطلعها:

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً ... سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ

=

غالب مسيرنا في مناطق جبال جاوز منها الحزام الطبيين، وبلغ من غير مبالغة فيها الشطاظ[١] الوركين، بيد أن النفوس مستأنسة، لما أن المياه والأهوية في الطريق مطردة ومنعكسة.

وبعيد أن حللنا الخان، جاء وصيف ذلك [٥٣] القاضي ومعه من الضبطية نفران، فجمعوا خدمي وصحبي، وقد اضطرب لذلك قالبي وقلبي ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧١].

قالوا: نفقد عمامة قليون القاضي وجبكنه[٢]، وها نحن نريد منكم عين كل منهما أو ثمنه، فاقشعر جسدي، وخانني من مكر ذلك الخاني جلدي.

فناديت أولئك المأمورين، وقلت: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

فقالوا وربك لابد من تفتيش أوعية صحبك.

=

لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها ... هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجمُ

مع اختلاف يسير في هذا البيت:

ولوْ قرَّبوا منْ حلها مقعدًا مشى ... وتنطقُ منْ ذكري مذاقتها البكمُ

ولوْ عبقتْ في الشَّرقِ أنفاسُ طيبها ... وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ

(١) الشَّطاطُ الطُّولُ واعْتِدالُ القامةِ وقيل حُسن القَوام جاريةٌ شَطّةٌ وشاطّةٌ بينةُ، الشَّطاطِ والشِّطاطِ بالكسر وهما الاعتدال في القامة، قال الهذلي وإذْ أَنا في المَخيلةِ والشَّطاطِ، والشَّطاطُ البُعْدُ شَطَّتْ دارُه تَشُطُّ وتَشِطُّ شَطًّا وشُطوطًا بَعُدت، قال عنترة:

شَطَّتْ مَزارَ العاشِقينَ فأَصْبَحَت ... عَسِرًا عليَّ طِلابُها ابْنةُ مَخْرَمِ

انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

(٢) جبكن CEBKEN: ملابس ذات أكمام طويلة، تلبس على القميص، استخدمها الانكشاريون. انظر، سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ٨١)؛ لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ١٠٠).

فقلت دونكم فتشوا ما شئتم، واتركوا - لا أبا لكم - ما تركتم، ففتشوا أوعية الخدام، ولي فوقهم في ذلك اهتمام، وكذا فتشوا أوعية الأصحاب، وأحلوا عصام كل جراب وأهاب، فلم يجدوا والله شيئًا.

وما كان قولهم الذي يمجه سمع كل حي إلا ليّا، [وكأن القاضي - عامله الله تَعَالَىٰ بعدله - أمل أن أعطي وصيفه ما يكون بدل أكله، مع أني، لم أملأ منه بطني، وما ملته ادخرته عند خروجي في كنيفه، وتركته وديعة لأهل بيته ووصيفه][(١)].

وبالجملة؛ ما رأيت مثل هذا القاضي بين الملا، فبالله تَعَالَىٰ عليك إن مدحت القضاة يومًا فاستثنه بخلا، ولعل الذي جسَّر هذا اللئيم على ارتكاب تلك الفعلة، أمنه كسائر لئام خرشنة[(٢)] من سيف الدولة، وقد اقتضى هذا الأمن ما يسمونه التنظيمات الخيرية[(٣)]، وحري بالحر - ولو أمن من الشر -

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة.

(٢) خرشنة: مدينة في بلاد الروم أظنها في الثغور الشامية، فيها كان أسر أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، وهو ابن عم سيف الدولة ممدوح المتنبي، قال أبو منصور الثعالبي: لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب وأصابته عين في الكمال أسره الروم في بعض وقائعه وهو جريح، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه وحصل مثخنًا بخرشنة سنة ثم بقسطنطينية، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة، وقد قيل: على كل محج رقيب من الآفات. وهو القائل بخرشنة:

إن زرت خرشنة أسيرًا	فلقد أجلت بها مغيرا
ولقد رأيت النار تنـ	ـهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجـ	ـلب نحونا حوًا وحورا
من كان مثلي لم يبت	إلا أميرًا أو أسيرا
ليست تحل سراتنا	إلا الصدور أو القبورا

انظر، محمد بن عبد المنعم الحِميري: «الروض المعطار في خبر الأقطار»، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) التنظيمات الخيرية: حركة الإصلاح العثماني الذي أعلن في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ (٣ تشرين الثاني ١٨٣٩م) بقصر كلخانه في استانبول. وقد قرأ متنها الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا =

أن لا يرتكب الأمور الشرية، والإنصاف أن ليس للئام، نذير يذبهم عن ارتكاب السوء كذباب الصمصام.

كل قوم لهم نذير ولكن خلق السيف للئيم نذيرا

■■■

= مع خط همايوني السلطان عبد المجيد. وهي حركة تجديدية إدارية وسياسية كانت ترمي إلى التقريب بين المجتمع العثماني والمجتمعات الغربية.
وقد عرفت بهذا الاسم لأنها تميزت بـ (تنظيم) شؤون الدولة وفق أسس جديدة في جميع المجالات الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية.
انظر، سهيل صابان، «المعجم الموسوعي»، (ص: ٧٥ – ٧٦).

قواق

ولما فقأ النهار بيد الفجر بيض الكواكب، فقامت الأدياك تصيح عليها أسفًا كأنها - لا أسفت - نوادب

سرنا مع الرفاق، فلم نزل نسير حتى حللنا قواق[1]، وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو خمسين، ولم نر فيها والحمد لله تَعَالَىٰ غير المسلمين، وفيها جامع ذو منارة خشبية، وكان على ما قيل كنيسة فكنست ظلمتَها أنوارُ الملة المحمدية، وفيها أيضا خانان وعدة دكاكين وحمام، قد [٥٤] يضطر للاستحمام به بعض المارين، وحذائها نهير جار، تحتقره الأرجل والأبصار، وفيها نائب لطيف، اسمه شريف، ومفتي أواه، اسمه عبد الله، وأنزلنا القدر، في خان نصراني اسمه إسكندر[2]، وفي أوائل مسيرنا بَلَّ ثيابنا قطر الندا، بين شجر منه فاكهي ومنه لا، ولكن لم يخلق سدى، وعارضنا نهر «لاديك»[3] حيث لا دجاجة

---

(١) قواق بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية طرابزون، لواء جانيق، على نهر مرد إرماق.
وهي تقع الآن جنوب غرب مدينة صامسون، على خط العرض ٤١,٠٥ والطول ٣٦,٠٣.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، (ص: ٤٠٥).

(٢) لم نره وهو مالكه [منه].

(٣) هناك بلدة بهذا الاسم هي: لاديق Ladik: بلدة في تركية الآسيوية – الأناضول –، في ولاية سيواس، لواء أماسية.
لاديق = لادق؛ تقع شمال مدينة أماسية، على خط العرض ٤٠,٥٥ والطول ٣٥,٥٥، واسمها القديم: لاوديسا أو لاؤديكا. وهناك أيضا بحيرة بهذا الاسم هي: لاديق كولي Ladik Gueulu: سماها بعض الجغرافيين (اطرابون): استيفان أو اصطفان Stephan: بحيرة في تركية الآسيوية / الأناضول، بين مدينتي صامسون وأماسية، على بعد ١٥ فرسخًا من البحر الأسود، محيطها يتجاوز الـ ٤ فراسخ، أما مساحتها فأقل من فرسخ ونصف. تقع البحيرة شرق بلدة لاديق، تعرف باسم: استفان كولي أيضًا.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، (ص: ٤٤٠).

ولا ديك، فنزلنا عنده لنرفع بعض نصب السرى، ونجر من أعيننا ما منع فتحها من سنة الكرى.

ثم سرنا أيضًا بين أشجار، كان لها لعظم تطاولها عند السعد الرامح[(١)] ثار، وقد تشابكت أصابع أغصانها واحتبكت السواعد منها بالسواعد، وفرجت ساقاتها لراحة كل ماشٍ في ظليل ظلها وقاعد، فنزلنا للغداء في خان، قد خانته قواه لمرور الزمان.

ثم سرنا بين ما يحكي هاتيك الأشجار، وما أكثرها وأكبرها في تلك الديار، وفي الطريق مياه كثيرة جدًا غالبها عذب فرات، لو أجرى على مقبرة لحيي بإذن الحي القيوم ما فيها من الرفات، وفيه عدة خانات وقرى، يشاهد بعضها من بعض ويُرى، وبيوت جميعها من خشب منضود، يتعاصى لغلظه على النار ذات الوقود.

وقبيل العصر قدم المنزل على خيل البريد، حبيبنا محمد بك كدخدا[(٢)]

---

(١) السعد الرامح: مصطلح فلكي يشير إلى مجموعة من النجوم، وثمة مجموعات نجمية أخرى تحمل اسم الرامح وكذلك السماك، منها السماك الأعزل، والسماك الرامح والسماكان... وقد أشار إليها الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المعروف بتفسير الألوسي قائلًا: (السماك الأعزل وهو كوكب نير من الأول على كتف العذراء اليسرى قريب من المنطقة والقمر يمر به ويكسفه ويقابل السماك الأعزل السماك الرامح وليس من المنازل وسمي رامحا لكوكب يقدمه كأنه رمحه وسمي سماكا لأنه سمك أي ارتفع ثم الغفر وهي ثلاثة كواكب من الرابع على ذيل العذراء ورجلها المؤخرة على سطر معوج حدبته إلى الشمال وقيل كوكبان والقمر يمر بجنوبيهما وقد يحاذي الشمالي وهو منزل خير بعد عن شرين مقدم الأسد ومؤخر العقرب ويقال إنه طالع الأنبياء والصالحين).
انظر، الباقلاني: «إعجاز القرآن»، (١٠١/٢)؛ ابن منظور: «لسان العرب» (٣٢٨/١٢)؛ الألوسي: «روح المعاني» (٤٨٩/٤).

(٢) كد خدا: كلمة الفارسية، وتطلق في التركية على الوكيل والنائب. وهي تطورات في التركية =

عبدي باشا لا زال في عيش حميد، وقد أرسله المشار إليه، حيث إنه ممن يعول عليه، ليأتيه من دار الخلافة بحرمه المحترم، وبينهما محرمية هي في الحقيقة لإرساله المسوغ الأتم، فنزل في الخان معنا، ملتزمًا إلى آخر طريقه صحبتنا، فأنست به، وزال عني ما زال من وحشة الطريق وكربه، إلا أنه لما جنحت الشمس للغروب، وشافهت درج الوجوب، قامت البراغيث ترقص تحت ثيابي على غناء البعوض، حتى إذا هدأت العيون شرعت تتهجد على أهابي كأن التهجد عليها أمر مفروض، وكان ذكرها في الركوع سبحان من حرم عليّ الماء، وفي السجود سبحان من أحل لي شرب الدماء، فبت بليلة أنقد، أرعى السها والفرقد[1]، قد اكتحلتُ [٥٥] السهاد، وافترشتُ القتاد، والليل وافي الذوائب، والنجم قد سُدت عليه المذاهب.

= إلى كلمة (كخية). وهذا الاسم عند العثمانيين يطلق على عدة مهام ووظائف. فكان كبار رجال الدولة العثمانية ممن لهم المناصب العالية في القصر والجيش لهم من ينوب عنهم في أعمالهم، ويعاونهم، ويطلق عليهم (كتخدا). ويطلق في مدلوله الواسع على كل من يكون في معية أحد من كبار رجال الدولة وإدارتها مثل: دفتر دار كتخداسي، صدارت كتخدا سي، ترسانة كتخداسي، خزينة كتخداسي.

وكتخدا بك: هو من يتلو رئيس الانكشارية في منصبه. مثل: قول كتخداسي، أوجاق كتخداسي، وإلى عصر السلطان بايزيد الثاني كان (أوجاق كتخداسي) كان هؤلاء السابق ذكرهم إذا لم يخرج السلطان على رأس جيشه للحرب، لم يخرج هؤلاء كذلك، لكن رعاية هذا النظام تركته من بعد.

وكتخدا يري: ومعناها مكان الكتخدا، ويطلق على من ينوب عنه أو يعاونه.

انظر، حسين مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ١١٢ - ١١٣).

(١) السها والفرقد نجمان يضرب بهما المثل في البعد والعلو فيقال: من دون رتبته السهى والفرقد...، أو لمن يطيل السهر فيقال: وفلان لا يفرق بين السها والفرقد، وهو كوكب خفي صغير مع أوسط بنات نعش يسمى أسلم:

قل للوزير أبي محمد الذي ... من دون محتده السّهى والفرقد

=

صمصوم

حتى إذا لاحت تباشير الصباح، وافتر الفجر عن نواجذ مبسمة الوضاح

سرنا في ضباب، أكثف من سحاب، لا يكاد يبصر الرجل فيه رفيقه، ولا يحقق السائر فيه طريقه، فلما مضى نحو ساعتين، انجلى لكل راء عن العين الغين، وإذا بطون الأودية قد ملأت من سحاب، هو - ورافع السماء - أبيض من خدود الكعاب، وقد تقاصر عن رؤوس الجبال، وثقل عن الوصول إليها وإن لم يكن من السحاب الثقال.

وكان مسيرنا بين أشجار رفعت رؤوسها قليلًا، ومالت لمحاكاة الأشجار السالفة طولًا، فلم يساعدها - لا أبا لها - الجد، وهيهات أن تنال الثريا باليد.

ونزلنا في خان أثناء الطريق للغداء، وأن نودع فيه بعض ما أثقلنا من العناء، ثم بعد ساعة أخرى، نزلنا في خان آخر لأكل الكمثرى.

وقبيل العصر دخلنا صمصوم(١)، ولم يداخلنا - والحمد لله تَعَالَىٰ - شيء

=

من إن سما هبط الزمان وريبه ... أو قام فالدهر المغالب يقعد

وقيل أيضًا:

ذي العلم والرأي الأصيل ومن حوى ... شرفًا علا فوق السها والفرقد

انظر، الزمخشري: «أساس البلاغة»، (٤٥٢)؛ ابن الجوزي: «المنتظم»، (١٩١/٩)؛ التلمساني: «نفح الطيب»، (٣١٣/٢).

(١) صمصوم: صامسون (بريان): قرية في تركية الآسيوية - الأناضول -، في ولاية آيدين، لواء صوغله، تقع على سفح جبل، في موقع يسيطر على السهول التي يجري فيها نهر بيوك مندرس.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣٢٧).

وقال عنها المؤلف في رحلته نشوة المدام: (كذا يقال اليوم، وفي أوضح المسالك سامسون بالسين المهملة، ثم ألف وميم وسين ثانية، وواو ثم نون، وهي مدينة من السادس، سميت

=

من الهموم، سوى ما عرانا من خبر أن الوابور[١] قد سار، متوجهًا إلى الآستانة قبل الدخول بنهار، فنزلنا في أول خان فيها، ينسب لحافظ أفندي الإمام يومئذ لواليها، ولما ذهبت الشمس، ذهاب أمس، رأينا العطب، من قمل الخشب، وقد أَثَّرَ جسد ولدي، وأثَّر فيه أكثر من جسدي، ولما رأى إيلامه قد جاوز الحد، استعان على دفع بعض شره بالفصد، ولعمري إنه حيوان لئيم، نعيمه أن يذيق الناس العذاب الأليم، ولا يكاد ينجع فيه دواء، إلا العروج إلى السماء.

واستدعاني أول ليلة الوالي أحمد واصف باشا، فرأيته أهلًا لأن يقول الواصف في مدايحه ما شا، ومثله أخوه الأوحدي، الفتى الأديب منيب أفندي، وقد اتخذه كدخدا، فاتخذ بذاك على أهل البلد يدا، لما أنه يوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، وقد بالغا في احترامي، وأعظما عليّ المنة في إعظامي.

وذكر [٥٦] الباشا في أثناء المسامرة لي، أنه ابن المرحوم رفيع أفندي البُرسه لي، وكان قاضيًا في الزوراء، زمن داود باشا خاتمة الوزراء، وله صداقة مع والدي المرحوم، حتى أنه - عليه الرحمة - كلفني أن أمدحه بشيء من المنظوم، مع أني إذ ذاك لا أنظم شعرًا، ولا أنضم مع من يستعمل نظمًا أو نثرًا، فنظمت قصيدة ضاعت مني بأجمعها، ولم يبق في بالي البالي سوى مطلعها، وهو:

أهلًا ومرحبًا به من زائر ... قد حسم الزور بسيف باتر

فلما سمع هذه القصة مني، دعا أخاه ليأخذها مشافهة عني، فلما حضر؛ أعدت الخبر؛ فهشا وبشا، وسرى فيهما مدام السرور وتمشى.

= بسام بن نوح عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وطولها (نطك) وعرضها (مولح) وأظن أن السامسوني صاحب التعليقات على حواشي السيد على شرح مختصر المنتهى منسوب إليها).

(١) الوابور: هو سفينة النار المعروفة اليوم، وأظن أنها الأصطول الذي كان في زمان بني العباس، والله تَعَالَىٰ أعلم [منه].

وزاراني، في اليوم الثاني، وبالغا في حسن المعاملة، ولا أستطيع تفصيل ما كان من المجاملة، فأعظم بما أودع الله تَعَالَىٰ فيهما، ولله تَعَالَىٰ درهما ودر أبيهما، ولعمري إن أباهما كان رفيع القدر، قد جمع من الفضائل ما يضيق عنه نطاق الحصر.

ويعجبني طرف تدر دموعه ... على فضله العالي فلله دره[(١)]

وقد درجا على مذهبه، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ولم يزل الباشا يدعوني كل ليلة للإفطار معه، ويمنحني ما عنده من مكارم الأخلاق أجمعه.

نعم دعيت في بعض الليالي بمعيته، عند بعض وجوه أهل مملكته، فأبدى هناك من احترامي ما أبدى، زاده الله عَزَّوَجَلَّ إلى مجده مجدًا.

وتشتمل البلدة، على ألف وأربعماية بيت أو ما قاربها في العدة، والألف منها للمسلمين، والكسر للذميين[(٢)] ....

(١) البيت عزاه البعض لابن نباتة المصري في قصيدته التي مطلعها:

تجلى فقلت البدر والليل شعره ... وماس فقلت الغصن والحلي زهره

وأفصح عن ألفاظه وابتسامه ... فأعجبني نظم الجمان ونثره

ومنها:

ويعجبني طرفٌ تدر دموعه ... على حسنه الغالي فلله درّه

أحنّ لوجهٍ تهتُ فيه صبابةً ... فلله صبّ ضلّ إذ لاح بدره

(٢) الذمي: لغة: الذِّمَّة: الأمان والعهد، فأهل الذمة: أهل العهد، والذمى هو المعاهد. واصطلاحا: الذميون، والذمى نسبة إلى الذِّمَّة: أى العهد من الإمام، أو ممن ينوب عنه بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام. وتحصل الذمة لأهل الكتاب ومن فى حكمهم بالعقد أو القرائن أو التبعية، فيقرُّون على كفرهم فى مقابل الجزية. والغرض منه: أن يترك الذمى القتال مع احتمال دخوله الإسلام عن طريق مخالطته بالمسلمين، ووقوفه على محاسن الدين، فكان عقد الذمة للدعوة إلى الإسلام لا للرغبة أو الطمع فيما يؤخذ منهم من =

والمستأمنين[١]، وتشتمل أيضًا على ستة جوامع، منها ما هو للمحاسن في الجملة جامع، وعلى موقت خانه وكنيستين وقلعة وثلاثة حمامات، وعلى ماء قليل جارٍ في بعض الطرقات، وعلى أسوقة ذات قلة، وهي معتبرة في الجملة، وبيوتها خشبية، وليست في نظري مرضية.

ولها قاضي رأيت جسمه، ولم أعرف اسمه، ومفتي يدعى بأحمد أفندي بدن زاده، زارني فرأيته قد حشا بدنه من [حيل جهلة [٥٧] المفتين ما فوق العادة][٢]، وقد طلب مني روح المعاني فطالع فيه، فما أدري هل حام طائر فكره على رياض معانيه، لكن سمعت أن عوام أهل البلد، يزعمون أنه في العلم العلم المفرد، وفي الفهم العيلم الذي لا ينزف ولا ينفد، ولا عبرة بكلام العوام، في أمثال هذا المقام، فالجزع بين الجنادل الدر المنضد، وطنين الذباب بالنسبة إلى نهيق الحمير نغمة معبد[٣].

= الجزية. وثمة شروط لعقد الذمة، ولهم حقوق وعليهم واجبات، فصل الفقهاء القول فيها.
انظر، «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة»، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (ص: ٢٩٧).

(١) المستأمن: لغة: الأمن ضد الخوف وهو: عدم توقع مكروه فى الزمان الآتى، ولا يخرج استعمال الفقهاء له عن المعنى اللغوي. والأمان ضد الخوف، يقال آمنت الأسير: أعطيته الأمان فأمن، فهو كالآمن. وأما شرعا: فله معنى يختلف عن الأمن إذ هو عندهم: عقد يفيد ترك القتال مع الكفار فردا أو جماعة مؤقتًا أو مؤبدًا. الأمان قسمان، الأول: أمان يعقده الإمام أو نائبه، والنوع الثانى: الأمان المؤبد، وهو ما يسمى عقد الذمة،.
المراد بالمستأمن عند الفقهاء: من دخل دار الإسلام علّى أمان مؤقت من قبل الإمام أو أحد المسلمين، والفرق بين المستأمنين وبين أهل الذمة، أن الأمان لأهل الذمة مؤبد، وللمستأمنين مؤقت. وللفقهاء تفاصيل وتفرعات في هذه المسألة.
انظر، «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة»، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (ص: ٥٩٥).

(٢) في النسخة المطبوعة (من باب الدعوى ما هو فوق العادة).

(٣) نغمة معبد: معبد هو إسحاق الموصلي (١٥٠-٢٣٦ هـ / ٧٦٧ - ٨٥٠م) أبو محمد إسحاق ابن إبراهيم الموصلي. كان فقيها وشاعرًا وملحنًا. وُلِد ببغداد ودرس عددًا من العلوم وكان =

وسـألني عن المتشابه من أوائل السور، فقلت ارجع إلى ما في يدك من روح المعاني وتدبر، ثم اسـأل، إن اشتبه عليك شيء أو أشكل، فرجع إلى ما فيه، وجعل السكوت ختام فيه.

وجاءنا جمع من طلبة العلم لكنه جمع مكسـر، ليس لهم من أهله سوى بدن طويل وميرز مكور.

نعم ملأ من أولئك الملأ عيوني، رجل اسمه مصطفى أفندي المرزفوني، وهو ممن تخرج على المرحوم أسعد أفندي الشهير بإمام زاده، الذي شاع أنه اتخذ كسر قلوب العلماء الوافدين إلى الآستانة عادة، ورأيت الفرق بينه وبين المفتي كما بين الأرض والسماء، وكان الحري بأن يكون مفتيًا إلا أن القضاء منعه الإفتاء.

وسألني أسئلة جزئية، منها السؤال عن الذَود في اللغة العربية، وحملت هذا على عدم ظفره بقاموس، أو فقده ترجمة أقيانوس، ولم يزل هذا الرجل يتردد إليّ، ويظهر ما يظهر من الحنو عليّ، كأنه الأخ الشقيق، بل الوالد الشفيق، كما بيَّن لي ما يقتضي أن أسلكه في دار الخلافة، وحذرني غاية التحذير أن أسلك خلافه.

= شاعرًا يؤلِّف أغانيه بنفسه. وكان فقيهًا قال عنه الخليفة المأمون (لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لولَّيته القضاء بحضرتي فما أعرف مثله في العفة والصدق والفقه). واشتُهر إسحاق الموصلي بجودة ألحانه فكان إذا لحَّن شعرًا يشتهر لحنه ولا يُلحِّن القصيدة غيره من الملحنين، رغم تعوُّد الناس في عهده أن يلحن القصيدة الواحدة عدد من الملحنين. وفي ذلك تقدير له ولمقدرته الفائقة في هذا المجال. ولم يقتصر تفوقه على تأليف الألحان الموسيقية فحسب بل تعداها ليشمل تأليف الكتب الموسيقية، فمن الكتب الموسيقية التي ألفها أخبار عزة الميلاد؛ أغاني معبد؛ أخبار ذي الرمة؛ الاختيار من الأغاني؛ موارث الحكماء؛ جواهر الكلام؛ الرقص والزَّفن؛ الندماء؛ النغم والإيقاع؛ قيان الحجاز؛ النوادر المتخيرة. وعندما وافاه الأجل نعاه خلق كثير من بينهم الخليفة المتوكل بن المعتصم الذي قال عنه «ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته». وكانت وفاته ببغداد.
انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

لكنه كفَّر من يقطع على الخوان اللحم بالسكين، معللًا بأن في ذلك تشبهًا بالإفرنج أعداء الدين، فقلت يا مولاي أقطع بعدم كفر من يقطع، فقد ذكر غير واحد من المحدثين، أنه سنة من سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، على أن إكفار من يفعل مثل فعلهم على الإطلاق، ليس عند العلماء المحققين محل وفاق، وإذا رجعت إلى تفسيرنا أوائل سورة البقرة تعلم الحق، وترجع لا محالة عن اختيار الإكفار المطلق، فعجب واستغرب، وكفه عن المعارضة كف الأدب.

وممن [٥٨] جاني وآنس بزيارته جناني، رجل اسمه أحمد حلمي أفندي الليواني، وهو شيخ قد ناهز القبضة، وناء الدهر عليه بكلكله ورضه، أثبت في صمصوم منفيًا، مع أنه فيما تواتر لم يأت شيئًا فريًا، وإنما قال حقًّا في وعظه، فلفظ من بلده لحقية لفظه، وعلى العالِم اليوم أن يعقد لسانه بأنامل الصبر، ولا يحل له أن يحله إلا إذا استحلى حلول القبر، كيف لا والخلق، أعداء لمن يقول الحق، وشرط الأمر بالمعروف قد مات ونخرت عظامه، فهيهات أن يرجى إلى أن يقوم القائم قيامه، وآه من عثرات اللسان، وهفواته في كل زمان.

يموت الفتى من عثرة بلسانه	وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه	وعثرته بالرجل تبرى على مهل(١)

(١) البيتان من قول: محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل، وقيل اسمه الزبير، ويكنى أبا عبد الله، تولى الخلافة وقتل في سنة خمس وخمسين ومائتين وهو القائل لما بويع بالخلافة:

تفرَّدني الرحمنُ بالعزّ والتُّقى	فأصبحتُ فوق العالمين أميرا

وله في يونس بن بُغا:

شوّال شهرُ السرور والسكرِ	والصومُ شهر العناق والنظَرِ
قد كنتُ للشرْب عاشقًا سحَرًا	فاليوم يا ويلتي من السَّحَر
من كان فيما يحبُّ معتذرًا	فلستُ في يونس بمعتذر

=

فتمسك - وفقت - بتفاصيلي في النصح وجملي، وانظر - هديت - إلى علمي ولا تنظر إلى عملي:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم[1]

فلكم قاسيت من حروف الألفاظ، ما لم يقاسه عاشق من سيوف الألحاظ، ومن الكلام الحق، ما كَلَم القلب وشق، ومن النهي عن المنكر، ما عرفني شدائد السفر، لكني أرجو أن أجنو من شوك ذلك طيب الورد، وأن يطيب عيشي جزاء مر ما قاسيت في هذا اليوم أو غد.

واتفق أن سألني هذا الرجل مع أنه في غمرات محنة ومهنة، عن الجمع بين حديثي الوائدة والموؤدة في النار[2]، وأطفال المشركين في الجنة، فأجبته بما في محاكمات مولانا أحمد بن حيدر، فلم يناقش فيما ذكره ذلك الغضنفر[3].

= كان مولده بسُرَّ من رأى في شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائتين، وقال الدارقُطْني: مولد المعتز يوم الخميس الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، والقول الأول أعمْ. قال الزبير بن بكار: صرت إلى أبي عبد الله المعتز بالله وهو أمير المؤمنين، فلما علم بمكاني خرج مستعجلًا، فعثر فأنشأ يقول: طويل:

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرِّجل

انظر، القفطي: «المحمدون من الشعراء».

(١) البيت رواه النويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب»، الباب الثالث من القسم الرابع من الفن الثاني في الزهد والتوكل، ولم ينسبه لأحد.
انظر، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: «نهاية الأرب في فنون الأدب»، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، (٥/ ٢٢٩).

(٢) قوله وقال النووي في شرح صحيح مسلم أن أطفال المشركين (في الجنة) وهذا هو الصحيح، فإن النووي استخرجه من الأحاديث الصحيحة الراجحة على ما نقله الشيخ ههنا، وأول حديث الوائدة، وقال معنى الوائدة والموؤدة في النار القابلة التي كانت تستر الولد في الأرض، والموؤدة لها وهي أم الولد في النار، كذا ذكره الشيخ ابن حجر في شرح المشكاة، محاكمات [منه].

(٣) بفتح الراء على ما ضبطه السالكوني في حواشيه على المطول، وهو غريب فاحفظه [منه].

وبالجملة، في البلد مدرسون وطلبة علم يفهمون ولا يفهمون، وزارني أكثرهم متأدبًا، وبجلباب الحياء متجلببًا، وسمعت من بعض وعاظها العجب العجاب، والكذب الذي ليس عليه سوى الظهور حجاب.

وزارني من وجوهها شاب قد بقل عارضه واخضر شاربه، وحاجب القدر لا حاجب العين عن كل عين حاجبه، اسمه مصطفى بك ابن عبد الله باشا الوالي الأسبق في صمصوم، كان الله عَزَّوَجَلَّ له يوم ينتظم الناس والملائكة صفًا وتتناثر النجوم، فرأيته أشد حياءً من العذراء، وأرق طبعًا من حيا السماء، وهو من قوم حازوا المفاخر، وورثوا المكارم كابرًا عن كابر، وقد تصرفوا في هاتيك النواحي [٥٩] زمانًا، ثم تصرفت فيهم الحوادث فلم تبق سوى آثار لهم وكانوا أعيانًا.

ومعاملة عوام البلد، لمن وفد عليهم من الغرباء وورد، مما تذكر الغريب أوطانه، وتذكى في كانون فؤاده نيرانه، لاسيما من كان من الباعة، فإن كلًا منهم قد مد في الخيانة باعه، وأقل ما يفعلون أنهم يضاعفون على الغريب الأثمان، ويقطعونه حقه بمقراض الخديعة والأيمان.

ثم إن البلد(١) على ما ذكره الجغرافيون، كان اسمها في القديم سامسون، وفي تحفة الآداب(٢) سميت بـ(سام)، وهو ابن نوح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وذكروا أنها فرضة(٣) من فرض البحر الأزرق(٤)، وكم قد رأينا فيها من سفينة وزورق، وأظن أنها ستكثر عمارتها، وتزداد بواسطة الوابور تجارتها.

---

(١) وهي في السادس، طولها فطك، وعرضها مولح [منه].

(٢) كتاب: تحفة الآداب في التواريخ والأنساب، للملك الأشرف أبي الفتح عمر بن الملك: المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول اليمني النسابة، المتوفى سنة ٤٣٠.
انظر، حاجي خليفة: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (٣٦٢/١).

(٣) مرسى السفن [منه].

(٤) يعني به البحر الأسود.

وبتنا فيها خمس ليالٍ بحال - والحمد لله تَعَالَىٰ - حال، ونسكت عما قاسينا من قمل الخشب، لما أن ذاك مما يقضي منه العجب.

■■■

سيناب

ولما ذهب الليل الدامس، وعلا رونق الضحى من اليوم الخامس

ركبنا على ظهر الوابور، متوكلين على من ترسو سفن الآمال على ساحل جودي[(١)] جوده الموفور، وكان وابورًا نمساويًا يوصف بالصغر، طوله نحو أربعين ذراعًا وعرضه نحو خمسة عشر، وشيعني إليه السيد مصطفى المرزفوني، ولما ودعني هملت بالدمع عيونه وعيوني، فسرنا والريح تجري رخاءا، والوابور يجد ونحن لا نجد تغيرًا في الطبيعة ولا عناءا، حتى إذا سلكنا المحجة، وتوسطنا اللجة، عصفت الريح وجاء الموج من كل مكان، وتلاعبت أيدي البحر بالوابور كما يتلاعب بالكرة الصبيان، وتحركت مِرّة الصفراء، فرؤيت بيض الآفاق في الأعين الشهل سوداء، وجزعت النفوس، وتناجت الأقدام والرؤوس، ولم نزل في كدر واكتئاب، حتى انساب الوابور في فرضة سيناب[(٢)].

وهناك طاب من العيش منغصه، وسكن الوابور بعد أن كانت ترتعد فرائصه، وقام بحمل ما يلزم من الوقود، وإركاب أناس هم على الساحل لانتظاره قعود.

---

(١) استعارة مكنية تشير إلى جبل الجودي المذكور في قصة الطوفان، في قول الحق سُبْحَانَهُ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ٤٤].

(٢) سينوب Sinob: مستوطنة بوليا أغسطس سنوب Colonia Julia Augusta Sinope, Sinope). مدينة في تركية الآسيوية – الأناضول– مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية قسطموني على البحر الأسود، فيها حوالي ٨٠٠٠٠ نسمة. وتقع على دائرة العرض ٤١,٠١ والطول ٣٥,٠٩.

انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (٣١٥).

وقال عنها أيضًا في رحلته نشوة المدام: (كذا يقال اليوم، وكان يقال أولا سينوب، وهي مدينة من السادس، وهي فرضة مشهورة، قال ابن سعيد طولها (نز) وعرضها (موم).

أنّه بولي

ولما بدا [٦٠] الجو في سـود أطمـار، خفق بجناحيه وطـار، ولم يضمها حتى رأى غراب الليل فريسة بازي النهار

فوكر هنيهة إزاء أنه بـولي(١)، وهي قرية من قـرى أناطولي (٢)، ولم أقف على شـرح حالها ولا على شرح حال سيناب، إذ لم أعبر أنا إليها ولا عبر من معي من ثقات الأصحاب، بيد أني سـمعت من غير معلوم، أن سـيناب أحسن من صمصـوم، وعلـى ذروة جبل عندهـا على ما يقال، قبر يتبرك بزيارته ينسـبونه

---

(١) إينه بولي Inebolou: إيونوبولس Ionopolis, Iunopolis، أبوني تيخوس: - Aboni Tichos مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول- على شرم صغير في البحر الأسود، قريبًا من مصب نهر دوركان إيرماق Irmak - Daurikan، في ولاية ولواء قسطموني. وتقع على دائرة العرض ٤١,٥٨ وخط الطول ٣٣,٤٦.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١٣٣).

(٢) أناضولي/ الأناضول: شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالًا البحر الأسود، وغربًا بحر إيجة، وجنوبًا البحر المتوسط، وشرقًا جبال إرمينية، يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق ١٠٠٠ كم تقريبًا، وبين ٤٥٠ و ٦٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب، تقع بين خطي عرض ٣٦، ٤٣، فهي بهذا تقع على الخط نفسه مع الأندلس وصقلية، وهي مسطح مائل نحو الشمال الغربي تحيط به السلاسل الجبلية المرتفعة. وقد ظل الجغرافيون العرب والأتراك أنفسهم يطلقون عليها بلاد الروم حتى وقت متأخر من العهد العثماني.
أصل الكلمة يوناني بيزنطي، وكان يدل على تقسيم إداري في الإمبراطورية البيزنطية، حل مكانه مع امتداد الفتح العثماني دلالة أكثر عمومية للاسم الذي أصبح أناضولو Anadolo بلسان الترك. كان الاسم يشمل بداية الأناضول الغربية فقط، ولدى إعادة تقسيم الولايات في عهد التنظيمات - منتصف القرن ١٩- صارت الأناضول مجرد تسمية جغرافية لا تطلق سوى على شبه الجزيرة نفسها (تقريبًا حتى خط طربزون - أرزنجان - برجق - الإسكندرونة) واليوم يعني الأتراك بقولهم: الأناضول القسم الآسيوي من تركية بما فيها المناطق التابعة جغرافيًا لأعالي ما بين النهرين (الجزيرة «ديار بكر»، أرمينية «قارص») عدا جزر بحر إيجه.
انظر، س. موستراس: «المعجم الجغرافي»، (١٥).

للسيد بلال، وليس ذاك بلال الحبشي كما يظن العوام، لأن قبره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلا خلاف بين العلماء في دمشق الشام، وما أدري أي بلال ذاك، ولعله من بعض من استشهد من المسلمين هناك.

■ ■ ■

القسطنطينية

ثم لم يزل الوابور يسير كأنه عاشق التهبت نيران الهوى في فؤاده، فأسرع ليحظى بمعشوقه وقد دعاه لوصاله تاركًا لذيذ سهاده، أو كأنه سمكة قصدها كوسج[(١)]، فجعلت تخفق بأجنحتها قاصدة للخلاص منه منهج، والريح قد ماتت فلا يحس منها بنسيم، والبحر قد ركد حتى يخيله ذو الذهن السيال أنه دهن جمد من قديم، إلى أن انساب في ثغر القسطنطينية[(٢)]، فضم جناحيه

---

(١) الكَوْسَج الناقِصُ الأسنان. والكَوْسَجُ من الخيل الذي يُحْمَلُ على العَدْوِ فلا يعدو.
انظر، ابن سيده: «المخصص في اللغة» (١/٢٠٣)، (٢/١٠٢).

(٢) القسطنطينية: وهي بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء الأولى وقد تضم وبعدها نون ثم طاء مكسورة وبعدها ياء ساكنة ثم نون بعدها ياء مشددة وقد تسقط هذه الياء فيقال قسطنطينة.
قال الشيخ رفاعة في التعريفات الشافية لمريد الجغرافية، كانت هذه المدينة في سالف الأعصر قرية من قرى طراسة التي هي الآن روملي، وكانت تسمى ليغوس ثم صارت بعد نزول قبائل اليونان تسمى بيزنطيا. ولما صارت تحت مملكة الرومانيين سميت (يني روما) أي رومة الجديدة، ثم أبدلوا هذا الاسم بالقسطنطينية. وفي كتب تواريخ المسقو تسمى زرغورود يعني المدينة الملكية، والبلغار والأولاق يسمونها زرعوراد، وأهل جزيرة أسلندة والسكندناوية كانوا يسمونها في القرن العاشر من تاريخ الميلاد مكلا غرد أي المدينة الكبيرة. ونقل عن التاريخ الكامل لابن الأثير أن الملك قسطنطينوس لما بنى مدينة قسطنطينية سماها (استنبول) ومعناها بلغتهم دار الملك، انتهى. والمشهور أنه سماها بالقسطنطينية. وفي (التعريفات الشافية) أن الملك يستنبان بنى فيها كنيسة في القرن السادس من الميلاد، وهو قرن ولادة المصطفى ﷺ فاشتهرت عند العامة باسم بنته صوفيه. فلما فتحت إسلامبول بالإسلام جعلوها مسجدًا وسموها أيا صوفيه، انتهى.
وقال عنها الألوسي أيضًا في رحلته نشوة المدام: (القسطنطينية: المدينة المشهورة، وكانت قرية من قرى روملي، وكانت تسمى إذ ذاك ليفوس، وبعد أن نزل عندها قبائل اليونان سميت بوزنطيا، ولما صارت تحت مملكة الرومانيين سميت يني روما – أي روما الجديدة – ثم أبدلوا ذلك بالقسطنطينية، وفروق كما في القاموس، وسميت بعد الفتح إسلامبول، والعامة تقول
=

خضعانًا لهيبة الدولة العلية، لا زالت سفاين أمنها تجري في بحار العزة والعظمة برياح أنفاس الهمم المجيدية، بحرمة أهل البيت النبوي الذين هم كسفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بين الأمة المحمدية.

فلما شاهدنا بأعيننا ذلك الثغر ملئت صدورنا سرورًا، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، ولعمري إن هنالك عجايب لا ينقاس بحرها بمقياس القلم، ولا تستطيع سفن المباني ولو أمدتها نسائم المعاني أن تفارق ساحل ذلك اليم، فأنّى لذهني وقد ضنى من ألم الفراق؛ بل قد غشي عليه فلا يكاد يفيق بألف راق، أن يخوض في ذلك العباب، أو يركب زورق العبارات للعبور إلى شرح بعض ما في هاتيك الرحاب، فليعذر مريض الذهن الآن، إلى أن يمن [٦١] بالشفاء بلا شقاء الحكيم المنان.

بيد أني أقول: لما أرخى جناحيه الوابور في مرسى إسلامبول(١)، وألقى ما في بطنه إلى الساحل، وجعل كل راكب على ظهره هنالك راجل، بقيت مع شرذمة من أصحابي، لا أدري من أقصد بذهابي، حيث إن الكبار والوزراء العظام، يعدون الخروج من الحرم في معظم نهار الصوم أعظم الحرام، على أني لا أعرف الطريق، وليس لي رفيق رفيق، فدعاني كدخدا عبدي باشا للذهاب معه، فهممت أن أجيبه

= اسطنبول، وفي كتب تاريخ لمسقو تسمى زرعرود أي المدينة الملكية، والبلغار والأولاق يسمونها زرغوراد وأهل جزير إسلندة والسكندنادية فكانوا في العاشر من تاريخ الميلاد يسمونها مكلا غرد أي المدينة الكبيرة، ولسان القلم عاجز عن أداء حق وصفها، لا زالت دار الخلافة حتى يرث الله تَعَالَىٰ الأرض ومن عليها).

(١) إسلامبول: يقول الألوسي في غرائب الاغتراب: (ونقل عن التاريخ الكامل لابن الأثير أن الملك قسطنطينوس لما بنى مدينة قسطنطينية سماها (استنبول) ومعناها بلغتهم دار الملك، انتهى. والمشهور أنه سماها بالقسطنطينية. وأما إسلامبول فلفظ مركب من كلمة يونانية وكلمة عربية والمراد مدينة الإسلام، انتهى. وفي القاموس أنها تسمى بوزنطيا.

لما دعا واتبعه، ثم بدا لي وبقيت على أعراف الرد والقبول، متمنيًا منيتي ولو بنار قبل وصولي إلى جنة إسلامبول.

ولم أزل بين نقض وإبرام، وإقدام وإحجام، فإذا رجل قد أتى بزورق، فامتطى الوابور وتسلق، وجاء يسعى إليّ، حتى قبّل يديّ، وذكر لي أنه من أتباع حضرة الوزير، والمشير الكبير والدستور الخطير، أفندينا حمدي باشا، يسر الله تَعَالَىٰ له من الخير ما شا، وأنه مأمور بأن يذهب بي إلى قصر المشير المشار إليه، لا زال رواق العز والسعد ممدودًا عليه، فدعاني للذهاب، وقد ودعني مذ رآه الأصحاب.

■ ■ ■

جنكل كوي

فأجبته لذلك، وانقدت له كما ينقاد المملوك للمالك، فجاء بي إلى قصر أجلّ، في محل يدعو بـ كوي جنكل، فتلقاني من أفقه البدر المنير، ومن له على صغر سنه الفضل الكبير، شبل ذلك الوزير الأوحدي، ولدي القلبي شمس الدين بك أفندي، لا زال بدره عن الخسوف محفوظًا، ولا فتىء قدره بعين شمس العناية ملحوظًا، وقد رأيت فيه من النجابة ما فيه، ولا بدع في ظهور ذلك منه، فالولد سر أبيه، وكنت قد أرسلت ما معي من الكتب والثياب، على حسب المعروف هنالك إلى الكمرك[(١)] والاحتساب، فبقيت في تهويش بال، خائفًا أن يُضَيِّع صالحُ الثقيل بعضَ الأثقال، حيث أنه عن داء الغفلة غير سالم، وله مثلي جهل عظيم بأحوال تلك المعالم.

فبينما العقل في ارتباك، والحواس الخمس في اعتراك، جاء صالح بالكتب والثياب، ولم يكشف عن محيا [٦٢] الصناديق النقاب، وقال لي إن الكمركي[(٢)] عرف أن ذلك لك، فقال لا حدّ لي أن آخذ منه رسمًا وإن بلغ الرسم إلى (لك)، فذهب مني التهويش، لاسيما وقد حققت أن الكمركي مكرديش، وهو شريك لعبد القادر باشا زيادة زاده[(٣)]، ولنا معه حقوق عراقية، وله في الوفاء سنة مستجادة.

---

(١) الكمرك لفظة تركية تعادلها في العربية المكس، تطلق في الاصطلاح على ديوان الضرائب الداخلة أو العابرة.

انظر، حسان حلاق وعباس صباغ: «المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م، (ص: ٢٨).

(٢) الكمركي/الكمركجي، وتعني مسئول الجمرك/الكمرك، بعد إضافة (جي) وهي لاحقة اسم العمل أو الصنعة في اللغة التركية.

انظر، حسان حلاق وعباس صباغ: «المعجم الجامع»، (ص: ٢٨).

(٣) عبد القادر باشا زياده زاده: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): =

ثم إني بقيت في القصر، ولواسع الهم عليّ قصر، وكنت أنتظر مجيء كدخدا حضرة الباشا عمر فائز أفندي ؛ لأعرض عليه عريض ما أسر وما أُبدي، حيث إني غريب ،لا أعرف بم أخطأ وبم أصيب، وقد أوصاني حضرة الباشا، بأن أترك ما أشاء لما يشا، فلم أتعاط في هاتيك الأيام أمرًا، وبقيت ساكتًا ساكنًا في ذلك القصر قسرًا، وعدت أتنفس من مثل سَم الخياط، وقد كنت بأبسط روح وانبساط.

فجاءني فجأة ما يكره بعد خمسة أيام، ثواني دقايقها على التحقيق عندي أعوام، فقال هذه أيام أعياد، وغائلة رجال الدولة فيها فوق المعتاد، فاصبر يومين، حتى آتيك بما يقر العين، فقام وذهب، وأجج في قلبي نار الغضب، ثم لم يوف بما وعد، لا وَفِّي له الدهر وعدا إلى الأبد، وتركني على مثل مشفر الأسد،

= ومنهم ذو الحظ الذي هو لفسطاط دنياه عماد. حضرة عبد القادر باشا الذي كان كمركجي بغداد. وزيادة شهرته. تغني عن ترجمته. وقد جذبني بسلاسل حب شيخ الإسلام إياه وأزمة أوهامي إليه. فكنت لإشارة المشار إليه لا زال اللطف منهلًا عليه في معظم الأيام والليالي ثاويًا بين يديه. وكان يؤنسني بطيب كلامه ومزيد تواضعه. وقد نلت بتوسطه عند شيخ الإسلام معظم ما حصل لي من منافعه. ورأيت له قبولًا عظيمًا عند الرجال. وكانوا يحلونه أعلى محل ويجلونه غاية الإجلال. وكان بصدد أن يتسور وزارة بغداد. وقد أرادها له معظم الوكلاء إلا أن الله تَعَالَىٰ ما أراد.

حضرة من لا يجارى في جده. ولا يبارى في قوة سعده. المنضد أمتعة حسن المعاملة في حجرة وجوده. والمشتري بضائع الأثنية الفاضلة بجواهر لسانه ونقوده. من لم يزل في ازدياد سعده. (عبد القادر باشا)الشهير بزياده زاده. وعظيم شهرته. ويغني عن ترجمته. وقد شمر سلمه الله تَعَالَىٰ عن ساق الاجتهاد. وسعى في الذب عني غاية السعي رعايةً لحقوق صداقة مرت في بغداد. وكان هو أعز من الولد المطيع. عند حضرة شيخ الإسلام. وكان كلامه أحب إليه من أزهار الربيع. إذا توجتها لآلئ حب الغمام. فلو فاجأه بوقوع المستحيل العقلي يصدقه. وإذا ناجاه بتوقيع الأمر الكلي يحققه. كل ذلك لقوة فراسته. ورصانة ديانته.

أرعى السـها والفرقد، ولا أدري ما أصنع، وما أحط وما أرفع، وقد رأيته مصروفًا عن كل فضل، لا معرفة فيه أصلًا ولا عدل.

فلما يئست منه، لما تفرست فيه وحدثت عنه، فطلبت كدخدا عبدي باشا يوسف جميل، وسألت عنه من جاءني من حقير وجليل، فلم أقف له على أين، فضلًا عن عين، ثم حققت أنه مشـغول، بأمور شرحها يطول، فأشار عليّ، بعض الأحبة المترددين إليّ، بأن أذهب رأسًا إلى حضرة الصدر[1] الأعظم[2]، ثم أثني بواحد الدنيا حضـرة ولي النعم[3]، ووالي مدينتي لا ونعم، فأطعته حيث لم أعرف، من أين تؤكل الكتف، ولم يخطر لي أن هذا الترتيب يضر مثلي، فعبرت إلى قصر ذلك الصدر، [٦٣] بين وقتي الظهر والعصر.

فرأيت بالباب، بعض الحجاب، فسلمت عليه، فرد بجفنيه، ولم يحرك

(١) كان حضرة رشيد باشا [منه].

(٢) الصدر الأعظم: الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، وكان وكيلًا مطلقًا للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة، غير أن لقب الصدر الأعظم انتشر أكثر من غيره، واستمر استخدامه إلى اضمحلال الدولة العثمانية.

وكانت لديه صلاحيات كافة الأمور في الدولة، وكان لديه ختم السلطان، وكان رئيسًا للديوان الهمايوني، وكافة الأوامر التي تصدر لنصب أو عزل أو قتل كانت تصدر منه. إلا أنه كان يستأذن للسلطان في موضوع يتعلق بأحد الوزراء أو القاضي عسكر أو شيخ الإسلام، وكذلك في توجيه التيمارات الأعلى من ٥٩٩٩ آقجة، لكن في حال الغزو أي الحرب لم يكن يستأذن من السلطان حتى في هذه الأمور، كما أن الطلب الذي كان يقدمه للسلطان كان حريًا بالموافقة والاستجابة من حيث الأصول المتبعة، مع أن السلطان لديه كافة الصلاحيات في عزل الصدر الأعظم من منصبه أو حتى قتله، وكان يطلق على الدائرة التي يعمل فيها الصدر الأعظم باب الباشا، والباب الآصفي.

سهيل صابان، «المعجم الموسوعي».

(٣) كان عارف حكمت بك أفندي [منه].

- ومَن شق فمه - شفتيه، قد أسكرته خمرة الكبر، واستغرقته غرة مسالمة الدهر، كأن كسرى حامل غاشيته، وقارون وكيل نفقته، وبلقيس إحدى داياته، وراية القائمين على الضحاك إحدى راياته، أو كأن يوسف لم ينظر إلا بمقلته، ولقمان لم ينطق إلا بحكمته، والشمس لم تطلع إلا من جبينه، والغمام لم يبدو إلا من يمينه، أو كأنه امتطى السماكين، وانتعل الفرقدين، وتناول النيرين باليدين، وملك الخافقين، واستعبد الثقلين، أو كأن الخضراء له عرشت، والغبراء بسببه فرشت، وأحسست منه أنه امرؤ قد طلق المروءة ثلاثًا لم ينطق فيها باستثناء، وفتى قد أعتق الفتوة بتاتًا لم يستوجب له عليها ولاء، فرجعت أخط برجلي، وعدت بخفي حنين [1] إلى رحلي.

ثم عدت في اليوم الثاني إلى كدخدائه، مؤملًا أن أفوز على يده بلقائه، فقال: إن الشغل في هذه الأيام هنا متوالي، والرأي عندي أن تواجه حضرة الصدر في الباب العالي [2].

---

(١) ضرب العرب المثل بخفي حنين عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة. فيقال: رجع بخفي حنين. وكان حنين إسكافًا من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخفين، فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي، وأراد حنين غيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ أحد خفيه، فطرحه، ثم ألقى الآخر في مكان آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخفي حنين ولو معه الآخر لأخذته، ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، فأناخ راحلته ورجع في طلب الأول، وقد كان حنين كمن له، فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا خفان. فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ قال جئتكم بخفي حنين. فذهبت كلمته مثلًا.
ووردت قصة أخرى لدى ابن السكيت حول معنى المثل وأصله: وقولهم رجع بخفي حنين، للرجل إذا رد عن حاجته قال أبو اليقظان كان حنين رجلًا شديدًا، ادعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران، فقال يا عم، أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم، ما أعرف شمائل هاشم فيك، فارجع فقالوا رجع بخفي حنين
انظر، جواد علي: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، (٥٧/٩)؛ ابن السكيت: «إصلاح المنطق» (ص: ١٠٣)؛ الصاغاني: «العباب الزاخر» (ص: ٤٠٢).

(٢) الباب العالي Bab-ı Ali: مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه =

فقمت قبيل أن تغرب الشمس، ورجعت إلى منزلي كما رجعت بالأمس، فناجاني التوفيق، وهو لعمري نعم الرفيق، أن قم واذهب إلى ملاذك، وكهفك من حوادث الدهر [بعد الله تَعَالَىٰ][1] وعياذك، حضرة شيخ الإسلام[2] وولي النعم،

= السلطان محمد الرابع سنة ١٦٥٤م وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم. وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر الميلادي وعلى وجه الخصوص في عهدي السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني.

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٢) هو عارف حكمت: السيد أحمد عارف حكمت بن إبراهيم عصمت ابن إسماعيل رائف باشا لرومي مفتي الإسلام الحنفي ولد سنة ١٢٠٠ وتوفي سنة ١٢٧٥ خمس وسبعين مائتين وألف. صنف الأحكام المرعية في الأراضي الأميرية. تذكرة الشعراء تركي. ديوان شعره تركي مطبوع. مجموعة التراجم في تراجم علماء القرن الثالث عشر لم يكمل. كما جاء في (هدية العارفين). وثمة اختلاف في سنة الميلاد في (حلية البشر) مع التوسع في ترجمته، حيث قال:
«شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بك بن السيد إبراهيم عصمت بك بن إسماعيل رائف باشا الحسيني الحنفي. بدر أشرقت به سماء عروج العلماء، وأضاءت به أفلاك بروج الفضلاء... ولد في ليلة الأحد الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام عام ألف ومائتين وواحد، وكانت يد الإسعاد تحوطه من كل ماكر وحاسد، وغب تمييزه قرأ القرآن واشتغل في الطلب على العلماء ذوي الإتقان، وفي سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة دخل التدريس، وفي غرة رمضان سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين دخل في سلك موالي قضاء القدس، وفي سنة ألف ومائتين وست وثلاثين أحرز مولوية مصر القاهرة، وفي ألف ومائتين وتسع وثلاثين نال مولوية طيبة الطاهرة، وفي اثنتين وأربعين حاز باية استانبول، وفي خمس وأربعين تعين من جانب السلطنة السنية مأمورًا لتحرير النفوس الروملي، وبعد رجوعه من المأمورية المذكورة أي في سنة ست وأربعين تشرف بمنصب نقابة السادة الكرام، ومن حين وفاة والده الماجد إلى مضي نحو خمس وعشرين سنة كانت إقامته في البيت المنتقل إليه من جده الأمجد مع كمال الاعتدال والراحة، وكان محله هذا موردًا لأصحاب الفضل، ومقصدًا لذوي المروءة والعدل، وبعده انتقل لبيته الكائن بأسكدار الواقع بجوار حمام العتيق، فجعله محل انقطاعه وخلوته، فما لبث أن صار لقضاء حاجات الواردين على بحر حضرته، وموردًا لذوي الرشد والهدى، ومقصدًا لطلاب الجود والندى، وفي رأس ألف ومائتين وتسع وأربعين أحرز رتبة باية الأناطولي، وفي خلال ألف ومائتين وخمسين استعفى من مسند النقابة الآنفة الذكر، وفي سنة =

والآخذ من مطية الحق بمذود لا ومقود نعم، فأصبحت ذاهبًا إليه عجلًا، وساعيًا إلى حظيرة حضرته مهرولا، وقصدت قصره في الثغر، وهو حسًا ومعنىً غير بعيد عن قصر الصدر، ولما عرجت إلى عرش جلاله، استأذنت على يد كدخدائه في مشاهدة جماله، فأذن لي بالدخول عليه، فهرولت لتقبيل يديه، فقال لا تفعل، وسلم فالسلام أفضل، وقدمت إليه الكتاب، فقال قدمه للصدر في الباب، فذاك

= اثنتين وخمسين وجهت لعهدته باية الروملي الجليلة، وفي سنة خمس وخمسين يعني أوائل عصر السلطان عبد المجيد خان أرسل لجانب الروملي بكمال الإعزاز والإكرام لأجل تفتيش أحوال البلاد والعباد مع مأمورية رئاسة مجلس أحكام العدلية، وبعد العود جعل عضوًا لدائرة الشورى العسكرية، وقد أبرز من المساعي المشكورة ما يخلد له الذكر الجميل، والثناء الجليل، واشتغل بفصل المواد المهمة الجسيمة المتعلقة بالسلطنة السنية، فاجتهد بما قدمه على سواه، وقضى برفعته وارتقاه، إلى أن نال مسند مشيخة الإسلام العالي في يوم السبت الواقع في اثنين من شهر ذي الحجة عام ألف ومائتين واثنين وستين، وبعد أن استمر في هذا المسند لحل مشكلات المسائل سبع سنين وستة أشهر وتسعة عشر يومًا جرى انفصاله يوم الثلاثاء الواقع في حادي وعشرين جمادى الآخرة سنة ألف ومائتين وسبعين، وبعدها سكن في بيت الشرف الذي تملكه من إحسان الذات الشاهانية بوقت مشيخته الكائن بحصار الروملي، واشتغل بالعبادات والطاعات، وتتبع الكتب والمجلات، في دائم الأوقات، وخصص الأوقاف الجسيمة من المسقفات والمستغلات، وبعدها أنشأ مكان مكتبة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، ورتب لها حفظة وخدمة ووقف بها سائر كتبه المتجاوزة خمسة آلاف كتاب من الكتب النفيسة، وأرسلها إلى ذلك المكان، وبعد إكمال ذلك عزم هو أيضًا على أن يهاجر إلى خير البقاع، وفي نيته أن يختم بقية عمره بتلك البقعة المباركة نظرًا لشدة محبته لخير الأنام، ورسول الملك السلام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ولكن المرء يسعى والمنية تضحك حيث أن أنفاس الحياة المعدودة وصلت إلى النهاية فتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد لست عشرة خلت من شهر شعبان المعظم سنة ألف ومائتين وخمس وسبعين ودفن في قبره المخصوص الكائن في أسكدار عند محل بئر نوح.

انظر، البيطار: «حلية البشر» (١/ ١٤٤ - ١٥٢)؛ البغدادي: «هدية العارفين» (١/ ١٨٨)؛ الكتاني (٢/ ١٢٣- ١٢٥)؛ البغدادي: «إيضاح المكنون» (١/ ٣٧)، (٢/ ٤٣٨)؛ الزركلي: «الأعلام» (١/ ١٣٨).

مقتضى [القاعدة][١]، وليس لتقديمه لي أولًا فائدة، وإذا أرسلوه من الباب إليّ، أقول فيه إن شاء الله تَعَالَىٰ القول [٦٤] الفصل الواجب عليّ.

وأحسست منه أن عدوى الأعداء، قد غبّرت سجنجل[٢] قلبه الشريف بغبار الافتراء، وأنهم أشموا من ذمي أنف سمعه الأشم، ما هو في حقي أشأم والعياذ بالله تَعَالَىٰ من عطر منشم[٣]، بيد أني تفرست فيه، وأمعنت النظر في ظاهره وخافيه، فلاح لي أنه ذو تقوى تقيني مما أكره، وتكفيني إن شاء الله تَعَالَىٰ كيد العدو ومكره، وأنه بحوله تَعَالَىٰ عن قريب ينجلي ذلك الغين، فأكون لدى حضرته العلية جلدة ما بين الأنف والعين[٤].

ثم إني ذهبت حسب أمره إلى الباب، ولم يصحبني بعد التوكل على الله

---

(١) في النسخة المطبوعة (العادة).

(٢) السَّجَنْجَل المِرآة وقال بعضهم زَجَنْجَل وقيل هي روميَّة دخلت في كلام العرب.
انظر، ابن منظور: «لسان العرب».

(٣) أَشْأَمُ مِنْ مِنْشَم: ويروى مشأم ويروى من عطر منشم وهي امرأة عطارة غمسوا أيديهم في عطرها وتحالفوا بالاستماتة في الحرب وقيل كانت امرأة تبيع الحنوط وسموه عطرا لأنه طيب الموتى وقيل هى امرأة افترعها زوجها صبيحة عرسها فأدماها فقيل لها بئس ما عطرك زوجك وقيل المنشم شيء يكون في سنبل العطر يسمى قرون السنبل وهو سم ساعة قالوا هو البيش وقيل المنشم الشر بعينه مأخوذ من شم فى الشر إذا أخذ فيه قال زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

انظر، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: «المستقصى في أمثال العرب»، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، (١/ ١٨٤).

(٤) قال المقري في نفح الطيب: يقول ابن عمر في ابنه السالم

يديرونني عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين الأنف والعين سالم

ويراد بمثل هذا القرب والتحمد.
انظر، أحمد بن محمد المقري التلمساني: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، (٥/ ٢٥١).

تَعَالَىٰ سوى الكتاب، فجئت أولًا إلى حضرة المستشار، الذي يشتار من آرائه عسل الصواب إذا أشار، من غدا لفسطاط السلطنة الكبرى عمادًا، ولصدر الصدارة العظمى فؤادا، الكامل الأوحدي، أبو المحاسن فؤاد أفندي[(١)]، فرحب ورحّب، وأكرم فأعجب، ثم أمر حلو الأخلاق، جميل بك أفندي مدير الأوراق[(٢)]، وهو نجل

(١) فؤاد أفندي المستشار: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): ولما دخلت الباب العالي. حظيت بمشاهدة طلعة البدر المتلألئ. قرة عيون بصائر ذوي الأبصار. حضرة رائس أقرانه (فؤاد أفندي) المستشار. فتلقاني بالترحيب. ولقيته أحب حبيب. كأني اصطحبت معه دهرًا.. وهو مشهور في البسيطة بكيجة جي زاده.. وعندما صار مستشار الصدر. جبر كسر القلوب أحسن جبر. وذلك لما مصره من كرائم الأخلاق. واعتصره من كرم كرم الأعراق. ولمزيد فضله. وسلامة عقله. عول عليه الصدر في أمره كله. ولكونه ذا ذهن وقاد. أحل إليه الكلام في أحوال البلاد والعباد. ولا بدع في ذلك فالمستشار مؤتمن وأن الكلام في الفؤاد. واتفق أن دعاني إلى الثغر. ليشرح مني بالاستئناس الصدر.. وكان سلمه الله تَعَالَىٰ قد ذهب إلى القاهرة. ليجري مع واليها حضرة عباس باشا بعض المذاكرة. فعاد من هنالك. بوجه مستبشر ضاحك.. وبالجملة كان المشار إليه عاقلًا حليمًا. وعارفًا بما يقتضيه الوقت عليما. وقد صار مشير الخارجية في الحادي والعشرين. من شوال السنة الثامنة والستين. وبعد نحو ثمانية أشهر جاء من قبل الدولة المسقوفية سفير. يقولون أنه بين السفراء ذو قدر خطير. وكان سفير شر. وخباثة وغدر. فذهب إلى الباب العالي. غير مارٍ بحضرة هذا البدر المتلألئ. وعادة سفراء الدول الأجنبية. المرور أولًا بمشير الخارجية. فاستشعر من ذلك عدم الاكتراث به. فأبى شريف طبعه جليل منصبه..
نسأل الله تَعَالَىٰ أن يطفئ نار أولئك الطغام. ويؤجج عز وجل بلطفه نور المسلمين والإسلام. ولا يخرجنا إلى الاستعانة بأعداء الدين..

(٢) مدير الأوراق: ربما يعني بذلك المسئول في قلم البكلكجي أو قلم الديوان: وهو أول أقلام الديوان الهمايوني وأهمها؛ وهذا القلم كان هو الإدارة التي تتولى الاحتفاظ بقرارات الديوان الهمايوني، وتتولى تحويل الأوراق الخاصة بالموضوعات التي نوقشت فيه إلى الجهة المعنية، وتقوم بكتابة النسخ اللازمة من الأوامر والأحكام الصادرة. ويقوم قلم البكلكجي بإمساك عدد من الدفاتر التي ظهرت في تواريخ مختلفة؛ مثل: دفاتر الأحكام، ودفاتر المهمة، ودفاتر الشكاية القديمة «عتيق شكايت»، ودفاتر المهمة السرية «مهمهء مكتوم»، ودفاتر مهمة مصر، ودفاتر الرسائل الهمايونية «نامهء همايون»، ودفاتر المقاولات «مقاوله نامه»، ودفاتر =

المرحوم نجيب باشا الوالي الأسبق في العراق، بأن يذهب بي، رافعًا على يديه كتابي، إلى حضرة الصدر الأعظم، وتاج رأس السلطنة المزين بجواهر الحكم، فامتثل ما أمر به، والظاهر أنه لم يثقل على قلبه، وكان ذلك في مجلس خاص غاص بالوكلاء[1] الفخام، والوزراء المتطين من يعملات الشورى الذروة والسنام، وقدمت الكتاب في هاتيك الحضرة، فلم أشاهد - والله تَعَالَىٰ خير شاهد - إلا ما يؤذن بالمسرة.

ولقد أحلني الصدر من احترامه مكانًا عليًا، وأجلني حتى كادت تسامت أقدام مسرتي - ورأسك العزيز - الثريا.

واختير لراحتي الحلول في دار الضيافة، وقيل لي أن ذلك هو العادة مع أمثالك في دار الخلافة، فذهبت إليها مكرمًا، وكنت فيها - ولله تَعَالَىٰ الحمد -

---

= الامتياز، ودفاتر المقتضى، ودفاتر التوجيهات المدنية «توجيهات ملكية»؛ أي: التعيين في الوظائف المدنية، ودفاتر الكنائس، ودفاتر الشهبندر، ودفاتر مجلس التنظيمات «مجلس تنظيمات»، وغير ذلك.

انظر، أكمل الدين أوغلو: «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة» (٢/ ١٩٨).

(١) في الدولة العثمانية كان هناك هيئة الوكلاء وهي مجلس الوزراء العثماني برئاسة الصدر الأعظم. وهناك أيضا مجلس الوكلاء الخاص وهو أعظم هيئة في الحكومة الإجرائية ومرجع المذاكرة والبحث في الأمور المهمة جميعها: الداخلية والخارجية. وأما وكلاء الدولة الذين هم أعضاؤه فهم الذوات الكرام الموجودون في مقام مشيخة الإسلام الجليلة والسرعسكرية «نظارة الحربية» و«نظارة البحرية» ومشيرية الطوبخانة العامرة ورياسة شورى الدولة ونظارات الداخلية والعدلية والمالية والمعارف العمومية والأوقاف ونظارة التجارة والنافعة ومستشار الصدارة العظمى. ويوجد عدا هذه النظارات الكبيرة بعض هيئات منظمة على شكل دوائر مخصوصة: كأمانتي الرسومات والبلد. ونظارة صندوق تقاعد الملكية ونظارة البوسطة «البريد» والتلغراف ونظارة الضابطة ونظارة الأحراش والمعادن والزراعة ونظارة الدفتر الخاقاني وبعض الدوائر المتفرقة الأخرى.

انظر، لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ٢٧١، ٣١٤).

معظمًا، وهي قريبة من جامع «اللا للي»[١] جدًّا، وحولها من بيوت الأجلة ما لا أكاد أستطيع له عدًا، ومدير رحاها، ومدبر أمر [٦٥] قِراها، رجل اسمه طاهر أفندي، ومن المشكلات مسألة عينية الاسم للمسمى عندي.

ولم يكن في دار الضيافة لي ثاني، سوى شيخ عالم يقال له عليّ أفندي الداغستاني، وهو من صلحاء الأمة الذين تكشف بنسائم أدعيتهم غمايم الغمة، وقد وفد على الدولة مهاجرًا من بلدته، وطالبًا جهة معاش له ولفقراء طلبته.

وضم إلينا من أهل «جاوه»[٢] رجال رئيسهم يدعى بمحمد غوث، وله

(١) جامع لاله لي: في محلة آقسراي، بناه السلطان مصطفى الثالث، وله مئذنتان، وفيه خمسة أعمدة من الرخام الأبيض، وله باب من جهة آقسراي أمامه بركة ماء، ومدفن السلطان المشار إليه.
انظر، م. شكري: «دليل الآستانة».

(٢) جاوه من أهم وأكثر الجزر ازدحامًا بالسكان في إندونيسيا. وبالرغم من أنها تحتل أقل من جزء واحد من خمسة عشر جزءًا من مساحة الأرض في إندونيسيا إلا أنها أثرت كثيرًا في تاريخ وثقافة المنطقة كلها. وقد كانت الحضارة في هذه المنطقة في أوج مجدها بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين، وقد أثر نفوذها الثقافي في الجزر الأخرى. منذ عهد الاستعمار الهولندي، الذي بدأ في القرن السابع عشر، أصبحت جاوه المركز السياسي في إندونيسيا. ويميز الإندونيسيون بين بولو جاوه أي جزيرة جاوه وتانه جاوه أي أرض جاوه التي هي الجزء من الأرض الذي يسكنه الجاويون، وهو تقريبًا الجزآن الأوسط والشرقي من جاوه. وفي عام ١٨١١م في أثناء الحروب النابوليونية، استولى البريطانيون على جاوه وحكموها لمدة خمس سنوات قبل أن يسلِّموها مرة ثانية للهولنديين.
كانت حرب جاوه من عام ١٨٢٥ إلى عام ١٨٣٠م ثورة كبرى ضد حكم الهولنديين. في عام ١٨٣٠م، انتهجت هولندا نظامًا للزراعة سيئ السمعة لتستطيع من خلاله تغطية نفقات الحرب، وقضى هذا النظام أن يقوم الجاويون بزراعة المحاصيل التي يحتاجها الهولنديون واستمر حتى عام ١٨٦٠م.
=

غاية صلاح وكمال، وقد ذكر لي أنه جاء رسولًا من قبل ابن عمه ناصر الدين السلطان في هاتيك البلدان، لطلب الانتظام في سلك أتباع الدولة العلية، واتباع أمر حضرة خادم الحرمين[1] السلطان عبد المجيد خان[2]، مدعيًا أن ليس ذلك

= انظر، «الموسوعة العربية العالمية».

(١) خادم الحرمين الشريفين من ألقاب السلطانية والمراد حرم مكة المشرفة والمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام. فبعد معركة مرج دابق في ٢٤ آب/أغسطس سنة ١٥١٦م انتصرت الجيوش العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول على جيش المماليك بزعامة قانصوه الغوري. وقد حصل السلطان سليم في الجامع الكبير في حلب وبحضور الخليفة العباسي المتوكل على لقب «خادم الحرمين» لأن سلاطين المماليك كانوا يحملون لقب «حامي الحرمين».
انظر، القلقشندي: «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، (٦/ ٤٧)؛ لطفي المعوش: «موسوعة المصطلحات»، (ص: ١٢٤).
ومسألة تلقب السلاطين بهذا اللقب واستخدامه في المخاطبات الرسمية واهتمامهم به، وانتقال الخلافة إليهم، وكذلك إحياء منصب الخلافة واستحقاقهم لهذا اللقب، كل ذلك محل جدال كبير بين دارسي الدولة العثمانية والمهتمين بها وناقديها.

(٢) السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الثاني: ولد سن ١٢٣٧هـ، وجلس عام ١٢٥٥ بالغًا من العمر ١٨ سنة وعقيب جلوسه أقام خسرو باشا صدرًا أعظم فلم يستطع أن يستميل إليه كبار رجال الدولة، وقد جاراهم في بعض الأمور، فوقع النفور بينه وبينهم، واستحكمت حلقاته حتى لم يعد في الإمكان إصلاح ذات البين، وبالنظر لما وقع من الشقاق تأخرت أحوال العمار البحرية التي أرسلتها الدولة إلى مصر، وحينئذ أقال السلطان من منصب الصدارة خسرو باشا، وعين مكانه رشيد باشا الذي شمر عن ساعد الجد، وابتدأ في إجراء التنظيمات وسائر ما من شأنه أن يمهد أمام العباد سبل الراحة والإسعاد، ثم اصدر منشورًا تضمن إجراء العدالة ورفع المظالم، تلاه في الكلخانة بحضرة السلطان الأعظم وشيخ الإسلام والوزراء العظام، وسائر العلماء الفخام، وبعد ذلك سعى في حسم مسألة مصر، فأنهاها بما يوافق مصالح الدولة، ومنع سفن الدول الحربية من الدخول في بوغاز البحر الأسود والبحر الأبيض، وفي سنة ١٢٦٥ ساح السلطان في جهات الروم إيلي الشرقية، ثم عاد إلى القسطنطينية، وشرع في إصلاح الأحوال الداخلية، وفي السنة ذاتها نقضت الروسية العهود وطلبت من الدولة وضع حمايتها على سائر المنسوبين إليها، المقيمين في الممالك المحروسة، =

عن استكانة، وإنما هو لمجرد قوة الديانة(١).

= فأبت الدولة ذلك، وامتنعت عن القبول بأمر ليس فيه للحق وجه، ولما اعتلمت الروسية بعدم إجابة طلبها اشتهرت الحرب على الدولة عام ١٢٧٠، فسارت الجنود الشاهانية إلى جهة الأناضول والروم إيلي، واقتتلت مع عساكر الروس عند سواحل نهر الطونة فأهلكتهم، وحينئذ جمعت الروسية كل قواها وألفت جيشًا كثيفًا من تسعمائة ألف رجل ساقتهم إلى حقول المعركة، فلما رأت الدول ذلك فقهت وخامة العاقبة واتحدت إنجلترا وفرنسا وسردينيا مع الدولة العلية وأرسلن مراكبهن تحمل المدافع والجنود، فأخربت قلع سواستبول وسائر شطوط الروسية البحري، وأوقفوا الروس عند حدودهم.

وعقيب ذلك عقدت معاهدة باريس، وتم بموجبها الصلح عام ١٢٧٣، وتفرغ السلطان لسن النظامات المتعلقة بالتجارة والصناعة والزراعة، فشكل محاكم التجارة، وأسس المكاتب الرشيديدة، واعتنى في نشر المعارف والعلوم وتعميم العدالة والأمن، وفي عام ١٢٧٧ توفي إلى رحمة الله عن عمر أربعين سنة، قضى منها على عرش الملك ٢٢ عامًا، ودفن في جوار جامع السلطان سليم في تربته المخصوصة رحمه الله رحمة واسعة.

انظر، يوسف بك آصاف: «تاريخ سلاطين بني عثمان»، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥، (ص: ١٢٠ - ١٢١).

(١) في سعي السلاطين العثمانيين نحو استعادة قوة الدولة وهيبتها ومكانتها الدولية، بدأت في تقوية صلاتها بمسلمي العالم من خلال إحياء اعتبار منصب الخلافة الإسلامية كرمز ديني وروحاني يجتمع حوله المسلمون، ولم يهدفوا إلى جمعهم في كيان سياسي واحد بل في رباط من نوع آخر، وكان أقوى وأنجح من عمل في سياسة (الجامعة الإسلامية) هو السلطان عبد الحميد الثاني، حتى نسي بعض المؤرخين أن هذه السياسة كانت قائمة في عهد والده السلطان عبد المجيد، وبلغت مبلغا متميزا، حتى أن بريطانيا العظمى استغاثت بعبد المجيد في تهدأة الثوار المسلمين ضد حكمها في الهند!

ولعل هذا الخبر الذي يورده الألوسي نادر الذكر في بقية المصادر والمراجع، ومثير للاستغراب أيضًا في وقت كانت الدولة تحاول عبر إعلان التنظيمات اتباع المنهج الغربي في التحديث والتطوير وإيقاف عجلة التراجع، وفي الجهة الأخرى تؤتي سياسة إحياء الخلافة بعض ثمارها في طلب بعض الكيانات السياسية الانضواء تحت لواء العثمانيين، تماما كما كان يحدث في العصر الذهبي إبان حكم سليمان القانوني. ويوضح السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته السياسية بعض ملامح إستراتيجيته في هذا المضمار:

(يجب علينا أَن نقوي صَلَاتنَا بالبلدان الإسلامية، وَأَن يكون التقارب أحسن مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ =

ثم إني بعد أن استقرت بي الدار، وطاب لي مع من فيها القرار، تتبعت حضرات وكلاء الأمور، وإلى التاريخ زرت معظمهم فوجدت كلًا - من غير زور - خير مزور.

وقد زارني من غير ريث جميع من في الآستانة من أهل الزوراء، فانحلت ببنان زياراتهم أزرار ما انحلت قواي من برود اللأواء، وأولهم زيارة ولدي، التقى النقي وليّ أفندي، ديوان أفندسي زاده، أكرمنا الله تَعَالَىٰ وإياه في الدارين بأنواع السعادة.

وكذا زارني غير واحد من العلماء الأعلام، ونزرٌ قليل ممن نعرفه من قضاة مدينة السلام.

ومن الغريب أن زارني وأعظم بي اهتمامه، صابي زمانه دينًا وأدبًا بطرس كرامة[1]، وقد أنشدني بيتين، هما حول قطب الإعجاز كفرقدين، وذلك قوله، حسن فعله:

= الْآن، وَلَا أمل لنا بالمستقبل إلا بالوحدة ؛ فان بَقَاء الْوحدَة الإسلامية يَعْنِي بَقَاء انكلترا وفرنسا وروسيا وهولندا تَحت نفوذنا، حَيْثُ أَن كلمة وَاحِدَة من الْخَلِيفَة تَكْفِي لإعلان الْجِهَاد فِي الْبلدَانِ الإسلامية الْوَاقِعَة تَحت سيطرة هَذِه الدول... وَلَا بُد أَن يَأْتِي يَوْم يقوم فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ قومة رجل وَاحِد ويحطمون أغلالهم. هُنَاكَ ٨٥ مليونا من الْمُسلمين يحكمهم الانكليز و٣٠ مليونا يحكمهم الهولنديون و١٠ملايين يحكمهم الروس، ومسلمون فِي مناطق أُخْرَى من آسيا وأفريقيا حَيْثُ يبلغ الْمَجْمُوع الْعَام ٢٥٠ مليونا، يرجون من الله النَّصْر ويوجهون أنظارهم وآمالهم صوب خَليفَة الْمُسلمين).

انظر، عبد الحميد الثاني: «مذكراتي السياسية»، (ص: ١٧٥).

(١) بطرس كرامة (١١٨٨- ١٢٦٧هـ/١٧٧٤- ١٨٥١م): بطرس بن إبراهيم كرامة، معلم، من شعراء سورية. مولده بحمص. اتصل بالأمير بشير الشهابي (أمير لبنان) فكان كاتم أسراره. وكان يجيد التركية، فجعل مترجما في (المابين الهمايوني) بالآستانة فأقام إلى أن توفي فيها. أما شعره ففي بعضه رقة وطلاوة. له (ديوان شعر) و(الدراري السبع) مجموعة من =

في سماء السعود أشرق بدر فاستدارت من فضله كل هاله

فهو محمود كل فضل ولكن باختصاص مدايحي كلها له

فملئت من ذلك سرورًا وملت سُكرًا، وما ذاك إلا لأني سمعت في الديار الرومية باللغة العربية شعرًا، وعهد سمعي باحتساء حمياه قديم، ولذا [٦٦] تراني إذا شم عرنيني نفحة منه أهيم.

بلى سمعت في جزيرة ابن عمر، وأنا إذ ذاك غريق في بحر فكر، قصيدة للفاضل السري، محمد أمين أفندي العمري، أرسلها إليَّ مع كتاب من أرجاء الزوراء، حضرة نامق باشا(١) مشير(٢) الحجاز والعراق ومستشير الصمصام في

= الموشحات الأندلسية وغيرها.

انظر، «الأعلام» للزركلي (٢/٥٨)؛ و«هدية العارفين» (١/٢٣٢)؛ و«معجم المطبوعات» (١٥٥٠).

(١) نامق باشا (محمد): مشير من المشيرين المتأخرين في الدولة العثمانية، أرسل في بعثة إلى أوربا من أجل التعرف على النظم العسكرية الحديثة، والاقتباس منها وتطبيقها في العسكرية في تركيا. ولما عاد من أوربا أدى مهامه على ما ينبغي. وقد نال رتبة المشير في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وكان قائدًا عامًا للجيش في عهد السلطان عبد العزيز، كما تولى وزارة البحرية مرتين، تولى عدة مناصب رئاسية، وتوفي عام ١٣١٠ للهجرة.

انظر، حسين مجيب المصري: «معجم الدولة العثمانية»، (ص: ١٤٧).

(٢) مشير العساكر: في عام ١٨٣٢م استحدثت الدولة رتبة المشير أعلى الرتب في الجيش، وأصبح توالي الرتب العسكرية في الجيش من أسفل إلى الأعلى على النحو التالي: الجندي المستجد «نفر»، ثم الأونباشي، ثم أمين البلوك «بلوك أميني»، ثم الجاويش «جاوش»، ثم الجاوش الأول «باش جاوش»، ثم الملازم، ثم الميرلوا، ثم الفريق، فالمشير، وفي عام ١٨٣٤م أقامت كلية حربية «حربية مكتبي» لتنشئة الضباط اللازمين للجيش، كما أوفدت الطلاب للدراسة في النمسا. أنشأت خلال ذلك العام وحدات احتياطية «رديف» في الولايات المختلفة. وأصبحت العساكر المنصورة تعرف بعد ذلك باسم «العساكر النظامية».

انظر، أكمل الدين أوغلو: «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة» (١/ ٤١٠).

الـلأواء، يخبرني بهـا عن حادثة وقعـت هناك ظهر فيها سـعده، وأورى في دجاها المدلهم زنده، وهي قوله دام فضله:

يا أيها الملك المشير القسوَرُ ... هذا الجهاد هو الجهاد الأكبرُ

جاهدت أرباب الشقاء فأصبحوا ... طوع القياد لما تقول وتأمر

[وقطعت دابرهم بسعد مقبل ... وخذلتهم والحظ منهم مدبر][1]

دارت عليهم للنحوس دوائر ... فيها النكال مكور ومدور

مكروا فأصبح كيدهم في نحرهم ... ويحيق مكر السوء فيمن يمكر

جحدوا وما شكروا لنعمة ربهم ... وطغوا وفي طرق الضلال تجبروا

فبطشت فيهم بطشة كبرى بها ... ذلوا وفي عين العونية صُغِّروا

ظنوا القلاع تصونهم لكنهم ... لم يعرفوا أن الشقاء مدمر

سخرتها قهرًا بيوم واحد ... ولك العسير كما تشاء ميسر

فتحٌ به سددت ثغور جمة ... عن سدها قد أحجم الإسكندر

فغدا بنو حسن لسوء فعالهم ... كانوا بها وكأنهم لم يُذكروا

لم يسلكوا طرق الرضا وبحزبهم ... غضب أحاط من البلاء مقدر

دافعتهم بمدافع كصواعق ... مثل الرواعد بالقنابر تهدر

تتلو عليهم سورة الرعد التي ... في وعظها أهل الشقاوة تزجر

ورميتهم ولك الإله مؤيد ... بعظيم خطب كسره لا يجبر

فغدوا وهذا بالصعيد مجندل ... خاو وهذا بالتراب معفر

نثرت جموعهم نظام عساكر ... تصلى سعير الحرب إذ تتسعر [٦٧]

رتبتهم صفا فصفًا للقا ... وسديد رأيك للأمور مدبر

بكتيبة الهيجاء أنك نامق ... وصفوفهم من حسن حظك أسطر

---

(١) هذا البيت غير موجود في النسخة المطبوعة.

يطأون نيران الوطيس بأرجل ... تسعى إلى الهيجا ولا تتأخر
داروا على تلك الحصون كأنهم ... سور على سور القلاع مسور
ففريقهم جمع البغات مفرق ... ولوائهم يلوي العدا إذ ينشر
لا زلت منصورًا ودمت مؤيدا ... في كل واقعة وأنت مظفر

وفي ذيلها هذه الأبيات، المتضمنة تاريخ فتح قلاعٍ أبيّات:

أهل هندية بغت بقلاع ... شيدوها من مكرهم والخباثة
واستقلوا بها على البغي جهلا ... فهم معدن الخنا والدياثة
زرعوا حولها الشقاء عنادًا ... لا رشادا إلى طريق الحراثة
فأتاها المشير ليث البرايا ... من له الحزم من قديم وراثه
وعليها استولى بشدة حزم ... فأغاث الورى بحسن الإغاثة
عند تسخيرها لقد قلت جهرًا ... سخّرت أرخوا (القلاع ثلاثة)

وقد شطر ذينك البيتين، مَلِك أدباء الخافقين، الكامل الذي هو عن كل نقص عري، حبيبي عبد الباقي الموصلي العمري، فقال:

في سماء السعود أشرق بدر ... فاستعارت كل البدور كماله
مستهلاً بدا بدارة ملك ... فاستدارت من فضله كل هاله
فهو محمود كل فضل ولكن ... ما لشخص من المساعي كماله
فلهذا جعلت دون سواه ... باختصاص مدايحي كلها له

ومما يدخل في هذا الباب، ولا يعد أجنبيًا عن مخدرات هذا الكتاب، أنه بينما أنا جالس وحدي، دخل رجل يدعى حسن أفندي، وهو من أهل دمشق الشام، وقد أقام في القاهرة عدة أعوام، فتعلم من قانون الطب ما لا يسع الطبيب جهله، ونال من خلاصه التجاريب ومعرفة الأسباب والمسببات ما يعز مثله، فغدا

تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب[١]، إلا أنه لم يكن مأذونًا بمعالجة الأدواء، ممن نُصِّبَ في إسلامبول رئيسًا للأطباء، فجاء إلى ذلك الرئيس ليحصل ذخيرة الإذن منه، حيث لم يكن له بمقتضى الاختبارات الجديدة[٢] غنى عنه، فلما سمع بأني في هذه المغاني، اقتضى [٦٨] مزاجه أن يزورني ويرى تفسيري روح المعاني، ولما رآه جعل يصعد النظر ويصوبه في سحنة عباراته، ويجس بأنامل فكره الدقيق نبض إشاراته، ثم جعل يشرح مفاصله، ويراجع أواخره وأوائله، فسمعته يقول: هذا لعمري نزهة الناظرين وتحفة المؤمنين، وطب الرحمة، ومجمع الحكمة.

وذكر أوصافًا عديدة، ثم جاءني بهذه القصيدة، مقرضًا، وللتاريخ متعرضًا:

إن ترم حل عقد رمز المعاني ... خل تذكار أربع ومغاني

واجعل الروض مربضًا تلق فيه ... أن ترض ما يغني عن الأوطان

---

(١) يكني المؤلف هنا بكتاب داوود الأنطاكي الذي ذكر اسمه، وهو الذي اشتهر باسم (تذكرة داوود).

(٢) الاختبارات الجديدة: لأن المؤسسات الصحية داخل حدود الدولة العثمانية كانت تحت إمرة رئيس الأطباء (حكيمباشي)، فقد كان تعيين الأطباء والجراحين والكحالين والصيادلة في كافة المستشفيات وغيرها من المؤسسات الصحية منوطًا بأمره، وكانت العادة عندما يتخرج الطبيب من مدرسة الطب أو من إحدى دور الشفاء ويحصل على الإجازة منها، أن يجري تسجيله في سجلات الحكيمباشي، كما كان إقدام الأطباء والجراحين على فتح عيادات خاصة - لاسيما في استانبول - منوطًا بإذن من الحكيمباشي الذي كان يقوم بين الحين والآخر بالتفتيش على الأطباء والجراحين والكحالين والعطارين، ويمنع من مزاولة المهنة ضعيفي الأهلية والكفاية منهم. وكان يتم في بعض الأحيان إجراء اختبارات للممارسين لتحديد إمكانية استمرارهم أو ليتم منعهم من ممارسة أي مهنة طبية.
انظر، أكمل الدين إحسان أوغلو: «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة»، (٢/ ٤٨١).

أعين الروض ليس فيها حسود وأكف الربا سِماح البنان
وثغور الزهور تنطق بالأنـ ـس وتروي الصفا بغير لسان
وأكف النسيم تعبث بالغصـ ـن فيهتز هزة النشوان
وقدود الأراك تختال تيهًا حيث خالت رشيق قد الحسان
وخدود الورود قبلها الطَّـ ـل فظلت بوجنة الخجلان
فتأمل منثور نظم اللئالي سابحًا فوق ذلك البهرمان(١)
ما بكاه الغمام إلا استهلت ضاحكات مباسم الأقحوان
وله العندليب أذن بالأنـ ـس فأدى السجود غصن البان
وارتقى بلبل السرور خطيبًا فوق مرقى منابر الأغصان
فاعتض الروض عن معاهد أهل وزهور الربى عن الجيران
وانس ما كان من زمانك إلا زورة في الزوراء دار الأماني
بلد منبع الفضائل والمجد وأفق الفخار والعرفان
كعبة العلم بيت أعلام فضل رفعت للوفود لا علمان
وسماء قد ضاء فيها شهاب الد يـن حتى تثلث القمران
ذو السنا والثنا سرات المعالي لقبته أبو الثنا النوراني
أوحد في بني المحامد محمود المزايا مفسر القرآن [٦٩]
عند تأليفه التأليف جسم إذ له في التفسير روح المعاني
روضة زهرها البلاغة والفضـ ـل وأغصانها معاني البيان
وسماء أبدت كواكب رشد للبرايا أقلها النيران
وبحور فاضت بدايع در قرطقٍ(٢) للأذهان لا للآذان

---

(١) العصفر [منه].

(٢) اشتبه على الرجل فظن أن القرطق هو القرط، مع أن القرطق شيء يلبس في العنق، ويقال بالفارسية كرته، والقرطق معربه، والقرط شيء يلبس في الأذن وهو معروف فلا تغفل [منه].

ما علمنا البحور تسعًا إلى أن ... فاض هذا التفسير تسع مباني

كل جزء منها كبحر عُباب ... غارقات فيه بنو الأذهان

كل حرف حوى بدايع سر ... فيه قامت دعائم الأكوان

[فهي إنسان عين كل كتاب ... قبلها قد كانت بلا إنسان](١)

منحة بهجة سفينة نجح ... غيث يُمن سماء شمس عيان

ما تلاها على المسامع حبر الـ ... علم إلا خرت أولو التيجان

يعجز الألسن الفصيحة نطقًا ... مدحها لو(٢) أمدها الثقلان

هكذا هكذا و إلا فلا لا ... ينتج الدهر أو يعاني المعاني

حِكَم مذ وعيتها صيرتني ... حسن(٣) الخلق بين أهل زماني

ودعتني أروي ذكا ابن ذُكاءٍ ... ثم أُنبى(٤) بالطب عن لقمان

نورتني أسرارها فيها أرَّختُ ... فاشهد أسرار روح المعاني

[٣٩٠ ٤٦٢ ٢١٤ ٢٠٢](٥)

---

(١) هذا البيت غير موجود في النسخة المطبوعة.

(٢) أراد (ولو) فتأمل [منه].

(٣) إشارة إلى اسمه [منه].

(٤) إشارة إلى صفته [منه].

(٥) استخدم المؤلف هنا طريقة حساب الجمّل كما هو معتاد لدى العرب حتى مطلع القرن العشرين، وحسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم. يقوم حساب الجُمَّل، الذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أَبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي:
أَبْجَدْ، هوز، حطّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغٌ.
إذا قرأت عن حدث وقع في سنة (جمر)، مثلاً، فهذا يعني في حساب الجمّل أنّ الحدث قد وقع سنة (٢٤٣)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (٣)، والحرف (م) يقابله الرقم (٤٠)، والحرف (ر) يقابله (٢٠٠). فمجموع الحروف ج + م + ر = ٣ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٤٣. فإذا زاد العدد على الأَلف (ويقابله الحرف غ) وُضع قبل الحرف (غ) حرف مناسب. فالخمسة الآلاف يقابلها (هغ) وهي تساوي (٥ × ١٠٠٠)، وأربعون ألفًا يقابلها (مع) وتساوي (٤٠ × ١٠٠٠). وهكذا يكون تركيب أيّ عدد تريده بالحروف التي تلائمه.

سنة١٢٦٨

وهذا النظم بالنسبة إلى النظم الشامي، الواصل إلى القطر العراقي في هذه الأعصار سامي، على أني وجدته في دار الخلافة، ألذ ذوقًا من أشعار السُلافة.

■■■

إبراهيم أفندي الشرواني

ثم إن هذا التقريظ ردف تقريظًا كان نثرًا، حيث لم يكن صاحبه لالك بين لحييه منذ نشأ شعرًا، فقد زارني عالم رباني، يدعى إبراهيم أفندي ابن حسن أفندي الشرواني، ومعه كتاب فريد، قد ألفه على نمط المواقف في علم التوحيد، ويريد تقديمه للدولة العلية، راجيًا أن يحصل له بواسطته من المقاصد بعض الأمنية، فاقترح عليّ تقريضه ولم يعبأ بكوني [٧١] كليل الذهن مريضه، فطالعته وقرضته، بعد أن عركت ذهني ورُضتُه، ولما رأى ذلك كاد من الفرح يطير، ولم ير بُدًا من مكافئتي فقرظ التفسير، فقال وكتب، ولم يكن من أبناء العرب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل أذهان خواصه غواصة في أبحار ألفاظ كتابه الكريم، ومن عليها إذ غاصت فغصت مخاليها بنفائس درر معاني خطابه القديم، وأفضل الصلوات، وأكمل التسليمات، على من أوتي جوامع الكلم والقرآن الحكيم، وخلق على أحسن خلقة وخلق عظيم، وعلى آله وأصحابه الذين اقتبسوا من أنوار علمه الجسيم، واقتطفوا من نوار رياض فيضه العميم.

وبعد؛ فلما أجلت كميت نظري في مضمار هذا التفسير الجليل الشأن، وأسمت سرح فكري في أزهار رياضه المزرية بالنسرين والأقحوان، وقفت منه على مجلدات تسعة، كل منها كتفسير البيضاوي في الوسعة، وصادفت بحر يتموج بعمد العلوم الحقانية، وزبد الفهوم القرآنية، يحيي بها المعاني المقبورة في صخور العبارات، ويقوي به من كَلَّ نظره عن درك المقاصد من خفايا الرموز

والإشارات، يحتوي على خلاصة تفاسير السابقين، وينطوي على زوائد طويت عنها أفكار اللاحقين، أعلى الله تعالى درجة من اعتنى بتصنيفه، وأفنى شرخ العمر في تأليفه وترصيفه، ونفع الطالبين المستعدين بطول حياته، وأفاض على العالمين والعاملين سجال بركاته، وها هو مولانا وأولانا المتصف بالصفات السنية، والمتخلق بالأخلاق المرضية، وحيد عصره وفريد دهره، المشتهر بحسن التنظيم والتأليف، المستغني بشهرته عن التعريف، [أبو الثناء شهاب الملة والدين، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين](١)، السيد محمود ابن السيد عبد الله البغدادي المكنى بآلوسي زاده، زاده الله تَعَالَىٰ علمًا وعملًا، وأوصله إلى ما يعده أملًا. آمين،، [٧٢]

وأنا العبد العاصي الذليل

المفتقر إلى عفو ربه الجليل

إبراهيم بن الحسن الشرواني

غفر الله تعالى لنا أجمعين

إنه غفور رحيم، وهو أرحم الراحمين.

انتهى.

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وهذا شرح الحال، على سبيل الاختصار والإجمال، من يوم فارقت بغداد، إلى أن طرقت حمى فروق وطرقت باب المراد، ولم ألتزم فيه ذكر من دعاني إلى وليمة، وعزم عليّ بحضورها أقوى عزيمة، خوفًا من مأدبة الأدب ومَن شعره غذاء الروح ونثره فاكهة أبناء العرب، المولى الذي هو بكل مكرمة حري، أبي سليمان عبد الباقي أفندي العمري، حيث إني كثيرًا ما سمعته يعترض على السويدي إذ سوّد بذلك وجه رحلته، ومع ذا لست أمينًا من أن يعترض عليّ بغيره مما لا ترحل إليه سوى يعملات فطنته.

لكني أرجو منه ومن شياطين الأدب الذين حاموا من حوله، واسترقوا حر الكلام واسترقوا من ملأ أدبه وفضله، أن يكف كف الاعتراض عليّ بشيء، فإني في هذا الحي - وعينيه - لا أميز اليوم بين الحي واللي، وأظنني أتيت في بعض الفقرات بما يرضيه، فليغض لتلك الحسنة عن السيئة فتلك تكفيه.

هذا، وقد حرّم القلم التضمخ بطيب ما يرشح من فارة الذهن من مسك الأرقام، وجعل يحن إلى الخلوة في غار حرا الدواة عشية رأى بعين القلب هلال ذي القعدة الحرام.

ووعدني أن يحدث لكم مما سيحدث من الأمور ذكرًا، وستحيطون به إن شاء الله تَعَالَىٰ الكريم خُبرًا، وأسأل الله تَعَالَىٰ أن يكون ذلك خيرا، وأن يدفع جل شأنه عنا وعنكم في الدارين ضيرًا، فهو سُبۡحَانَهُۥ ولي الخيرات وكافي المهمات.

■ ■ ■

ثم يا بني

محبتي فيك تأبى أن تطاوعني … أني أراك على شيء من الزلل[(١)]

فأوصيك بتقوى الله تَعَالَىٰ في السر والجهر، فإنها ورب الأملاك ملاك الأمر، [٧٣] وادأب في اكتساب الأدب، وثابر على تحصيل المآثر، وساهر النجوم في طلب العلوم، ولا يثبطنَّك ما أنت فيه من الضيق، وجفوة كل خليل من القوم وصديق، فذاك غمام صيف أو إلمام ضيف، فكأني بك إن شاء الله تَعَالَىٰ تختال بأردية النعم، في فضاء السلامة من كل ألم ألَمَّ، ولا تؤخر السعي في تحصيل العلم إلى الصفا، فذاك إقدام على ما عسى يوجب اللوم والجفا، واسمع ما قيل، وهو من أحسن الأقاويل:

بادر إلى طلب العلم العزيز وإن … ضاقت ولم تصف أقوات وأوقات

ولا تؤخر لصفو أو رجا سعة … فهم يقولون للتأخير آفات[(٢)]

---

(١) ذكر البيتين ابن خلكان في ترجمته للوزير ابن هبيرة قائلًا:

«وكان عون الدين كثيرًا ما ينشد:

ما ناصحتك خبايا الود من أحد … ما لم ينلك بمكروهٍ من العذل

مودتي لك تأبى أن تسامحني … بأن أراك على شيءٍ من الزلل».

انظر، ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، (٦/ ٢٣٩).

(٢) البيتان ذكرهما العيدروس في «النور السافر» عند ترجمته للشيخ الفاضل عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي. وقال: « وكان الفقيه الصالح محمد بن عبد الرحيم بن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ قد اجتمع به بمكة سنة سبعين وتسعمائة وأنشده هذين البيتين من لفظه وذكر أنهما لجده:

بادر إلى طلب العلم العزيز وإن … ضاقت ولم تصف أقوات وأوقات

ولا تؤخر لصفو ورجا سعة … فهم يقولون للتأخير آفات

انظر، العيدروس: «النور السافر عن أخبار القرن العاشر»، (١/ ١٧٥).

وقد طرق من غير طريق باب سمعك، وعلمه كل من في بلدك وربعك، أني طلبت العلم في قفر الفقر، وقد ضيق عليّ مسالك السرور اتساع فضاء الشرور من أهل[١] ذياك العصر، وقد كان مع خَلتي أكثر خُلتي أروغ من ثعلب[٢]، وغالب أعدائي مع شدة بلائي أسدًا عليّ وفي الحروب أرنب[٣]، ولم أفتر عن اقتراع المعاني، ولا عقلت يعملات عقلي عن سبر الأفكار في سباسب هاتيك المغاني، حتى حلَّ جُل الأعداء الرمس، وذهبوا شذر مذر[٤] كأن لم يغنوا بالأمس، فأقبل الدهر

---

(١) في النسخة المطبوعة (أهيل).

(٢) «أروغ من ثعلب» مثل يضرب للتشبيه بالثعلب في المراوغة، قال النابغة الجعدي:

وَبَعْضُ الأَخِلَّاءِ عند البَلَا ... ءِ والرُّزْءِ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبِ

وقال طرفة:

كل خليل كنت خاللته ... لا ترك الله له واضحه

كُلهمُ أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحه

وقيل: وبعض الأخلاء عند البلاء ... والجهد أروغ من ثعلب

انظر، مؤرج السدوسي: «الأمثال»، (ص: ١٩)؛ نشوان الحميري: «الحور العين»، (ص: ٥٦)؛ الزمخشري: «المستقصى في أمثال العرب» (١٤٦/١).

(٣) من بيت شعر هو مثل سائر، له العديد من الروايات، تعزوه كتب الأدب لرجل من الخوارج ولا يسمونه، وقد اورد الأصفهاني قصته في الأغاني وقال أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه عمران بن حطان وقد كان الحجاج لج في طلبه قال:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ ... ربداءُ تَجْفَلُ من صَفير الصافر

هلاّ بَرزتَ إلى غَزالة في الوغَى ... بل كان قَلبك في جَناحَيْ طَائرِ

صدعَتْ غَزالةُ قلبه بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَه كأمْس الدَّابر

انظر، الأصفهاني: «الأغاني» (١٢٢/١٨).

(٤) يقال: تفرقت إبله شَذَرَ مَذَرَ، وشِذَرَ مِذَرَ، إذا تفرَّقت في كلّ وجه. والشَذْرُ من الذَهَبِ: ما يُلْقَطُ من المعدن من غير إذابةِ الحجارةِ، والقطعةُ منه شَذْرَةٌ. والشَذْرُ أيضًا: صغارُ اللؤلؤ. وتفرَّقوا شذَرَ مَذَرَ، وشِذَرَ مِذَرَ، إذا ذهَبوا في كلّ وجه.

انظر، الجوهري: «الصحاح» (١٦٣/٢)، (١٥٣/١).

عليّ، وأخذ بنواصي آمالي فأناخها لديّ، فكان والحمد لله تعالى ما شاهدت آثاره، ونقل لك أخيار الرواة على التفصيل أخباره.

فليكن لك في أبيك أسوة، ولا تبتئس بما في الزمان اليوم من قسوة، فالزمان [يقسو][1] ويلين، ويخذل وعما قريب يعين، ولله تعالى در من قال، من ذوي العقل والكمال[2]:

لا تخش من هم كغيم عارض	فلسوف يسفر عن إضاءة بدره
إن تمسِ عن عباس حالك راويا	فكأنني بك راويًا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى	وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل للهموم كدمل	صابرته حتى ظفرت بفجره

وعليك بالرفق مع إخوتك، وسائر أهل بيتك وأسرتك، فإني والله ليشق [٧٤] عليّ أن يُرَوا بعد بعدي باكين، ويشق مرارتي أن لا يكونوا من حلو أخلاقك ضاحكين.

نعم لا بأس بضربهم، إذا فتروا عما عهدت من اشتغالهم بالعلم ودأبهم.

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا	فليقسو أحيانًا على من يرحم[3]

لكن الضرب آخر ضروب العلاج، ومنهاج لا يسلك إلا إذا تعذر كل منهاج، فهو كالكي آخر الدواء، وكالصعيد يستعمل إذا فقد الماء، ورفقًا يا بني بالقوارير،

---

(١) في النسخة المطبوعة (يسوء).

(٢) الأبيات نسبها تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية» إلى جمال الدين بن نباتة، وزاد عليهم قبل البيت الأخير:

هون عليك فرب أمر هائل	دفعت قواه بدافع لم تدره

(٣) البيت مشهور وقائله غير معروف، وقد روته كتب الأدب دون أن تنسبه لأحد.

انظر، المحبي: «نفحة الريحانة»، (٢٨/١)، النويري: «نهاية الأرب في فنون الأدب»، (٢١٩/٧).

ولا تفرق بالرفق بين الكبير والصغير، وعليك بالأدب مع عميك، وإن شق فيما أعلم من طبعك عليك، فالعم أب، وفي بعض الأحيان أحب، وعظِّم أحبتي ومن يحب مسرتي، وأظنهم بعد غيبتي فوق العشرة، فالمراد بالجمع المذكور إذن ما يراد بجمع الكثرة، وأبلغهم عني الإخلاص التام، ولسائر الخواص والعوام من أهل مدينة السلام، الدعاء والسلام.

بقلم مؤلفها. [٧٥]

■■■

[تاريخ التأليف ١٢٦٨[١]]

قد تم طبع هذه النسخة البليغة المنيفة بعون الله تَعَالَىٰ في منتصف شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩١[٢] من بعد الهجرة الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل السلام ما تلألأت في سماء العبارات روح المعاني..

آمين

(بغداد)

طبعت في مطبعة الولاية][٣]

(١) الموافق ١٨٥١/١٨٥٢م.

(٢) الموافق ١٨٧٤م.

(٣) وردت هذه الصفحة في نهاية النسخة المطبوعة.

الـملاحق

ترجمة الألوسي بقلمه من كتابه غرائب الاغتراب

[ترجمة المؤلف لنفسه]

فأقول: خرج خالص لبن وجودي من بين فرث العدم ودم الإمكان، بيد حلاب القدر إلى قعب عالم العيان، قبيل ظهر الجمعة رابع عشر شعبان، وذلك سنة سبع عشرة بعد المايتين والألف، من هجرة من لا يحيط بكماله نطاق وصف ﷺ ما ولد مولود، وما وجد في عالم الكيان موجود، وقد أرخ عام ولادتي بكل من شطور بيتين، تراهما عين الأديب لخد غانية الفصاحة كسالفين، الشاعر المجيد الأطرقجي الملا عبد الحميد[1]؛ فقال:

لقد أشرق البدر السماوي من بدا ... سنا نوره عن مشرق لاح بالجود
به كمل[2] الدين الحنيف مؤرخ ... تكلمت العليا بميلاد محمود

وأثر ما فطمت من ارتضاع الألبان، شرعت أتحسى در قراءة القرآن، وبعيد ما حل عني بند قماط الطفولية، عقد علي لواء حفظ المقدمة الأجرومية[3]، وريثما كسرت عني البيضة حبست في قفص مكتب الملا حسين الجبوري،

---

(١) جاء في حاشية نسخة الأزهرية [ثم توفي عليه الرحمة سنة السبعين بعد المائتين والألف في ذا سنة ١٢٧٠هـ، ودفن قرب الشيخ معروف الكرخي عليهما الرحمة].
وزاد في حاشية نسخة الهند [وتفصيل وفاته ومراثيه في كتاب حديقة الورود وغيرها لمحرره].

(٢) في نسخة الأزهرية (أكمل) وما أثبتناه هنا مصححا من نسختي استانبول والهند.

(٣) مقدمة الآجرومية في النحو لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، ومعناه بلغة البربر: الفقير الصوفي، وكانت ولادته: سنة ٦٨٢، اثنتين وثمانين وستمائة، وتوفي: سنة ٧٢٣، ثلاث وعشرين وسبعمائة، وهي: مقدمة نافعة للمبتدئين ألفها بمكة المكرمة، كذا قال الشارح: أبو عبد الله الراعي، ولها شروح كثيرة.
انظر، حاجي خليفة: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.٢/١٧٩٧.

فأوفر من حسن تعليمه أيادي[١] الكتاب العظيم حبوري، وهو رجل قد كتب على أسارير جبهته الصلاح، ووفق للتقوى فلاح على صفحات وجهه أنوار الفلاح [٣/ب]، وكان مقيمًا في مسجد قرب سوق حمادة، وقد أقام فيه - رحمة الله تَعَالَىٰ عليه - سوق العبادة، وقبل أن أبلغ من تسدية ما بين الدفتين الأمنية، طويت على نول قلبي رداء حفظ الأجرومية، وفي أثناء ذلك حفظت ألفية ابن مالك، وقرأت غاية الاختصار في فقه الشافعية، وحفظت في علم الفرائض المنظومة الرجبية.

كل ذلك عند والدي أسكنه الله تَعَالَىٰ أعلى عليين، وكان قبل أن أبلغ من العمر سبع سنين.

ثم أني لم أزل أقرأ عنده، وأحسو دره وشهده، حتى استوفيت الغرض من علم العربية، وحصلت طرفًا جليلًا من فقهي الحنفية والشافعية، وأحطت خبرًا ببعض الرسائل المنطقية، والكتب الشريفة الحديثية.

وكان عليه الرحمة يزقني العلم ليلًا ونهارًا، ويزقني إن ونيت سرًا وجهارًا.

ولما بلغت من العمر عشرًا، أذن لي بالقراءة عند غيره ولم يرهقني عسرًا.

فقرأت على ابن عمي الأمجد السيد علي ابن السيد أحمد شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية، ووقفت والحمد لله تعالى على مضمراتها وإشاراتها الخفية، وقرأت عليه أيضًا حواشيها، وأزلت بمراجعة الوالد عليه الرحمة غواشيها، وهو رجل في بيتنا ربا، ولم يعرف غير أبي أبًا، وأقرأه معظم العلوم النقلية، وطرفًا يسيرًا من العلوم العقلية، ومعظم قراءاته المعقول عند

(١) في نسختي الأزهرية والهند (إياي) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

مـن تقصر عن طويل شـرح حاله عبـارتي، صبغة الله أفندي ابـن الملا مصطفى العلي الزيارتي، ثم اضطره ضعف الحال، فسلك طرق الاكتساب لدفع ضرورة العيال، حتى أشكل عليه البديهي الأولي، ولا يكاد يفهمه إياه إلا نبي أو ولي.

وقرأت شرح آداب البحث المسمى بالحنفية على رجل يدعى ملا درويش ابن عرب خضر(١) في المدرسـة الأحمدية(٢) وهو ممن أخـذ العلم(٣) من العالم الرباني، الشـيخ عبد الرحمن أفندي المدرس الروزبهاني، خريج صبغة الله أفندي المذكور، ضوعفت لنا ولهم الأجور، وذلك بعد أن قرأت منه درسًا واحدًا عند محمـد أفندي ابن أحمـد أفندي مـدرس السـليمانية(٤) [٤ / أ]، فلم أفهم منه ما قال كما لم يفهم مني ما قلت، كأن بعضنا يتكلم بالعربية والآخر بالعبرانية.

وقرأت حواشي الرسـالة المذكورة، للفاضل مير أبـو الفتح مع حواشـيه المشـهورة، وكذا آداب المسـعودي وألغ وعبد اللطيف، وشرح السـراجية في الفرائض للسـيد الشريف، وأبعاض كتب عديدة ورسـائل مفيدة، على ذي الأخلاق المسـتجادة، عبد العزيز أفندي شـواف زاده، وهو أيضًا ممن تخرج على الفاضل الأوحدي، الزيارتي صبغة الله أفندي.

وكان علم العلم ومناره، ومقتبس الفضل ومستناره، شمائله معبرة عن لطف النسـيم، ومحاوراتـه محدثة عن لذة التسـنيم، ذا مزح أطيب من نفس الحبيب، وروح أخف من مغيب الرقيب.

---

(١) في نسخة استانبول (الإذن).
(٢) نسبة إلى أحمد كهيا، كدخدا سليمان باشا الكبير [منه].
(٣) في نسخة استانبول (حضر)، وفي نسخة الهند (الإذن).
(٤) مدرسة تنسب إلى سليمان باشا، وهي مشهورة [منه].

ففيه مجال للتواضع والعلى وفيه نصيب للفكاهة والجد

وكان عليه الرحمة مشهورًا بعلم العربية بين القاصي والداني، حتى أنه كان يدعى لمهارته فيه بسيبويه الثاني.

وقد قرأ ذلك على والده جليل الأوصاف، الفقيه الشهير الملا محمد الشواف، وكان غواص تأمله يستخرج الدرر، وقلما يجيب جوابًا بأول النظر، ولا يأنف من قول لا أدري، ويجري مع الحق حيث يجري، وما رأيته غلط في جواب، بل كان يسكت أو ينطق بالصواب، وكان أبعد العلماء من حمى المأثم، غير أنه للطفه يصحب الجنيد[1] ....

(١) الجنيد البغدادي (ت: ٢٩٧هـ/ ٩١٠م): الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

له (رسائل - ط) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله (دواء الارواح - خ) رسالة صغيرة.

انظر، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٤٨م، (١١٧/١)؛ الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني): «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٤، ١٤٠٥هـ، (٢٥٥/١٠)؛ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن الجوزي ت: ٥٩٧هـ): «صفة الصفوة» أبو الفرج، دار صادر، بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، (٢٣٥/٢)؛ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن الخطيب (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠): تاريخ بغداد، طبعة مكتبة =

ويحيى بن أكثم(١)، وأغلب تدريسه في مسجد خال خاله ذي الصلاح، بل ولي الله تَعَالَىٰ بلا نزاع شيخ والدي الملا عبد الفتاح.

وفي حجرته التي كان يدرس فيها دفن، فيا لها من مدفن بكل خير قمن.

وسبب ذلك تعذر الوصول إلى المقابر، لكثرة الماء وقلة الناصر، فقد طغى الماء ودخل البلد أيام الطاعون، وجرت من عيون السور على المطعونين عيون، ولا تكاد تجد [٤/ ب] لكثرة الموتى في الكرخ، غير الشيخة الفانية والشيخ، ولذا كثر الدفن في المساجد والطرق والبيوت، ومن الموتى من كان قبره جوف كلب

= الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ. وطبعة بيروت، دار الكتب العلمية، ٩٨٧م، (٢٤١/٧)؛ السبكي (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي): «طبقات الشافعية الكبرى»، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، (٢٨/٢)؛ خير الدين الزركلي: «الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، (١٤١/٢).

(١) يحيي بن أكثم (١٥٩ – ٢٤٢ هـ): يحيي بن أكثم بن محمد بن قطن، التميمي، الأسيدي، المزوري، أبو محمد، القاضي المشهور. فقيه صدوق، عالمي الشهرة، كثير الأدب، حسن المعارضة، ذكر الخطيب في تاريخه أن يحيي بن أكثم ولي قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة ببغداد وأضاف إليه تدبير مملكة المأمون. وذكر ابن خلكان: كان كتب يحيي في الفقه أجل كتب، فتركها الناس لطولها. سمع عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينه، وغيرهما. وروي عنه أبو عيسي الترمذي وغيره.

وله كتب في (الأصول) وكتاب أورده علي مناظرات. وتوفي بأربد من قري المدينة.

انظر، ابن خلكان: «وفيات الأعيان» (١٩٧/٥)؛ الزركلي: «الأعلام» (١٦٧/٥)، الحنفي (محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله الحنفي): «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (٢١٠/٢)، اللّكنوي (أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللّكنوي الهندي): «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبي فراس النعساني، نشر دار الكتاب الإسلامي، بيروت، (٢٢٤).

أو بطن حوت، وكان ذلك من شهر شوال إلى غرة ذي الحجة الحرام، سنة ست وأربعين بعد المايتين والألف من هجرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقرأت من شرح الوضعية لمولانا عصام، إلى ما يعانق من الرسالة الختام، على ذي الفضل الجليل الجلي، السيد محمد أمين ابن السيد علي الحلي، وكان رب فصاحة وبيان، يخيل منه إذا نطق أن كلًا من أعضائه لسان:

إذا ارتج الخطاب بدا خليج بفيه كأنه بحر الكلام
كلام أم مدام أم نظام من الياقوت أم حب الغمام

إلا أنه كان مولعًا بنقل الغريب، ولا يبالي إذا تكلم أيخطئ أم يصيب، وقد كثر لغطه، فكثر غلطه، ولم ينق ما في سفطه، فسقط كلامه عن القبول لوافر سقطه، مع أنه أذكى من إياس(١)، وذهنه أضوأ من نبراس، وكان أكثر قراءته على الملا عبد العزيز [أفندي](٢) المذكور، قرأ عليه علوم العربية لما أنه في إتقانها مشهور، وقرأ على ذي المقام العلي، علاء الدين مولانا علي أفندي الموصلي، ولم يتحمل لسع نحل أخلاقه، ولم يستطب طبعه واستبشع مر مذاقه، فترك درسه الذي ما له في الحلاوة ثاني، وقرأ على الفاضل عبد الرحمن أفندي الروزبهاني.

---

(١) من أمثال العرب.

انظر، اليوسي: «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد الزفراف وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، (٢٧١/١)؛ الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ (إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط ابن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ ت: ١٣٢٤هـ): «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٥م، (٩٢/١).

(٢) هذه الزيادة من نسختي الازهرية والهند.

وقبل أن يتخرج خرجت إلى الملأ الأعلى روحه، وتوفي في الطاعون بعد أن برأت بمرهم منصب الإفتاء جروحه[(١)].

ولما انقضت ثلاث عشرة سنة من عمري، وأنا مهتم في التحصيل وإصلاح أمري، شرعت بالقراءة مع إخلاص النية، وافتتحت بالخاتمة من شرح عصام للرسالة الوضعية، عند واحد العلماء، وأوحد الفضلاء، الضارب في كل [٥ / أ] فن بسهم، والقارع صفات كل قريحة وفهم، فارس ميدان المباحث، والبحر[(٢)] الذي عزز العلامتان منه بثالث، ذي القدم الراسخة في جميع العلوم، والرتبة الشامخة التي دون رفعتها النجوم، ذي القدر العلي علاء الدين علي أفندي الموصلي، ولم أزل أقرأ عنده، وأستنشق ريحه[(٣)] ورنده، إلى أن تخرجت به وتأدبت بأدبه، وكان عليه الرحمة ذا ذهن يحل كل عويصة ضامن، ووقار كأن ثبيرًا فيه كامن، وأدب زرت على أعناق الإعجاز جيوبه، وهبت بغوالي غواني الإبداع صباه وجنوبه، إلى عبارات عذبة شريفة، وإشارات ظريفة لطيفة، وألفاظ رائقة، ومعان فائقة، والحق أنه كان في كل علم آية الله تعالى الكبرى، وجنته التي لا يجوع فيها طالب علم ولا يعرى:

هو الشمس علمًا والجميع كواكب إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب[(٤)]

بيد أنه لضيق ذات يده ضاق صدره، ولمزيد كلف في نجم سعده؛ كلف بدره، ولذلك ساءت أخلاقه، وشائت فراقه رفاقه:

---

(١) في الحلة الفيحاء [منه].

(٢) في نسخة استانبول (والحبر).

(٣) في نسخة استانبول (سيحه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية.

(٤) أخذ المعنى والألفاظ من قول النابغة:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذَا طَلَعتْ لم يَبْدُ منهنّ كَوْكَبُ

كان لا يدري مداراة الورى ومداراة الورى أمر مهم

وعلى العلات أن حظه[(١)] حطه، وأوفر من الحرمان قطه، وأعانه على ذلك الزمان المشوم، والدهر الجائر الغشوم.

ومن العجيب أن داود باشا - على فضله - لم يعرف فضله، وأحله في غير محله وما أجله، وذلك لأنه ما صانعه ولا دارا، ولم يكن في دفتره لما كان دفتردارًا، واتفق أن أمر له إذ ذاك ببرده، فأبى أن يقبل كرمه في المجلس ورده، فأسرَّ ذلك في نفسه حتى استوزر، فأظهر من سوء معاملته إياه ما أظهر، وكان يتتبع عثاره، ويزيد بعثير الغارة عليه غباره، حتى أنه أمر بنفيه إلى الحدباء، فحدب [٥ / ب] عليه ورجا إثباته بعض أجلاء الزوراء، فأثبت ولكن في هم لا يحد، وبقي منكسر القلب إلى أن ضمه اللحد، وقد ضم في شهر ضمه أباه، وكان تاريخ ذلك قولي: (عنهما رضى الإله)، ودرج على الأثر في الطاعون جميع أهله وبنيه، وبقي بيته خاليًا ليس سوى الصدا والحزن فيه.

أتى على القوم أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من علم ومن أدب كما حكي عن خيال الطيف وسنان[(٢)]

---

(١) في نسخة استانبول (خطه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية.

(٢) البيتان لأبي البقاء الرندي (هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء؛ كان فقيهًا حافظًا متفننًا في النثر والنظم؛ وله مقامات ومختصر في الفرائض وكتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي، انظر ترجمته في ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن عبد الملك ت: ٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ. (١٣٧/٤)؛ العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت: ٧٤٩هـ): «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الأولى، ١٤٢٣ هـ. (٤٨٠/١١)، والبيتان من قصيدة عنوانها (رثاء الأندلس) التي مطلعها:

=

ولم يتخرج عليه إلا جمع هم أقل من أنصاف الزمان، بل المتخرج إذا تتبعت واحد أو اثنان، وذلك لقلة تحمل الطلبة كثرة دله، وعدم وقوفهم على وافر فضله، ولا ينقص العالم قلة طلبته، كما لا ينقص النبي عدم أمته، وأنا - ولله تَعَالَىٰ الحمد - صبرت على مره، وصيرت شغلي السعي في صفاء سره، وتأدبت معه غاية الأدب، وانتهى أداء رسم خدمتي إياه إلى حد العجب، وإني لأرجو أن أنال ببركة ذلك مزيد الآلاء، فبركة بركة خدمة الشيخ بحر لا تنزحه الدلاء.

وكان له شعر تحكيه غمزات الجفون الوطف، وتماثله إشارات البنان الذي يكاد ينعقد من اللطف، ويضاهيه السحر، إلا أنه خال عن تعقيد العاقد، ويشبهه الدر، إلا أنه كله فرائد.

فمن فرائده المنظومة، ونوافح مسكه المختومة، التي تغار[1] منها درر الأسلاك، وتغور لحسنها دراري الأفلاك، قوله - غمره إحسان الله تَعَالَىٰ وفضله -:

لئن لم تشاهدني أخافش أعين[2]	فلي من عيون الفضل شاهد رؤية
وإن أنكرتني الحاسدون تجاهلا	كفاني عرفاني بقدري وقيمتي
يمثلني بالمدعين مكابر	وقد حكم الفضل اختلاف الحقيقة

= لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ ... فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

وقد بدَّل المؤلف في البيت الثاني لمناسبة المعنى الذي هو بصدده، وأصله:

وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ

انظر، المقري التلمساني (المقّري أحمد بن محمد التّلمساني): «نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب»، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، (٤/٤٨٧).

(١) في نسخة الأزهرية (يغار) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

(٢) جاء في حاشية نسخة الهند [عيون أخافش].

فأيان شمس الاستواء من السها ... وأيـن زلال مـن سـراب بقيعة
وليس الذي في الناس كالحي ميته ... لفضل، وأفضال كحي كميت [٦/ أ]

وقوله:

وبي أهيف حلو الدلال مهفهف ... مليح التثني ساحر اللحظ أغيد
حكى قده سمر القنا وجفونه ... حكي البيض والثغر الأقاح المنضد
ترقرق ماء الحسن في وجناته ... على أن فيه جمرة تتوقد
كتمت هواه عن سواه فليس لي ... به عاذل يرمي ولا لي مفند
وفي هذه الدنيا ملاح كثيرة ... وليس كمثل السيد المتسود
قد امتزجت روحي قديمًا بروحه ... وقام لنا في عالم الذر مشهد
له مقلة تعطي الصبابة حقها ... وأخرى حقوق الحسن ترعى فتجحد
ويعجبني منه إذا مر في ملا ... يصد كما صد الغزال ويحرد
وإن خلوة حانت أبان دلاله ... فنون ابتهاج هكذا الحب يحمد
أوحده في الحب فليشهد الورى ... بأني في دين الغرام موحد
أجدد فيه كل يوم صبابة ... بها يقتدي أني الإمام المجدد

وقوله:

ما غير ندب على الأيام ينتدب ... ولا سوى نجب تحذي لها النجب
وليس كل فتى يدعى لحادثة ... ولا بكل ملاذ تكشف الكرب
وليس يدفع من ضيم وينفع من ... مؤمل قط إلا السرج والقتب
لا أكذبنك ما صبح كغاشية ... ولا بمغن غناء الأثمد الترب
هذا الزمان لحاه الله همته ... أن لا يرى عنده حاج ولا أرب
وفي ضمير الليالي أن تكلفني ... خلق الذي أنا وهو الرأس والذنب
لا أسعد الله جدي إن أكن رجلا ... يشين عرض علاه الجاه والنسب

وزند فضلي يومًا أن قدحت به ... زند اللئام فلا جافتني النوب

لا أرتضي[1] الرتبة القعسا وسلمها ... نقصي ولو خدمتني السبعة الشهب

أأبتغي عز نفسي في مذلتها ... وأيمن الله هذا المطمع العجب [٦/ب]

وأدعي المجد والعليا وتملكني ... كف الأماني لعمري هكذا الكذب

على حرثي وبذلي في مواسمه ... وما علي إذا لم تسعد السحب

فداء صان بوجه الماء مكسبه ... غنى مال بماء الوجه يكتسب

ما ينقم الدهر مني حيث أهملني ... لا عيب عندي إلا العلم والأدب

ولي فؤاد إذا حركت جانبه ... لنحو ضيم ينادي الويل والحرب

ونفس حر إذا حدثتها لعلا ... تقول لي في سوى الإذلال تصطحب

إن قمت يومًا على أعواد منبرها ... فذيل فضلي على سحبان منسحب

إذا رأيت تساوي ناقص وأخو ... فضل لدي مجلس العليا فلا عجب

هذي الكواكب تبدو للعيون على ... بعد سواء ولكن بينها رتب

فضائلي ما لهذا الدهر من سفه ... لم يقض من حقكم[2] ببعض الذي يجب

حتى متى أنا في بؤس أكابده ... أحشاء عيشي في كف العنا نهب

هل رحمة لفتى أودت شهامته ... بقدره فرثاه الحزم والأدب

تهوى النوائب لقياه فيمنحها ... وصلًا ويهوى سنا العليا فتحتجب

كأن بيني وبين الحادثات جرى ... عقد الموالاة أم ما بيننا نسب

فكلما فارقته نكبة فرقا ... أمدها للرزايا عسكر لجب

وقوله:

وزمان عدت علي لياليه ... وقصّت قوادمي وجناحي

(١) في نسخة الأزهرية (أرتقي) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

(٢) في نسخة الهند (حقها).

ودعتني صروفه في شتات — وعناء وخيبة ونزاح

لا لذنب أتيته غير أن الـ — فضل لم تلقه قرين نجاح

وإذا ما الصلاح فيكم فساد — ففسادي(١) الذي لديكم صلاحي

وقوله:

قلمًا دعاني مشق قامة كاتب — ثلث الملاحة منه في الولدان(٢)

يرجو رقاعي الملام لعارض — نسخي هواه وليس ذاك بشاني [٧/أ]

علقت قلوب الناس في تعليقه — حسنًا وهمت بخطه الريحاني

وقوله:

شجاك من الربع اليمانين عينه — وأشجاك أن حث الرحيل ظعينه

هو الحين أما الهجر يذكو سعيره — وأما هوى الأزماع يقضي طعينه

عدتك العوادي خل داعية الهوى — فمستوعر سهل الهوى وحزونه

أتدري بنات الحيف أي دم امرئ — أحلت ومن أدمت عليها شؤونه

وهل ذكرت وألبان آخر عهدنا — بها عهد صب أقسمت لا تخونه

وعيشًا قضيناه بمنعرج اللوى — ذوت بعد ذياك النضار غصونه

لها طلل بين العذيب وبارق — تفيئه والآن لا أستبينه

ونؤي عفاه الدهر بعد وضوحه — كما بان بعد الحك في الخط نونه

خيال لذات الخال شوش خاطري — وطيف بدا لي ثم أسرت ظعونه(٣)

تكلفني وجدًا بنجد وإنما — هوى كل قلب حيث حل قرينه

مضت حجج والشأن في المطل شأنها — وعندي شؤون الحفظ فيها شؤونه

---

(١) في نسخة الأزهرية (ففساد) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

(٢) في نسخة استانبول (ألوان).

(٣) في نسخة استانبول (ضعونه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية.

كأنّا تراهنّا لعود فرهنُها ... فؤادي والصب[١] الخيال رهينه
ترى هل أتى تلك المليحة والهوى ... أحاديث أن الصبر بان معينه
وهل جاءها والعشق ميل ونزعة ... عن القلب أن لا يستفيق جنونه
علي بها في الجزع أية وقفة ... بها للهوى العذري تقضي ديونه
ونظرة مستام يغار على الحمى ... فطورًا يراعيه وطورًا يصونه
كفى حزنًا أني أرى العيس ترتمي ... بهودجها والبين حتى يقينه
وأبصر ريات الحجال تفرقت ... أيادي سبا والربع خف قطينه
ولم أنسها يومًا بجمع وشملنا ... بجمع ووجه الوصل زاه جبينه
تقول كأني بالخيام تقوضت ... جميعًا وحادي الركب خفت لحونه
وظن بأني قد سلوت غرامها ... فتى غير ديني في المحبة دينه [٧/ب]
معاذ هواها من سلوى وإنني ... بذاك بخيل لا يجود ضنينه

وقوله:

دعي ما كل ساجعة حمام ... وما النخل السحوق هي الثمام
هي الأيام يوم عُدّ عامًا ... ويوم في الحساب يعد عام
لقد لهجت بذم الفضل قوم ... له قمنا على قدم وناموا
يناظرني بهذا العصر ناس ... أنا الألف القويم وهن لام
وشتان الذي صفع هواه ... ومن بالعز لذله الغرام
رماني الحاسدون بكل أمر ... به عرفت مكانتي الكرام
فقالوا حدة طورًا وحينًا ... به كبر وطورًا لا يرام
وفي بغداد جثماني وفضلي ... تراعي حقه حلب وشام
وفتية فرية قدحت بحقد ... وغير الحزم ما ضم الحزام

---

(١) في نسخة الأزهرية (والطيف) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

وإنَّ الجاهلين بكل عصر لأهل الفضل أعداء عظام
فإن نبحت على أثري كلاب فليس بمدركي نقص وذام
وكيف تنال أرجلنا بعيب رؤوس خنًا مطهرها الحسام

وقوله:

قل لم همت في هوى ذي عذار طرز الشعر منه حلة خده
قلت والعشق ذو فنون لكي يقـ طع عني الرقيب أسباب صده
وكذا العاذلون تقصر عن لو مي فيخلو لي الحبيب بوده
والجمال الذي به فتن العـ شاق ما له الزمان بفقده
أفتور بجفنه زال لا والله ما زال أم رشاقة قده
خده خده وما ذاك العا رض إلا دخان لهبة قده

وقوله:

وقالوا تأخرت في ذا الزمان ومنك التقدم حاز الرجال [٨/أ]
فقلت يرى الصدر صفا أخيرًا إذا أولًا عد صف النعال

وقوله:

لعلة جسمك قلبي شكا وعلة جسمي عندي أحب
لجسمك قلبي جسم غدا وما صح جسم إذا اعتل قلب

وقوله:

أسفي على فضلي قضيت ولم أكن أملي قضيت وللفنون ديون
وأخذت في كفني علوما لم أجد مستودعًا هي في الدفين دفين

وقوله مشطرًا له:

أسفي على فضلي قضيت ولم أكن أبصرت عارف حقه فيبين

ومن العلوم الغامضات ورمزها ... أملي قضيت وللفنون ديون
وأخذت في كفني علومًا لم أجد ... من يحفظن حقوقها ويصون
ورقيق أسرار جعلت لها الحشا ... مستودعًا هي في الدفين دفين[(١)]

إلى غير ذلك من شعره، وما ذُكر زهرة من زهره، ومعظمه مما أنشده في مدينة السلام، وفيه أشعار بما أضر به من رخص أسعار فضله عند اللئام، والتشطير المذكور آخر شعر أحكم نظامه، والحمام قد نصب بباب داره خيامه، وكلٌ أرويه عنه وأدريه منه.

وقد دفن – عليه الرحمة – في قبة حذاء قبة الشيخ عبد الله العيدروسي، في محلة حضرة الباز الأشهب أظلنا الله تَعَالَىٰ بظلال جناحه القدوسي.

وقرأت شرح النخبة للهيكل النوراني، المحدث الحافظ ابن حجر العسقلاني، عند الفاضل الأوحدي الشيخ علي أفندي السويدي وكان ذا جاه كبير عند والي بغداد سليمان باشا الصغير، فكان لا يصدر إلا عن رأيه، وهو يسعى في نصحه غاية سعيه، وامتحن بعد قتله بسبب ذلك، وكاد يهوي – لولا بركة العلم – في مهاوي المهالك.

ومن الغريب أنه على كمال عقله وتنزه نفسه، ارتكب ما لا يكاد [٨/ب] يرتكبه أحد من أبناء جنسه، حيث ذهب إلى البصرة محاسبًا لواليها، ضابطًا

---

(١) في نسخة الأزهرية جاء على حاشية الصفحة تشطير آخر بتوقيع (فاروقي) هكذا:

أسفي على عمري قضيت ولم أكن ... فرضي قضيت وللإله ديون
وأخذت في كفني زنوبا لم أجد ... لي مخلصا هي في الدفين دفين
إلا إذا لطف الإله برحمة ... فإذا قضى أمرا فسوف يكون
وشفاعة الهادي النبي محمد ... خير البرية كنزنا المخزون

رسم الكمرك[١] الذي فيها، وكان ينسب إليه سيئ الإنكار، على أكثر الأولياء الكبار، وأنه وهابي[٢] العقيدة، وله فيها وَلَهٌ ومحبة شديدة، وأنه دعا إليها سليمان باشا، وملأ من علل الخروج على الدولة أهابه فخرج عليها، ولم يرسل شيئًا من خراج العراق إليها، فأثارت عشائر الأكراد وبعض الأعراب عليه، فتوجهوا في معية رئيسهم الداهية الدهماء إليه، فخرج لقتالهم إذ قربوا من سور الزوراء، وقابلهم بجنود تغبر غيظًا من كثرتهم وجوه نجوم الخضراء، حتى إذا التقى الجيشان، واعتدل الصفان، خانه رؤساء العسكر، فبقي مع مثل عدة الأصابع ففر، ومر فارًا على قبيلة الدفافعة[٣]، فقطعوا عنه ماء الحياة وسدوا

---

(١) الكمرك لفظة تركية تعادلها في العربية المكس، تطلق في الاصطلاح على ديوان الضرائب الداخلة أو العابرة.
انظر، حسان حلاق وعباس صباغ، «المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م، (٢٨).

(٢) الوهابية ليست مذهبا مغايرا ولا عقيدة مختلفة، إنما هي دعوة إصلاحية دعت إلى تنقية عقيدة المسلمين من البدع والشركيات التي ألحقت بها على يد المبتدعين والجهلة والعوام من الناس، وبالطبع فقد لقيت الكثير من المعارضة لما تنهى عنه مما اعتاده الناس والعوام من السلوكيات والعادات، وكان التصوف هو سيد الموقف في ذلك الوقت لا سيما في العراق حيث انتشار مقامات الأولياء والطرق الصوفية ومشايخها، الذين عارضوا الدعوة الوهابية معارضة شديدة.

(٣) ذكرهم عباس العزاوي ببعض التفصيل في كتابه عشائر العراق وقال: الدفافعة: رئيسهم سعود المحمد العلي. نخوتهم (عروس) يدعون أنهم من عبادة. وبعضهم يقول أنهم من عبودة من (العجرش). وهم أولاد محمد العروس جد الدفافعة. ونجاد جد النجادات، و(حميد) جد الحميدات. وان قاتل سليمان باشا الصغير. من المماليك علي الشعيب منهم وهو الجد الأعلى لعلي بن شخناب بن إبراهيم بن حمد بن علي الشعيب. ولا يزال له عقب. وأفخاذهم:
١ - بحارنة. رئيسهم جبارة البلبول.
٢ - جبيرات. رئيسهم علوان الكونة.
٣ - سوالمة. رئيسهم سرهيد الفهد.

=

عنه مشارعه، والإنصاف أن السويدي لم يسود قلبه بعقائد جهلة الوهابية، وإنما عقده على العقائد السلفية الأحمدية، ولعمري - ولا حاجة إلى اليمين - أن ذلك ظاهر من درر كتابه العقد الثمين، وأن خروج ذلك الوزير إنما جر إليه أمر آخر لسوء التدبير.

وبالجملة؛ كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين، وكان لأهل السنة برهانًا، وللعلماء المحدثين سلطانًا، ما رأيت أكثر منه حفظًا، ولا أعذب منه لفظًا، ولا أحسن منه وعظًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولا أوضح منه بيانًا، ولا أكمل منه وقارًا، ولا آمن منه جارًا، ولا أكثر منه حلمًا، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علمًا، ولا أغزر منه عقلًا، ولا أوفر منه في فنه فضلًا، ولا ألين منه جانبًا، ولا آنس منه صاحبًا.

ولولا ونيم ذباب الذهاب إلى كمرك البصرة على ثيابه لقلت هو في جمع المحاسن الغراء[1] فرد أسلافه وأصحابه، اختارت روحه في دمشق الشام من الملأ الأعلى فريقًا، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

=

٤ - مهيات. رئيسهم كاظم الشهاب.

٥ - حميدات. نخوتهم (حمدة). ومنهم: بيت دفرة، وآل حلاوة، والحمود.

٦ - نجادات. رئيسهم كريدي الكضكاض نخوتهم (رشدة). ومنهم: بيت دهيّم وبيت سليمة وبيت هليّل والمسالمة.

٧ - سعيدات.

٨ - فضيلات. رئيسهم محمد السلمان.

٩ - جواملة. رئيسهم علي الحسين.

انظر، عباس العزاوي: «عشائر العراق»، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢م، (١١/٤).

(١) في نسخة الهند (الغر).

وجاء [٩ / أ] تاريخ وفاته، أسكنه الله تَعَالَىٰ أعلى جناته: (إن المدارس تبكي عند فقد علي)(١).

وقد أوقفني على جميع إجازاته، وأجازني كأولاده بجميع مروياته.

وقرأت مسألة الصفات من الخيالي، على حضرة مولى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي، المجددي المجدي حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ [خالد](٢) النقشبندي، وهو صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث جلالته، وأجمع المنصفون على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، وانتشر صيته في كل وادٍ ونادي، بهر بجبل صفاته أطوار العقول، ونال منه تلامذته غاية الوصول، امتد في المقامات والأحوال باعه، وعمرت بالفضل والأفضال رباعه، كان حريصًا على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حل دقيقة علمٍ أو طاعة، حسن السمت والسيرة، نير القلب والسريرة، إن توجه إلى قلب مريد ملأه نورًا، أو ربط على إكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سرورا:

الإمام الجليل غوث البرايا ... غيثها المرتجى ندى إحسانه
ذو سجايا مثل الرياض سقاها ... وابل القطر من ندى هتانه
بحر جود له جداول عشر ... في يديه تدفقت من بنانه
سار في الخافقين ذكر علاه ... وعلا قدره على كيوانه
فائض العلم عن روية فكر ... كاد يجلو ستر القضا بعيانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم ... قد جلاها بالكشف عن برهانه

(١) جاء في حاشية نسخة الأزهرية واستانبول والهند [سنة ١٢٣٧ في ٢٧ رجب].
(٢) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الهند.

فهو كشاف مشكلات معان   حل ألفاظها بديع بيانه

وبالجملة؛ ما حوى أحد في عصرنا فضله، وأنا لم أر مثلًا له، وأظن أنه هو أيضًا ما رأى مثله، وإنكار بعض الأجلة عليه، وتوجيههم سهام الطعن - وحاشاه - إليه، كان بعضه محض نفسانية، وبعضه الآخر كان عن غير روية، ومن المنكرين من كان كالبائل في بئر زمزم، أراد أن يشهر اسمه بالإنكار على ذلك العالم العيلم، وله - قدس سره - في ذلك سلف أجله، ابتلوا بالإنكار عليهم مثله، وتحملوا من معاصريهم [٩ / ب] حملًا ثقيلًا، وصبروا على ما نالوا من معاديهم صبرًا جميلًا، تلك ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

على أن ذلك إنما نقص قدر من آذاهم، ولم ينقص قدر ذرة من شامخ علاهم:

من كان فوق محل الشمس رتبته   فليس يرفعه شيء ولا يضعه[١]

وقد كان له - قدس سره - عليّ شفقة شفيقة، وقد أمرني بالاشتغال بالعلم وضمن لي أن لا أحرم من بركة الطريقة، وها أنا إلى هذا الزمن الزمِن منتظر تحقق ما ضمن، وكأني في بركة تلك البركة، أسبح إن شاء الله تعالى ولا سبح السمكة، وقد طارت روحه إلى حضيرة القدس في دمشق الشام، فحبست في أقفاص الأسى لطيرانه قلوب المسلمين والإسلام.

وقيل في تاريخ ذلك، غير ما قيل هنالك، ومنه قول السياه بوش[٢] من

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدته التي مطلعها:

غَيري بأكْثرِ هذا النّاسِ يَنْخَدِعُ   إنْ قاتَلُوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا

(٢) الجواد سياه بوش (ت: ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م): محمد جواد سياه بوش بن محمد الزيني بن أحمد =

قصيدة مرثية، شرحتها شرحًا نفيسًا سميته الفيض الوارد في شرح مرثية مولانا خالد [١]:

ولما هويت الحق قلت مؤرخًا هوى للقاء الحق في القدس خالد
وحين بكت أهل الطريقة أرخوا بكى فقدك الدرس الإلهي خالد
وحين نحوت القدس قلت مؤرخًا دنى بازاء القدس في القرب خالد
وحين اتحدنا في الطريقة نسبة وقد طهرت أعراقنا والمحامد
نبغت بصدق عن لساني أرخوا مقامك صدق عند مولاي خالد

وأجازني بما تجوز له روايته، وصحت لديه درايته، جامع العلوم البعيدة والقريبة، والفنون المعروفة والغريبة، سيدي وأستاذي ملحق الأصاغر بالأكابر الشيخ يحيى المزوري العمادي [٢] وهو إمام علامة أشهر من أن ينبه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على

= زين الدين، الحسني الحسيني البغدادي النجفي: شاعر اشتهر بهجاء أهل بلده. له قصيدة في رثاء الشيخ خالد النقشبندي، شرحها السيد محمود الآلوسي بكتابه (الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد) وله (ديوان شعر) كبير، في مكتبة الحكيم، بالنجف و (دوحة الأنوار في الرائق من الأشعار) بخطه في النجف.
انظر، الزركلي: «الأعلام»، (٦/ ٧٤).

(١) في نسخة استانبول والهند (الروضة الأحمدية).

(٢) ممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض أهل الفضل ممن لم نعلم من أحوالهم إلا النزر القليل، فمنهم (الشيخ يحيى المروزي العمادي) أصله من العمادية من قرى الأكراد قرب الموصل برز في التدريس وصار عليه المعول في مذهب الأمام إدريس وكان أحد مشايخ الشهاب الآلوسي الذي أثنى على زهده وعلو في نفسه. توفي الشيخ العمادي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م.
انظر، لويس شيخو (رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ت ١٣٤٦هـ): «تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين»، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، (١/ ١١٥).

مثله، حامل أعباء التدريس، والمعول عليه في مذهب الإمام ابن إدريس[(١)]، بل لعمري أنه كان واسطة قلادة علماء عصره، يعجز البليغ عن وصف فضله ولو بلغ النثرة بنثره، والشعرى بشعره، كان عليه [١٠/أ] الرحمة للعلماء جمالًا، لكن إذا رأيته حسبته لعدم اعتنائه بنفسه حمالًا، ولسان الإنصاف يقول على لسانه لو تعي، نحو ما قاله في [شأن][(٢)] نفسه الإمام الشافعي:

عليَّ ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تباع بمثلها ... نفوس الورى كانت أعز وأكبرا[(٣)]

توفي في بضع وخمسين بعد الألف والمايتين من هجرة سيد المرسلين، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ودفن في مقبرة باب الأزج، لا زال لثرى قبره من غالية الرحمة أرج.

---

(١) يعني به الإمام الشافعي.

(٢) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند.

(٣) عن قصة هذين البيتين يقول ياقوت الحموي: عن أبي بكر بن بنت الشافعي قال: قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها قطع المهامة والقفر
فوالله ما أدري أللفوز والغنى ... أساق إليها أم أساق إلى القبر؟

قال: فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا خرقة فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال:

على ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبًا أين وجهته فرى؟

انظر، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): «معجم الأدباء» (إرشاد الأريب في معرفة الأديب)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، (٢/٢٥١).

وأجازني أيضًا علماء أعلام، كل منهم في حلبة الفضل إمام، كالفاضل السري، محدث دمشق الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والسارح بقلبه في رياض الملكوت [الشيخ][1] عبد اللطيف ابن الشيخ علي مفتي بيروت، وقد كتبا لي بذلك من دمشق الشام، وصرحا فيما كتبا بعدة اثبات لعلماء فخام، ونظم في أثناء ما كتب الثاني، أبياتًا حسنة المباني والمعاني، فقال:

أحسن ببغداد التي ... تحوي المكارم والكرام
فاقت على كل البلاد ... بحسنها عند الأنام
فكم انتشى من عالم ... وكم انتشى فيها إمام
من حسنها أن قد غدت ... دار المحاسن والسلام

وكان ناس آخرين من علماء الآفاق، والفضلاء القاطنين في أرجاء العراق، قد انتظموا في سلك فضل قلادة، وكلهم وسطي فناهيك من عِقد، ولعلي أترجم الكل في كتاب، يكون إن شاء الله تَعَالَىٰ ثانيًا لنزهة الألباب.

ولما بلغت من العمر نحو إحدى وعشرين، جمع لشهود إجازتي علماء بلدتي شيخي علاء الدين، فكان يوم الجمع يومًا مشهودًا مشهورًا، أفاض على العدو شرورًا، وأغاض من الحاسد سرورًا، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية [١٠/ب]، قريبًا من الحضرة القادرية، ونصبت يومئذ مدرسًا في مدرسة الباجة جي الحاج نعمان، وهي جوار بيت قصر التماثيل متصلة بجدار البستان، في المحلة المشهورة اليوم بسبع بِكار، وكانت من قبل مشهورة بمحلة نهر المُعَلَّى في الأقطار، وعندما نصبت تأججت نيران قلوب الأعداء، فلم يطفها إلا خروجي فخرجت من هاتيك الأرجاء.

---

(١) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند.

ثم عَمَّر الحاج أمين شقيق النعمان في محلة رأس القرية مدرسة وجامعًا مقدسًا، فنصبت هناك على رغم الحاسدين خطيبًا وواعظًا ومدرسًا، فصدعت بالخدمات الثلاث في ذلك المحل الأرفع، وصدحت على أفنانها بمرأى من العدو الشاني ومسمع، إلا أني عددت الخطابة نقمة، حيث أني أجهل خطباء العراق بأصول النغمة، والناس اليوم لا يسمعون خطيبًا، ما لم يكن عندليبًا، ولا يدخلون مسجدًا، ما لم يكن خطيبه مَعْبدًا، ومعظم أهل العراق يكرهون الخطبا، إذا لم يغنوهم بنحو الحسيني والصبا(١)، ويحسبون الإخلال بالألحان لحنًا، وترك الأوزان العجمية في الدين وهنًا، وكذا ثقل عليّ أن أعظ، لعلمي بأني غير متعظ.

وإني لأستحيي من الله كلما	رأوني خطيبًا واعظًا فوق منبر
ولست بريًا بينهم فأفيدهم	ألا إنما تشفي المواعظ من بري

وكان يغص الجامع بالسامعين، وتَشرق الجيوب والأكمام بدموع الباكين، وربما أبقى في تفسير الآية الواحدة شهرًا، وأنا كل يوم أتلو عليهم - والحمد لله تَعَالَىٰ - من أسرارها ذكرًا، وشرعت في الوعظ وأنا ابن عشر سنين، ووعظت في كثير من مساجد(٢) المسلمين، وأقرأت شابًا وكهلًا. وأنا ابن ثلاثة عشر حولًا، وتعلمت ضم الحرف إلى الحرف، وعمري نحو أصابع الكف، كل ذلك من فضل الله تَعَالَىٰ [عليّ](٣) ثم بركة دعاء والدي، حتى إذا جاء الطاعون، وسارت بعلماء الكرخ وساداته الظعون.

---

(١) من المقامات الموسيقية.

(٢) جاء في حاشية نسخة الهند [كالحضرة القادرية وجامع القمرية وجامع الحنان وجامع محمد الفضل وجامع الحيدر خانة وجامع مرجان وجامع شيخ صندل. منه].

(٣) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند.

خلت الديار فسدت غير مسودٍ ومن الشقاء تفردي بالسؤدد[(١)] [١١/أ]

■■■

(١) البيت مشهور كثير الاستشهاد به، وقد نسبه الجاحظ في البيان والتبيين لحارثة بن بدر، ونسبها الزمخشري في ربيع الأبرار للخشعمي، وهو ما وافقه عليه اليوسي إذ قال: قال رجل من خثعم، وأورد البيت، ورواه أبو هلال العسكري بصيغة مختلفة فقال:

ذهب الكرام فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

انظر، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: «البيان والتبيين»، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٧، ١٤١٨هـ / ١٩٨٨م، (٤٩٤/١)؛ الزمخشري (محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م): ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م، (٣٢٠/١)؛ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري ت: ٣٩٥هـ): جمهرة الأمثال، دار الفكر، دمشق، ط. ٢، ١٩٨٨م. (٣٧٥/١)؛ اليوسي: زهر الأكم (٢٥٤/١).

[ترجمة والد المؤلف]

وتوفي إذ ذاك - والأمر لله سُبْحَانَهُ - والدي، ومن هو بعد الله تعالى مساعدي، وفي تناول ما يصلح حالي زندي وساعدي، سيدي وسندي السيد عبد الله أفندي تغمده الله برحمته، وأسكنه غرف كرامته في أعالي جنته، وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدور رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائمًا، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائمًا، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاه، إلا وجده يبكي خشية بين يدي مولاه جل علاه، وقد درَّس نحو أربعين سنة في الحضرة الأعظمية(1) وكان يذهب إليها ماشيًا إعظامًا لما ضمته من عظام محيي السنة الأحمدية، وكان مع ذلك يدرس في مدرسة المولى خانه، التي جعلها داود باشا خانًا(2) وسوقًا وبنى فيها لقهوة البن حانة(3)، ونقل التدريس

(1) ربما يعني بها مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهو يدعى مسجد الأعظمية، قائم الآن في حي الأعظمية ببغداد، وهو قطعة فنية معمارية رائعة.

(2) الخانات منازل صغيرة ونوع من المؤسسات الخيرية التي تقدم خدماتها من الطعام والمثوى للمسافرين والمحتاجين، والنوع الكبير منها يسمى كروانسراي، وكان يشيد كالقلاع في طرق المسافرين ليقدم لهم الطعام والمأوى ويحمي بضائعهم من اللصوص وقطاع الطرق، وكان من الناحية المعمارية قطعا فنية رائعة.

انظر، يلماز أوزتونا: «تاريخ الدولة العثمانية»، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، (٢/ ٢٩٤).

(3) كانت قضية شرب البن في الحانات واحدة من القضايا الاجتماعية السياسية التي أثارت جدلا عنيفا في الدولة العثمانية، إذ انتشر شرب القهوة أولا في المناطق الشرقية/الجنوبية للدولة وانتشرت حوانيت القهوة (القهوة خانه) في دمشق الشام منذ عام ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م، ثم انتقلت تلك الظاهرة إلى العاصمة استانبول، ووصل الأمر أخيرا إلى شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ثم إلى السلطان سليمان القانوني. وتذكر بعض المصادر أن مجيء القهوة للمرة الأولى من الشرق الأقصى إلى عاصمة الخلافة كان في هذه السنوات مما دفع علماء =

إلى بعض منها يسمى اليوم بالآصفية، ونصب فيها مدرسين للعلوم النقلية والعقلية، ودرس نحو أربع سنين في مدرسة الشهيد علي باشا التي أعدت لرئيس المدرسين، وهو عليه الرحمة ثالث[١] مدرس درَّس بها، وكنت في أيامه محافظ كتبها، ووعظ وخِلّ الشباب غير مماذق، في جامع محمد[٢] الفضل بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، وكانت الطلبة تتبرك بالقراءة عليه، وتعد من أسباب الفتوح عليها تقبيل يديه، وقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وذهب إلى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن فوجده يوم دخل قد مات، وينتهي نسبه الذكي الزكي إلى الريحانتين، فمن جهة أمه إلى الحسن ومن جهة أبيه إلى الحسين، ويحلق نسب أمه إلى ذلك بجناح الباز الأشهب، ومن نصب له وكر العناية الأزلية في حظائر الغيب الأغيب، قدس سره، وغمرنا بره.

والأمر مفصل في (حديقة الورود)، فقد زهت فيها نظمًا ونثرًا أسماء الآباء والجدود، وكذا في شجرة [١١/ ب] الأنوار، ونوار الأزهار، التي أَلَّفناها في إسلامبول، وجمعنا فيها ما شاء الله تَعَالَىٰ من ذرية الزهراء البتول، ولعمري أنه نسب يصلح أن يجعل تميمة فطيم، ويتخذ لبركة من حوى رقيمة سليم.

= الدين على معارضة هذا النوع من الكيف، بل إن الشيخ محمد الحسيني قاضي الشام طالب بإبطال شرب القهوة البنية عام ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦م وعرض الأمر على السلطان فوافق بناءًا على فتوى شيخ الإسلام أبي السعود الذي رأى في شربها تشبه بالفجار من اجتماع الفسقة على الملاهي والغيبة والنميمة، رغم ما عرف عن أبي السعود من التسامح إلا أنه كان في تلك المسألة متشددا لأن الأمر يتعلق بظاهرة أخلاقية اجتماعية تمس الدولة كلها. حتى أن مسألة تحليل وتحريم القهوة ظل مثارا بين العلماء مدة طويلة بعده. وقد تناولت هذه المسألة الطريفة والمهمة الكثير من الأبحاث.

(١) جاء في حاشية نسخة استانبول والهند (الأول محمد أمير أفندي مفتي الحلة، والثاني عبد الله أفندي الحيدري مفتي الشافعية) [منه].

(٢) وهو الأخ الصغير السيد سلطان علي، فليحفظ [منه].

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عمودًا[١]

فهو - عليه الرحمة - محبوك الطرفين، قد طابق شرفه في نفسه شرف الجدين، فلا بدع أن نال بيد مجده الثريا، أو تفيأ في الشرف مكانًا عليا.

ما عذر من ضربت به أعراقه حتى بلغن إلى النبي محمد

أن لا يمد إلى المكارم باعه وينال غايات العلى والسؤدد

مرتقيًا حتى تكون ذيوله أبد الزمان غمائمًا للفرقد[٢]

وبالجملة؛ كان نقي الذات، بهي الصفات، زكي الأعراق، زكي الأخلاق، وافي الوفاء، لا يخل بحقوق الأخلاء، قد طهر الله تعالى سره، وأعلى لديه بطاعته قدره، فلو أقسم على الله سبحانه لأبره.

هذا أبي جامع ما قد سمعت به هيهات ما للورى يا دهر مثل أبي

---

(١) البيت لأبي تمام من قصيدته التي مطلعها:

طَلَلَ الجَميعِ، لَقَدْ عَفَوْتَ حَميدَا وكفى على رزئي بذاكَ شهيدا

انظر، أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت: نحو ٣٩٥هـ): ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٦. (٢٤/١)؛ أبو بكر محمد ابن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ): أخبار أبي تمام، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ، (٩/١).

(٢) الأبيات للشريف الرضي من قصيدة مطلعها:

هل ريع قلبك للخليط المنجد بلوى البراق تزايلوا عن موعدي

بينما نسبه الثعالبي في لباب الآداب إلى: أبو الفتح علي بن البُسْتي.

انظر، ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد، ت: ٥٦٢هـ): «التذكرة الحمدونية»، تحقيق: إحسان عباس، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت،١٩٨٣م، (١٥٩/١)؛ الجرّاوي: الحماسة المغربية، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، (٧٥/١)؛ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): «لباب الآداب»، تحقيق جليل العطية، طبعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، (٦٦/١).

ولما توفي عليه الرحمة في الطاعون، وسارت معه من أهل البيت الظعون، لبس لي الزمان جلد النمر[١] وجعل يكر عليّ ويفر، وجرت أمور منها السماء تمور، ووقعت مواد تشيب لذكرها لمم المداد.

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
وصرت إذا أصابتني نبال تكسرت النبال على النبال[٢]

واضطررت إلى أن تركت سكنى داري، وارتكبت - والأمر لله تَعَالَىٰ - فراق

---

(١) من أمثال العرب، ومن المجاز، وأورده ابن سلام في باب إظهار العداوة وكشفها، يقال لبس فلان لفلان جلد النمر كشف له عداوته، وقال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: معناه: أظهرت له العداوة الشديدة، وجعلوا النمر مثلًا في ذلك، لأنه من أجرأ سبع وأشده، وأقله احتمالًا للضيم.
انظر، أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت: ٢٢٤هـ): «الأمثال السائرة»، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة،١٤٠٣هـ، ١٩٨٦م، (٦٦/١)؛ «المعجم الوسيط»؛ (١٣٩/١)؛ الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري): «أساس البلاغة»، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (٤٩٠/١)؛ أبو الفضل النيسابوري: «مجمع الأمثال مجمع»، دار المعرفة، د.ت.، بيروت، (١٧٩/١).
(٢) الأبيات للمتنبي من قصيدة مطلعها:

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات وما ينجين من خبب الليالي

وثمة اختلاف في البيت الثاني الذي أورده المؤلف، وأصله:

فصرت إذا أصابتني سهامٌ تكسرت النصال على النصال

وقد صححها المؤلف أو الناسخ على حاشية نسخة الأزهرية هكذا (النصال على النصال).
انظر، عبد الرحمن البرقوقي: «ديوان المتنبي مع شرحه»، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (١٩٦/١)؛ البديعى (يوسف الحلبي ثم الدمشقي المعروف ت: ١٠٧٣هـ): الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، (٧٥/١)؛ ابن حجة الحموي (تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري): «خزانة الأدب وغاية الأرب»، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، (١٩٤/١).

سكني وجاري، وسكنت في ظل جناح باز الله الأشهب [المشرق][١]، عليه ما يبهر العقول من النور الشعشعاني الذي يحجب ولا يحجب، قدس الله تَعَالَىٰ سره، وأعلى في حظائر القدس ذكره.

حتى إذا كان رمضان سنة الخمسين، وهي مبدأ انحلال ما عقده القضاء علي من البلاء المبين، أمرني النقيب إذ ذاك بالوعظ في الحضرة الغوثية، فأجبته [١٢/ أ] مكرهًا لاشتغال ذهني بأمور كلية.

فاتفق أن ساق حسن القضا، لاستماع وعظي الوزير الخطير علي رضا، فسمعه فصلًا فصلًا، وفهم أسراره بلًا بلًا، فدهش واستغرب، وعجب غاية العجب، وقال في مدحي ما قال، مما يضيق عن التلفظ به فم المقال، ثم أمر بأن أذهب إليه في العيد، والنقيب السابق ملقي السمع وهو شهيد، فضاق لذلك فسيح صدره، وندم على ما مر من أمره، فلما جاءه العيد، ذهبت إلى سرايه فعايدته، وشاهدت من الإكرام ما لم أكن شاهدته، وأعاد إليَّ ما كان من الوظائف علي، وكان أخذها مني ودفعها عني، فكنت أكحل برؤيته العين، وأذهب إليه في الأسبوع مرة أو مرتين، وفي عيد الأضحية نصبني خطيب الأعظمية، وشغف بي من بين صحبي، فجعلت أذهب مع الأعيان[٢]، كل جمعة للديوان، فأكون

(١) هذه الزيادة من نسخة استانبول.

(٢) أعيان Ayan: أشراف البلد، ويطلق على فئة إقطاعية بدأت بممارسة النفوذ منذ القرن الثامن عشر الميلادي في مختلف مناطق الدولة العثمانية، وأصبحت ذات امتيازات وصلاحيات، وقد قضى عليها السلطان محمود الثاني بعد صراع طويل معها.

وهو الاسم الذي أطلق أيضًا على الوسطاء الذين يقومون بتنظيم العلاقات بين الدولة والمجتمع العثماني في المدن والقرى. ويشمل بشكل عام القاضي والمفتي والمدرس والسيد وشيخ الطريقة، وكبار رجال الجيش، وكبار التجار، وأعيان البلد. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، (ص: ٣٣).

في الأغلب المخاطب له وحدي، كأن لم يكن في الديوان غيري أفندي[١]، وفي كل ليلة أجتمع معه، وأكاد أحيي في مسامرته ليلي أجمعه، وفي هاتيك الأثناء شرحت (البرهان في إطاعة ظل الله تَعَالَىٰ السلطان)، فقدمته إليه، وعرضته عليه، فأجاز لؤلؤه بوقف مرجان، وبجلب رتبة تدريس الأستانة[٢] من حضرة السلطان، ثم نصبني مفتي الحنفية، وكان قد وعدني بذلك يوم سمع وعظي في الحضرة الغوثية.

نعم سعى غاية السعي في إنجاز ذلك الوعد، وأصر على عدم تأخيره من يوم إلى غد، ذو الهمة التي لا تجارى، والغيرة [العمرية][٣] التي لا تبارى، من جرى

(١) الأفندي: كلمة رومية - بيزنطية انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدئ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف، حيث حلت محل كلمة جلبي المماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقبًا تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمراء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.
وقيل استخدمها العثمانيون في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، للدلالة على الإنسان المثقف ذي التربية القويمة، ثم أطلق على العالم وعلى بعض رجال الدولة، ثم استخدمت لقبًا رسميًا للأمراء العثمانيين وكبار علماء الدين في الدولة، بالإضافة إلى استخدامها للضباط من رتبة الملازم حتى رتبة البكباشي، كما كان طلاب المدارس العسكرية يخاطبون بها رسميًا، ثم ألغيت الكلمة من دائرة الألقاب الرسمية في تركيا بالقانون رقم ٢٥٩٠ الصادر عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٤م. وقد استخدمت كذلك لرئيس الكتاب (ناظر الخارجية) قبل عهد التنظيمات ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م.
سهيل صابان: «المعجم الموسوعي»، (ص: ٣٤).
(٢) كان رجال الهيئة العلمية يتخذون طريقهم إلى العمل في القضاء أو التدريس، وقد تشابهت الرتب والدرجات في المجالين، وبالطبع كانت العاصمة هي قمة التدرج الوظيفي للقاضي أو المدرس، وبعدها يدخل في مصاف كبار رجال الدولة ليصبح قاضيا للعسكر أو شيخا للأسلام. ورتبة تدريس الأستانة تعادل التدريس الجامعي في عصرنا الحاضر ولا ينالها إلا عالم كبير قضى مدة في التدريس.
(٣) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الأزهرية.

وادي فضله فطم على القرى، حضرة مولاي عبد الباقي أفندي العمري، وكان لي - سلمه الله تَعَالَىٰ - في كل أموري مساعدًا، ومتى عطلت يدي عن مصالحي كان لي يدًا وساعدًا، أدام الله تَعَالَىٰ حيا حياته على رغم كل مبغض، ولا زال فاتحا عين قلبي بميل ميله لي حتى يغمض العين مغمض.

ولم يزل ذلك الوزير يعلي لي الشان، حتى قلدني من أيادي السلطان بنيشان(١)، ولم يسبق ذلك لأحد من علماء البلد وذلك بعد أن وردت عدة أسئلة علمية [١٢/ب] من إيران، فأحجم عن جوابها قبلي فضلاء الزمان، وكل ذلك مفصل في ترجمتي (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين محمود).

حتى إذا أراد الله تَعَالَىٰ فيه إظهار سابق علمه، وأوصله بلطفه الجزيل إلى آخر أيام حكمه، وجهت إيالة(٢) مدينة السلام إلى محمد نجيب باشا والى(٣) دمشق

(١) نيشان أو وسام مجيدي من الدرجة الأولى (برنجي مجيدي نيشان): وهو الوسام الذي أحدثه السلطان عبد المجيد في عام ١٢٦هـ - ١٨٥٢م، ويحمل اسمه، وكان هذا الوسام في البداية ذات رتبة واحدة فقط، ويسمى الوسام المجيدي فقط، وفي عهد السلطان عبد العزيز، تم إحداث تطوير في استخدام هذا الوسام، وأصبح ذات رتب ودرجات، ويشمل ٦ درجات، أو رتب بحيث أصبح هناك وسام مجيدي مرجع الدرجة الأولى، الثانية، الرابعة، الخامسة، وكان ذات قسمين «مجيدي عسكري»، «مجيدي ملكي أو رسمي»، وكان يمنح لعدد كبير من موظفي الدولة العثمانية بمختلف وظائفهم ورتبهم، كما كان يمنح لأعضاء مجلس المبعوثان العثماني، وأعيان المدن، وجهاء القرى والأرياف، وشيوخ العشائر البدوية، والموظفين العاديين.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: «تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني»، اربد، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، (٢/٢٢٥).

(٢) إيالة Eyalet: أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إدارية إلى إيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أميرالأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق - ما عدا الحالات القضائية - عليها.

(٣) الوالي / ميرميران / البكلربكي: وهو رأس الحكم في الإيالة، وأطلقت عليه المصادر العثمانية إلى =

الشـام، وأمر هو بالتوجه بدله إلى دمشق، فلم يسعه إلا الامتثال وإن شق، فلما جـاء النجيب جعل حالـه يتلون [معي][1] تلـون الحرباء، فطـورًا وصال وطورًا - والعياذ بالله تَعَالَىٰ - جفاء، وأنا في كلتا الحالتين أطوع له من ظله، وأسرع في امتثال أمـره من خاصة أهله، وكم صمم على عزلي وما عزل، حيث دفع بصدره عدم انتهاء الأجل، فقد قدر جل شأنه وعلا، لكل شيء حتى المناصب أجلا.

= جانب ذلك أسمي: ميرميران، وأمير الأمراء، ثم أصبح اسمه الوالي مع مقدم القرن الثامن عشر. وكان يستخدم في النظم العثمانية في البداية بمعنى القائد «قومندان» صاحب الصلاحيات العسكرية الواسعة، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية معًا. كما كانت تستخدم البكلربكية في القرن الخامس عشر رتبة ودرجة تُمنح لكبار رجال الدولة، ولا سيما بكلربكية الروملي.

وتتوزع مهام البكلربكي على حالتين أساسيتين؛ الأولى هي: حالة السلم، والأخرى: حالة الحرب. وكانت عملية توفير الأمن في الإيالة واحدة من بين مهامه الأساسية. ونظرًا لأن البكلربكي كان رأس النظام العسكري في إيالته، والقائد العام عليها، فقد تعددت صلاحياته، وازدادت مسئولياته. وكان يقضي ثلثي حياته الوظيفية تقريبًا وهو يخوض الحرب بالفعل، أو أن ينشغل بالإعداد لها. وكانت تختلف بكلربكية الروملي عن باقي البكلربكيات من حيث أنها كانت الأولى في الدولة، ومن حيث منطقة الروملي نفسها باعتبارها «دار الجهاد»، كما كان يشارك بكلربكي الروملي في اجتماعات الديوان الهمايوني.

وعلى الجانب الآخر فإن البكلربكيين الذين تولوا على إيالات مهمة مثل: مصر، وبودين، والشام، وبغداد، والحبشة، والأحساء، واليمن كانوا يحوزون رتبة الوزراء. والمعروف أن للبكلربكي مكانة مهمة في التشريفات «البروتوكول». والحاصل منهم على رتبة الوزراء كان يلقب بلقب «أمير الأمراء الكرام»؛ بينما يلقب غير الحاصل عليها بلقب «الدستور المكرم».

انظر، أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة»، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، (١/ ١٩٨).

(١) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الأزهرية.

فلما انتهى ما قدره، وقضى به في الأزل وقرره، أطاع اللاحي فعزلني عن منصبي، ففرحت بذلك كأنه غاية مطلبي، حيث كنت مشغولًا بإتمام تفسيري روح المعاني، وكان الاشتغال بالإفتاء قاضيًا بتضييق زماني.

نعم رفع عني وقف مرجان، فأسبل عليّ بذلك سجف الأحزان، وقطع مني بشفرة إعراضه نياط قلبي، فصرت عثيثة أثاثي، وفويرة كتبي، حتى كدت آكل الحصير، وأشرب عليه مداد التفسير، وأرتقي هضبة عزلي، على وجه لم يَخبُ إليه طفل عقلي، وذلك أني دعيت من قبل الدولة العلية أيدها وأبدها رب البرية، لحضور سور همايون[١]، الذي هو بالخير مقرون، فعلاني من ذلك سرور، وضرب عليه من الكآبة سور، فأفهمني إشارة أني إن خرجت من البلد، أتردى بخنائق الكمد، ثم أشار علي بالاعتذار، وعرض تعذر السفر لبعد الدار، مع الاشتغال بالتفسير، والقيام بمصالح الوزير، فكتبت حسبما أشار، وكتب هو أيضًا إلا أنه أولج الليل في النهار، ومع ذا أوصل كتابي إلى حضرة شيخ الإسلام[٢] وولي النعم، الآخذ من مطايا الحق بمذود لا ومقود نعم، على يد الباليوز الفرنساوي[٣]، فأهوى بي لذلك إلى وخيم المهاوي، فكان ما كان، والله تَعَالَىٰ المستعان.

(١) همايون Humayum: كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية. فـ «هما» باللغة الفارسية، و«أما» باللغة التركية تعني طائرًا أسطوريًا ذا حظ وقدرة، وقد اتخذها سلاطين الغز الأتراك رمزًا لهم، وانتقل منهم إلى السلاطين العثمانيين. كان يستخدم مضافًا للمتعلقات الخاصة بالسلاطين فيقال: الذات الهمايوني، الطغراء الهمايوني، الجيش الهمايوني، وهكذا. سهيل صابان: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية»، (ص: ٢٢٦).

(٢) شيخ الإسلام: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسئولًا عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتيًا، بدأت ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية. انظر، «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية»، (١٤٢).

(٣) السفير أو القنصل أو الممثل السياسي لبلاده، وفي نسخة الهند (الإفرنساوي).

الكشافات / الفهارس[1]

أولًا: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانيًا: الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثًا: فهرس الأشعار.

رابعًا: فهرس الأمثال والأقوال المأثورة.

خامسًا: فهرس الأعلام.

سادسًا: فهرس المواضع والبلدان.

سابعًا: فهرس المصطلحات العثمانية.

(١) اقتصرت الكشافات على متن الرحلة فقط، دون الحواشي، ودون مقدمة المحقق، والملحق.

أولا: فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾	٤٠	التوبة	٧٢
﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	٢٧	فاطر	٧٣
﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾	٩٠	النساء	٨٨
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾	٢٤	يوسف	٨٨
﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٧	آل عمران	١٥٢
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	٢٣	الزخرف	١٦٦
﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾	٣٣	الرعد	١٦٦
﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾	٤	الرعد	١٦٧
﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	هود	١٧٤
﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾	٧٠ – ٧١	يوسف	٢٠٠
﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾	٧٣	يوسف	٢٠٠

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾	٥٨	الأعراف	٢٠٨
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	٢٠	الإنسان	٢١٩

■■■

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
سافروا تغنموا	٥٧
سبعه يظلهم الله	١٨٣

■■■

ثالثا: فهرس الأشعار

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فللدنيا أحاديث طوال يشيب لذكرها لمم المداد	١	غير معروف	٥٨
سر طالبًا غاياتها أما ترى فوق الثريا أو تُرى تحت الثرى	١٢	محمد بن المعلم	٦٢
وإذا الكريم رأى الخمول نزيله في منزل فالحزم أن يترحلا	١٤	أحمد بن منير الطرابلسي	٦٢-٦٣
نقل ركابك في الفلا ودع الغواني في القصور	٢	صرد الفاعر	٦٣-٦٤
وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب يتجدد	٢	أبو تمام	٦٤
لا تقعدن على ضيم ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر	٦	الحريري	٦٤-٦٥
وقفت وقوف الشك ثم استمر بي يقيني بأن الموت خير من الفقر	٤	ياقوت الحموي	٦٥
سأضرب في بطون الأرض ضربًا وأركب في العلا غرر الليالي	٢	ابن مهدي الخوافي	٦٥-٦٦
ليس ارتحالك ترداد الغنى سفرًا بل المقام على خسف هو السفر	١	أبو القاسم بن عباد الصاحب	٦٦

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ما القفر بالبيد الفضاء بل التي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفر	١	الطائي	٦٦
لا يعدم المرء كِنًا يستكن به ومِنعة بين أهله وأصحابه	٢	أبو الفتح البستي	٦٧
إذا لم يسالمك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب	١	عمارة اليمني	٦٨
وإذا الديار تنكرت عن حالها فذر الديار وأسرع التحويلا	٢	أبو محمد الغانمي	٦٨
ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد	٢	أبو دلف العجلي	٦٨
إذا لم يكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها	١	الكميت بن زيد	٦٨
أيّا لقيت تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها الساري	١	غير معروف	٧٠
فإن كان لي فضل فمنهم أخذته ولولا سناء الشمس ما بهر البدر	١	غير معروف	٧١
شام برقا من الشآم استنارا ملأ الخافقين نورًا ونارا	١	عبد الباقي أفندي العمري	٧٥

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لا در در أناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر	٢	الودك الطائي	٩٤
قد انتظموا في سلك فضل قلادة وكلهم وسطى فناهيك من عقد	١	غير معروف	٩٧
قوم لهم في سماء المجد منزلة زهر الكوكب منها النور يقتبس	٢	غير معروف	٩٨
وهو الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الهدى بعروقه قبل الدم	١	ابن حيوس	١٠٠
لا أبصرت مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت مثله حسنا	١	محمد بن عمر العرضي	١٠١
فإني إن لم أذكر المرء بالذي يعاملني إن جيدًا أو مذمما	٢	أبو العالية الرّياحي	١٠١
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما	١	أبو العالية الرياحي	١٠٢
ولولا الضرورة لم آتها وعند الضرورة آتى الكنيفا	١	علي بن محمد البسامي	١١١
ولما رأينا الصبح يخلط في الدجى شجاعة مقدام بجبن هيوب	٢	علي بن محمد الكوفي	١١٥

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
مرام شط مرمى العقل فيه ودون مداه بيد لا تبيد	١	ابن حيوس	١١٧
غلط الذين رأيتهم بجهالة يلحون كلهم غرابًا ينعق	٢	غير معروف	١١٩
مصليًا على النبي الخاتم وآله وصحبه الأكارم	١	المصنف	١٢٤
ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم	١	الشيخ أبو الهدى الصيادي	١٢٩
ولست بأهل أن أُجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقايق قد تخفى	٢	المصنف	١٣١
أمست يبابًا وأمسى أهلا احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد	١	النابغة الذبياني	١٥٥
هو الشمس علمًا والجميع كواكب إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب	١	النابغة الذبياني	١٦٣
فاختلط الليل والنهار كما تخلط كف مسكًا وكافورا	١	كشاجم	١٧١
وحاكى اخضرار الفجر صرحًا ممردًا وفيه لآلٍ لم تشن بثقوب	١	ابن طباطبا	١٧٨

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
قال النبي مقال صدق لم يزل يحلو لدى الأسماع والأفواهِ	٤	غير معروف	١٨٢
فما كل ذي خضراء أدعوه سيدًا ولا كل ذي نعماء أرضاه منعما	١	غير معروف	١٨٣
تروع حصاه غانية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم	١	غير معروف	١٨٨
تصد الشمس أني واجهتها فتحجبها وتأذن للنسيم	١	المنازي الكاتب	١٨٨
دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبًا وشيبننا مردًا	١	الصمّة بن عبد الله	١٩٢
لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا	١	الشيخ جمال الدين مطروح	١٩٢
وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه	١	غير معروف	١٩٧
مساوٍ لو قسمن على الغواني لما أمهرن إلا بالطلاق	١	أبو تمام	١٩٧
وفي الحيوان يشترك اضطرارا أرسطاليس والكلب العقور	١	غير معروف	١٩٨

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
كل قوم لهم نذير ولكن خلق السيف للئيم نذيرا	١	غير معروف	٢٠٢
أهلاً ومرحبًا به من زائر قد حسم الزور بسيف باتر	١	المصنف	٢٠٧
ويعجبني طرف تدر دموعه على فضله العالي فلله دره	١	ابن نباتة المصري	٢٠٨
يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل	٢	محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل	٢١١
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم	١	محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل	٢١٢
في سماء السعود أشرق بدر فاستدارت من فضله كل هاله	٢	بطرس كرامة	٢٣٤
يا أيها الملك المشير القسوَرُ هذا الجهاد هو الجهاد الأكبرُ	٢٣	محمد أمين أفندي العمري	٢٣٥-٢٣٦
أهل هندية بغت بقلاع شيدوها من مكرهم والخباثة	٦	محمد أمين أفندي العمري	٢٣٦

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
في سماء السعود أشرق بدر فاستعارت كل البدور كماله	٤	عبد الباقي الموصلي العمري	٢٣٦
إن تـرم حـل عقد رمـز المعاني خــل تــذكــار أربــع ومـغــاني	٣٣	حسن أفندي	٢٣٧-٢٣٩
محبتي فيك تأبى أن تطاوعني أني أراك على شيء من الزلل	١	غير معروف	٢٤٤
بادر إلى طلب العلم العزيز وإن ضاقت ولم تصف أقوات وأوقات	٢	غير معروف	٢٤٤
لا تخش من هم كغيم عارض فلسوف يسفر عن إضاءة بدره	٤	جمال الدين بن نباتة	٢٤٦
فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقسو أحيانًا على من يرحم	١	غير معروف	٢٤٦

■■■



رابعا: فهرس الأمثال والأقوال المأثورة

المثل / القول	الصفحة
رميت بثالثة الأثافي	٦٠
أحمق من ربيعة البكَّاء	٨١
أمنع من إست النمر	٨١
أعز من الزبَّاء	٨١
تُعقد عند ذكره الخناصر	٩٢،١٣١
استسمنتم ذا ورم	١٣١
أفلس من ابن المذلق	١٧٢
وافق شن طبقه	١٨٤
أرعى السها والفرقد	٢٠٥ ، ٢٢٣
وعدت بخفي حنين	٢٢٤
أشأم من عطر منشم	٢٢٧
أروغ من ثعلب	٢٤٥
وذهبوا شذر مذر	٢٤٥
لبس لي الزمان جلد النمر	٢٧٨

■■■

خامسًا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
رسول الله / النبي / سيدنا محمد ﷺ	٦٢، ٩٩،٦٠، ١٢٦، ١٢٣، ١٢٧، ١٨٢،١٢٩، ١٩٦، ٢١١، ٢٤١، ٢٤٨
إبراهيم (خليفة الخلوتي السيواسي)	١٧٧
إبراهيم أفندي الشرواني	٢٤١، ٢٤٢
ابن الفارض	١٩٩
ابن المذلق	١٧٢
ابن حجر (الهيثمي)	٧٩
ابن كثير (صاحب القراءة)	٧٣
أبو الغنايم (محمد بن المعلم)	٦٢
أبو الفتح البستي	٦٦
أبو تمام	٦٤
أبو حيان	١٢٩
أبو عمرو (صاحب القراءة)	٧٣
أبو محمد الغانمي	٦٨
أحمد (مفتي توقاد)	١٨١
أحمد أفندي (ابن خليل أغا)	١٦٩
أحمد أفندي القلعلي	٨٩

العلم	الصفحة
أحمد أفندي بدن زاده	٢٠٩
أحمد أفندي خزندار زاده	٩٧
أحمد بن حيدر	٢١٢
أحمد بن عبد الهادي	١٢٩
أحمد بن منير الطرابلسي	٦٢
أحمد حلمي أفندي الليواني	٢١١
أحمد راشد أفندي	٩٣
أحمد واصف باشا	٢٠٧
أرسطاليس	١٩٨
أسعد أفندي (إمام زاده)	٢١٠
إسكندر (صاحب الخان)	٢٠٣
إسماعيل (أبو الفداء العجلوني)	١٢٠، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩
إسماعيل أفندي	١٥٣
أوليا أفندي	١٧٤
ايت عمر باشا	١٩٣
بايزيد (السلطان)	١٩٤
بطرس كرامة	٢٣٣
بكر أغا	١٠٧
بلال الحبشي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	٢١٧

العلم	الصفحة
بلقيس	٢٢٤
البيضاوي	٨٨،٢٤٣
التنوخي (القاضي)	١١٨
جاشغون أفندي	١٧٢،١٨٦
الجامي (مولانا)	١٥١
جميل بك أفندي (مدير الأوراق)	٢٢٨
الجوهري	٩٣
الحاج أبو بكر	١٧٤
حافظ أفندي (إمام صمصوم)	٢٠٧
حامد (الشيخ النقشبندي)	٨٥
الحريري	٦٤
حسن	١٥٣
حسن أفندي	١٥٤
حسن أفندي (طبيب)	٢٣٦
حسين (ابن السيد عصمان)	١٧٠
الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٥٣
حسين (واعظ ترخال)	١٨٦
حسين أفندي (المقري الحافظ)	١٧٦
حسين أفندي ابن قطمير	١٩٥

العلم	الصفحة
حسين الفاري	٨٨
حنين	٢٢٤
خالد (الشيخ النقشبندي)	١٣٧،٨٥
خالد بك ابن عمر أغا	١٤٢
خليل الكاملي	١٢٩
خواجكان (عبدي أفندي)	١٧١
داود باشا (والي بغداد)	١٧٩، ٢٠٧
درويش أفندي	٨٧، ٩٧
درويش محمد	١٧٤
درويش محمد أفندي (الصافي)	١٧٢
دورسون أفندي	١٣٩
ذهني أفندي	١٦١
ذي النون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ	٧٠
رسمي أفندي	٩٨
رفيع أفندي البرسه لي	٢٠٧
الساعدي	١٧٣
سالم أفندي (القاضي)	١٦٢
سالم أفندي المفتي	١٥٥
سام	٢١٣

العلم	الصفحة
سعد الدين إبراهيم أفندي	٨٧
سعيد باشا (الوزير)	١٧٧
سليم الأول (السلطان)	١٤٨
سليمان أفندي (صاحب الخان)	١٩٩
سليمان بك	١٠٩
سليمان بك أفندي	٩٩
السويدي	٢٤٣
سيدي علي باشا	١٩٦
شاكر الألوسي (نجل المصنف)	١٤٥
شمس الخلوتي السيواسي	١٧٦، ١٧٧
شمس الدين بك أفندي (ابن حمدي باشا)	٢٢١
الشمس الميداني	١٢٩
الشيخ الأكبر (محيي الدين ابن عربي)	٧٣
صالح (خادم المصنف)	١٥٨، ١٩٧
صالح أفندي الدارندلي	١٧٦
صالح بك (متولي أوقاف العادلية)	١٤٩
صبغة الله الحيدري	٨٠
صلاح الدين يوسف أفندي الموصلي	١٣٤
الضحاك	٢٢٤



العلم	الصفحة
طاهر أفندي (مدير دار الضيافة)	٢٣٠
الطيبي	١٢٩
عبد الباقي (الشيخ)	١٢٩
عبد الباقي أفندي الألوسي (نجل المصنف)	١٣٧، ١٦٨
عبد الباقي العمري	٧٤
عبد الباقي الموصلي العمري	٢٤٣، ٢٣٦
عبد الحميد العمادي	٧٨
عبد الرحمن الكزبري	١٢٤، ١٢٥، ١٣٥
عبد الرحمن الكلاك	٧٢
عبد السلام أفندي	٩٧
عبد السلام أفندي (قاضي توقاد)	١٨٢
عبد القادر أفندي	٧٦
عبد القادر أفندي (خزنه دار زاده)	١٦١
عبد القادر باشا زيادة زاده	٢٢١
عبد اللطيف بن علي (مفتي بيروت)	١٣٥،١٢٨
عبد الله (مفتي قواق)	٢٠٣
عبد الله أفندي (رئيس الاطباء)	١٧٩
عبد الله أفندي الألوسي (والد المصنف)	١٣٢
عبد الله أفندي جنت زاده	١١٨، ١٥٣

العلم	الصفحة
عبد الله الألوسي	٥٨
عبد الله الدهلوي النقشبندي	١٧٤
عبد الله العمري	٧٣
عبد المجيد خان (السلطان)	٢٣١
عبدي باشا	٦١،١١٤
عبدي باشا	٢٠٥
عبيد الله العطار	١٢٤، ١٢٦
عثمان أفندي	١٣٧
عزت أحمد أفندي	١٥٢
عصمان بك (عثمان بك)	١٥٣
عطاء أفندي (قاضي)	١٩٨
علاء الدين علي أفندي	١٣٢
علاء الدين علي الموصلي	٧١
علي (السيد)	١٥٧
علي ابن محمود ممش زاده	١٥٥
علي أفندي (نقيب أشراف العراق)	١٧٢
علي أفندي الداغستاني	٢٣٠
علي أفندي سويدي زاده	١٣٤
علي ياور أفندي	١٧٩



العلم	الصفحة
عمارة اليمني	٦٧
عمر أغا	١٠٦
عمر أفندي	١٤٤
عمر أفندي ابن محمد أفندي الأسيري	١٣٢
عمر أفندي ابن محمود أفندي	١٥١
عمر أفندي جمال الدين	١٢٥،١٢٠
عمر فائز أفندي (كدخدا الباشا)	٢٢٢
عيسى أفندي (البندنيجي)	٧٩
الغوري (السلطان)	١٤٨
فرعون	١٦٦
فروخ شاد بك	١٤٨
فؤاد أفندي المستشار (أبو المحاسن)	٢٢٨
قادر أفندي الشوان	١٤٤، ٧٩
قارون	٢٢٤
قيس غيلان	١٨٠
كسرى	٢٢٤
كسك باش	١٨٥
الكمال الحسيني	١٢٩
لقمان	٢٢٤، ٢٣٩

العلم	الصفحة
محمد (من ذرية عبد الرحمن الأرزنجاني)	١٧٦
محمد أفندي (مفتي)	١٩٨
محمد أفندي (نائب ترخال)	١٨٦
محمد البوصيري	١٢٨
محمد أمين أفندي العمري	٢٣٤
محمد أمين أفندي القيصري (طويل زاده)	١٧٤
محمد أمين أفندي معين الدين	١٣٩
محمد أمين البرزنجي	٧٦
محمد بك	١٤٩
محمد بك (كتخدا عبدي باشا)	٢٠٤، ٢١٩
محمد جان الهندي	١٧٤
محمد حسين	١١١
محمد حمدي باشا	١٠٣، ١١٨، ١٣٠، ١٤٠، ١٦٣، ١٩٣، ١٩٦، ٢٢٠
محمد ذهني أفندي الزارلي	١٧٥
محمد رجب أفندي	١٢٠، ١٢٤
محمد رجب أفندي ابن حمد	١٣٢
محمد سعيد أفندي	٧٦
محمد عطائي أفندي البستاني	١٧٦

العلم	الصفحة
محمد غوث	٢٣٠
محمود أغا (مولى الوزير)	١٧٨
محمود شهاب الدين آلوسي زاده	٩٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٦٢، ٢٤٢،
محمود عمري زاده	٧٧
مركوس (الكشيش)	١٦٦
مصطفى	١٦٥
مصطفى (السيد)	١٥٧
مصطفى أفندي	١٤٤
مصطفى أفندي	١٤٧
مصطفى أفندي (الملا)	٨١
مصطفى أفندي (قاضي قره حصار)	١٩٣
مصطفى أفندي (مفتي ترخال)	١٨٦
مصطفى أفندي (نائب القاضي)	١٨٣
مصطفى أفندي المرزفوني	٢١٠، ٢١٥
مصطفى أفندي دباغ زاده	١٧٦
مصطفى أفندي ممي زاده	١٣٢
مصطفى بك (ابن عبد الله باشا)	٢١٣
مصطفى بك الربعي	١٠٥

العلم	الصفحة
مكرديش (الكمركي)	٢٢١
مكي زاده	١٩٨
منيب أفندي	٢٠٧
موسى عليه السلام	١٦٦
ناصر الدين (سلطان جاوة)	٢٣١
نافع (صاحب القراءة)	٧٣
نامق باشا (مشير الحجاز والعراق)	٢٣٤
نجيب باشا (والي العراق)	٢٢٩
نصيف (خادم المصنف)	١٥٨، ١٦٨، ٢٢١
نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ	٢١٣، ٢١٩
نوري (مفتي قره حصار)	١٦١
هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ	١٦٦
هداية الله النقشبندي	٧٦
وليّ أفندي (ديوان أفنديسي زاده)	٢٣٣
ولي الدين أفندي	١٥١
ياقوت الرومي (الحموي)	٦٥
يحيى أفندي المزوري العمادي	١٣٥
يعقوب (الحاج)	١٤٩
يوسف أغا الموصلي	١٧٩

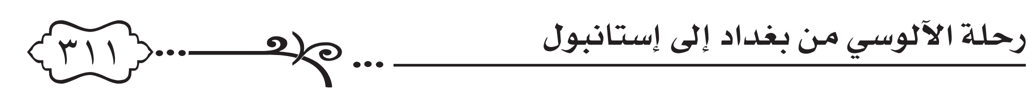


العلم	الصفحة
يوسف الخلوتي	١٨٥
يوسف جميل (كدخدا عبدي باشا)	٢٢٣
يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ	٢٢٤

■■■

سادسا : فهرس المواضع والبلدان

البلد / الموضع	الصفحة
إربل	٧٦
أرزن الروم	١٠٤، ١١٦، ١١٨، ١٣٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٣
أزينه بازاري	١٨٧
الآستانة	٢٠٧، ٢٣٣
إسلامبول	٩٨، ١٦٢، ١٩٣، ٢١٩، ٢٣٧
أغنوت	١١١
أليشر	١٥٧
أماسيه	١٩٠
آمد السوداء	٨٧، ٩٧
أناطولي	٢١٦
أندروس	١٦٥
أنه بولي	٢١٦
أوربا	٦١
أوزمش تكيه سي	١٨٠
إيلجه	١٤١
البحر الأزرق (البحر الأسود)	٢١٣
برخين	١١٠



البلد / الموضع	الصفحة
بكريج	١٤٤
بلور	١٤٨
بيروت	١٢٨، ١٣٥
ترخال	١٨٥
تكية زخار	١٥٤
توقاد	١٨١، ١٩٦
جاوه	٢٣٠
جبقجول	١٠٩
الجزيرة / جزيرة ابن عمر	٧٨، ٢٣٤
جفليك	١٥١
جنس	١٤٢
جنكل كوي	٢٢١
حبش (جبل)	١٦٨
الحجاز	١٨٦، ٢٣٤
الخالص (نهر)	١٥٨
خان سليمان أفندي	١٩٩
خرشنة	٢٠١
خمران	١١٢
دار الخلافة (إسلامبول)	٩٩، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٤٠

البلد / الموضع	الصفحة
دار السلطنة العظمى / عرش الخلافة الكبرى	٥٧، ١٢١
داشخور	١١٥
دجلة	١٠٤
دمشق الشام	١٢٥، ١٣٥، ١٨٦، ٢١٧، ٢٣٦
الديار الرومية	٢٣٤
ديار بكر	٨٣، ٩١، ٩٣، ١٧٧
دير الزعفران	٨٣
زاره	١٦٨
الزوراء	٥٩، ٨٧، ٢٠٧
سيناب	٢١٥، ٢١٦
سيواس	١٤٠، ١٦٩، ١٧١، ١٨٦، ١٩٦
الشام	٧٥
شيران	١٥٣
صمصوم (سامسون)	٩٨، ١٧٨، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٦،
طريزان	٩٨، ١٥١
طوبال جاوش	١٤٣
طوزله	١٠٧
العراق	٦١، ١٠٤، ١٠٥، ١٥٩، ١٧٢، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٠



البلد / الموضع	الصفحة
علي برداغ	١٠٦
الفرات	١٠٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥
فرحات قايه سي	١٩١
فروق	٥٨، ٢٤٣
قارخين	١٧٨
القاهرة	٢٣٦
قره حصار الشرقي	١٥٩
قره شيخ	١١٣
قره قلاق	١٤٥
قزل أورماق (نهر)	١٦٩، ١٨٥، ١٩٠
القسطنطينية	٢١٨
قواق	٢٠٣
قوج حصار	١٧٠
قيصر	١٥٤
كجه يردو	١٦٦
كركوك	٧٦، ١٩٣
كمشخانه	١٥١
لاديك (نهر)	٢٠٣
لوري / لوريه	١٤٧



البلد / الموضع	الصفحة
ماردين	٨٥
مدينة السلام / بغداد	٥٧، ١٣٠، ١٧٩، ٢٤٧، ٢٤٨
مكة	٦٢
الموصل	٧٠، ٧٧
يثرب	٦٢
يخكيك	١٠٨
يلدزداغي	١٨٠

■■■

سابعًا: فهرس المصطلحات العثمانية

المصطلح	الصفحة
أغا	١٠٦، ١٠٧، ١٤٢، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩
إفتاء	٥٧، ٢١٠، ٢٥٧
أوقاف	١٤٩
إيالة	١٤٠، ٢٨١
الباب العالي	٢٢٤
البايتون / الفايطون / الفايتون	١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٠
بك	٩٩، ١٠٥، ١٠٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٨
تكية	١٥٤
التنظيمات الخيرية	٢٠١
جبكن	٢٠٠
خادم الحرمين	٢٣١
خان	١٨٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧
الخانات	١٩٠، ٢٠٣ ، ٢٠٤
دفتردار	٩٨ ، ٩٩ ، ٢٥٨
الروم	١٩١
رئيس الأطباء	١٧٩

المصطلح	الصفحة
شيخ الإسلام	١٦٢،٢٢٥
الصدر الأعظم	٢٢٣
ضبطية	١٠٦، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٠
عرقيه /عراقيه	١٤٤
قره حصار	١٥٩
كدخدا	٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣، ٢٢٤ ، ٢٠٤
كشيش	١٦٦
كلك	٧٣ ، ١٠٩
الكمرك /الجمرك	٢٢١، ٢٦٦، ٢٦٧
كمركي	٢٢١
كيهيه /كيخيا	١١٣
متولي	١٤٩
مدير الأوراق /بكلكجي /قلم الديوان	٢٢٨
مشير	١٣٠، ١٧٨، ٢٢٠، ٢٣٤
مفتي	٥٧، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٩٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٣، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٧٢، ٢٨٠

المصطلح	الصفحة
موقت خانه	١٩٥، ٢٠٩
ناظر أوقاف	١٦٧
نقيب الأشراف	١٧٢
والي	٦١، ١٤٠، ١٧٩، ، ١٩٧، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٩، ٢٦٥، ٢٨٣
الوكلاء	٢٢٩
يلدز	١٨٠

■■■

ثبت مصادر ومراجع التحقيق

■ إبراهيم الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري ت: ٤٥٣ هـ): جمع الجواهر في الملح والنوادر، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

■ ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، ت: ٢٠٨- ٢٨١هـ): قرى الضيف، حققه وخرج أحاديثه :عبد الله بن حمد المنصور، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ.

■ ابن أبي حجلة (أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، ت ٧٧٦هـ): ديوان الصبابة، طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩هـ.

■ ابن الأثير الجزري (أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت: ٦٧٣هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مصر.

■ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

■ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن الجوزي ت: ٥٩٧هـ): صفة الصفوة أبو الفرج، دار صادر، بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

■ ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدي، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

■ ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب ت: ٧٧٦هـ): ريحانة الكتاب وتحفة المنتاب في تراجم الأدباء والفصحاء والكتاب، ١٤٠٣هـ، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٣٣هـ.

■ ابن السكيت (ابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، ت ٢٤٤هـ): إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

■ ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد ت ٥٢١ هـ): الحلل في شرح أبيات الجمل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

■ ابن الشجري (ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة ت: ٥٤٢هـ): الشجرية.. ما لم ينشر من الأمالي تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

■ ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار الإمام ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

■ ابن القفطي: أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق حمد أبي الفضل إبراهيم، طبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٦٩هـ/١٩١٣م.

■ ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

■ ابن النديم: الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

■ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م.

■ ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر بن علي ت: ٨٣٧هـ): ثمرات الأوراق في المحاضرات، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٣٠٠هـ.

■ ابن حجة الحموي (تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري): خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

■ ابن حجر العسقلاني (الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٥٢٨ هـ): تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

■ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٥هـ.

■ ابن حمدون(محمد بن الحسن بن محمد، ت ٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

■ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت: ٦٨١هـ /١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين

عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٤٨م.

■ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت :٦٨١هـ /١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٤٨م.

■ ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت : ٣٢١هـ): الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

■ ابن رجب الحنبلي (زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي ت: ٧٩٥هـ): ذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

■ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

■ ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٩م.

■ ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

■ ابن سيده (أبو الحسين علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيدة، ت: ٤٥٨هـ): المخصص، طبعة لجنة إحياء التراث العربي، د. ت، وطبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

■ ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن عبد الملك ت: ٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ.

■ ابن عبد ربه: العقد الفريد، باعتناء أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

■ ابن عجيبة (صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر العمري): إيقاظ الهمم في شرح الحكم، المطبعة الجمالية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩١٣.

■ ابن عربشاه (أحمد بن محمد الحنفي ت: ٨٥٤ هـ): فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، طبع مع ترجمة لاتينية باعتناء الأستاذ فريتاغ، بون ١٨٣٢ و ١٨٥٢، بولاق ١٢٧٦هـ.

■ ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي ت: ٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمر غرامة الغمروي، في دار الفكر، بيروت ١٤٢١هـ.

■ ابن قاضي شهبة (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين، ت: ٨٥١هـ/ ١٤٢٧م): طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

■ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة النحوي الدينوري ت: ٢٧٦هـ): عيون الأخبار، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

■ ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦هـ): أدب الكاتب، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

■ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦هـ): الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

■ ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

■ ابن معصوم (علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن مَعْصُوم ت: ١١١٩ هـ): سلافة العصر في محاسن أعيان العصر، شركة دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

■ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر، ت: ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

■ ابن ميمون (علي بن ميمون بن الحسين المالكي الفاسي ت: ٩١٧ هـ): منتهى الطلب من أشعار العرب، إدارة ترجمان السنّة، لاهور، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.

■ ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مطبعة المدني، د.ت.

■ ابن وكيع التنيسي (ت: ٣٩٣هـ): المنصف للسارق والمسروق منه (المنصف في سرقات المتنبي)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

■ أبو الثناء اللألوسي: نشوة المُدام في العود إلى مدينة السلام، طبعت بمطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣هـ.

■ أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله بن سيلمان التنوخي ت: ٤٤٩ هـ): معجز أحمد، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

■ أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال مجمع، دار المعرفة، ط. ١، د.ت.، بيروت.

■ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ): أخبار أبي تمام، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

■ أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت: ٢٢٤هـ): الأمثال السائرة، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٦م.

■ أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون ابن عيسى بن محمد ابن سليمان القالى ت: ٣٥٦ هـ): الأمالي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

■ أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت: نحو ٣٩٥هـ): ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٦.

■ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت: ٣٩٥ هـ): جمهرة الأمثال، دار الفكر، دمشق، ط. ٢، ١٩٨٨م.

■ أبي البقاء العكبري: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بـ « البيان في شرح الديوان » طبعه وصححه: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩١هـ.

■ إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ): التَّصَوُّف.. المنشَأ وَالمَصَادر، دارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

■ أحمد بن حنبل (الإمام): مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ، وطبعة مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.

■ أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ١، ١٤٠٥- ١٩٨٥م.

■ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

■ أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، اربد، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

■ أحمد عزت العمري (ت: ١٣١٠ هـ): العقود الجوهرية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرآباد، الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ.

■ الأخفش (علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر ت: ٣١٥هـ): الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

■ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي المعروف بالشريف الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

■ أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب - البستاني، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

■ إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م

■ إسماعيل بن محمد أمين بن ميرسليم: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

■ إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٣م

■ الأشموني (علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الشافعي، ت: ٩٠٠هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ؛ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

■ الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٤، ١٤٠٥هـ.

■ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين ابن محمد (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأغاني، شرح علي مهنا، وسمير جابر، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م.

■ أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

■ الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة، ١٤١٥ هـ.

■ الألوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، تحقيق: أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، نسخة قيد النشر.

■ الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، الآمدي البصري، ت: ٣٧٠هـ): الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

■ أمين خوري: رفيق العثماني (قاموس كلمات تركية وفارسية مترجمة إلى العربية)، مطبعة الآداب، بيروت، ١٨٩٤م.

■ أمين سامي باشا: تقويم النيل وأسماء من تولوا أمر مصر ومدة حكمهم عليها وملاحظات تاريخية عن أحوال الخلافة العامة وشؤون مصر الخاصة عن المدة من غضون سنة (١٨٤٨-١٨٦٣م)، دار الكتب المصرية، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

■ أنور الجندي: تراجم العلماء المعاصرين في العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

■ البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط. ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

■ البديعى (يوسف الحلبي ثم الدمشقي المعروف ت: ١٠٧٣هـ): الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

■ البصري (علي بن أبي الفرج بن الحسن صدر الدين أبو الحسن البصري ت: ٦٥٦هـ): الحماسة البصرية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ،شركة علاء الدين للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ

■ البغدادي (عبد القادر بن عمر البغدادي ت: ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

■ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن الخطيب (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠): تاريخ بغداد، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ. وطبعة بيروت، دار الكتب العلمية، ٩٨٧م.

■ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، طبعة بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ القاهرة، ١٩٤٧م.

■ البلاذري: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م،

■ البهاء العاملي (الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي): الكشكول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

■ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي): الجامع لشعب الإيمان، تحقيق عبدالعلي حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

■ البيهقي (ظهير الدين المعروف بابن فندق، ت: ٥٦٥هـ/١١٧٠م): تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، طبعة دمشق، ١٩٤٦م.

■ البيهقي (أبو الحسن على بن زيد بن محمد ابن الحسين بن سليمان البيهقى ت: ٥٦٥ هـ): آداب الشعر، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

■ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي): السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٤هـ.

■ التنوخي (القاضي أبي علي المحسن، ت: ٣٨٤هـ / ٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشامجي، طبعة القاهرة، مطبعة دار الهلال، ١٩٠٤م، وطبعة بيروت، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

■ التهانوي، محمد علي الفاورقي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، ترجمة النصوص الفارسية عبد النعيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

■ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، بولاق ١٣١٤ هـ، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): خاص الخاص، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): يتيمة الدهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة، وطبعة سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م، وطبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): لباب الآداب، تحقيق جليل العطية، طبعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري): لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩هـ): التمثيل والمحاضرة، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

■ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ت: ٤٢٩هـ): الإعجاز والإيجاز عني بطبعه مع شرحه: اسكندر آصاف، المطبعة العمومية بالقاهرة، المطبعة العمومية، ١٨٩٧م.

■ ثعلب (أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بثعلب ت: ٢٩١هـ): مجالس ثعلب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

■ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م): الحيوان، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ١٩٧٦م. وشرح أحمد العوامري، وعلي الجارم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

■ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥ هـ): المحاسن والأضداد، وله مقدمة باللغة الفرنسية باعتناء فان فلوتن، طبع بالمطبعة العمومية، ١٨٩٨م.

■ (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): البيان والتبيين، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٧، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.

■ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، طبعة دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

■ الجرّاوي: الحماسة المغربية، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م

■ الجرجاني (علي بن محمد بن علي السيد الزيني أبو الحسن الحسيني، ت: ٨١٦هـ/ ١٤١٣م): التعريفات، طبعة القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ/ ١٩٤٢م.

■ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق شوقي ضيف، طبعة دار الهلال ١٣٣٣هـ/ ١٩١٢م.

■ الجمحي (محمد بن سلام بن عبيد الله، أبو عبد الله، ت: ٢٣٢هـ): طبقات فحول الشعراء؛ تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

■ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

■ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛، تحقيق: أحمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ.

■ حاج حمد تاج السر حاج حمد: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥) صفر ١٤٣١هـ فبراير ٢٠١٠م.

■ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

■ الحافظ أبي عمرو (يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ت: ٤٦٣هـ): بهجة المجالس وأنس المجالس، مطبعة جريدة مصر، ١٩٠٧م.

■ حسان حلاق و عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م.

■ حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م.

■ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

■ الحُصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٦٣م.

■ الحنفي (محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله الحنفي): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

■ خالد كبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين: ٥-٦ الهجريين - مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها، دار الإمام مالك، الطبعة الأولي، البليّدة، الجزائر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

■ الخالديان: (أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي ت نحو ٣٨٠هـ، وأبو عثمان سعيد ابن هاشم الخالدي ت: ٣٧١هـ): حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) تحقيق: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية، ١٩٩٥م.

■ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة.. المعاني والبيان والبديع، طبعة بولاق ١٣١٧هـ، المطبعة الكاملية، مصر، ١٩٨٥م.

■ الخليل بن أحمد (أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى): العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر.

■ خليل مردم بك: أعيان القرن الثالث فى الفكر والسياسة والاجتماع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ

■ خورشيد باشا: سياحة نامهء حدود (رحلة خورشيد باشا ١٨٤٣م - ١٨٤٧م)، طبعة استانبول عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

■ خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

■ دائرة المعارف الإسلامية، نقلها للعربية محمد ثابت القناوي، أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشي، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

■ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية، مصر، ١٢٧٥هـ/١٩٢٠م.

■ ديوان ابن الفارض (عمر بن أبي الحسن بن المرشد)، دار صادر، بيروت، د.ت.

■ ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عمر الفاروق الطباع، دار القلم - بيروت.

■ ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، ١٩٢٤م.

■ ديوان أبو فراس الحمداني، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.

■ ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، ١٩٧٧م.

- ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط. ٣، ٢٠٠٥م.
- ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ديوان عبد الغني النابلسي (ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الإلهية والتجليات الربانية) صححه: محمد بن إسماعيل شهاب الدين، دار الطباعة، بولاق، مصر ١٢٧٠هـ.
- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه وأخرجه: إبراهيم زيدان، مكتبة الهلال بالفجالة، القاهرة، ١٩٠٢م.
- الزَّبيدي (أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري): أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.

■ الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م

■ الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

■ زينب بنت علي العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى، الأميرية، مصر، ١٣١٢هـ.

■ س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

■ السبكي (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

■ السخاوي (الحافظ شمس الدِّين أبو الخير محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي القاهري الشّافعي): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ١٣٥٥هـ.

■ سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعة ورتبه يوسف إليان سركيس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

■ سليمان فائق: تاريخ العراق، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٢.

■ سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- سونيا البنا: فرقة الإنكشارية، إيتراك للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- سيبويه (ت: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الجيل، بيروت، ط. ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت: ٩١١هـ): الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت: ٩١١هـ): جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف على جمعة (مفتي الديار المصرية (طبع على نفقة حسن عباس زكى، ٢٠١٠م.
- الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ت: ٧٩٠هـ): الإفادات والإنشادات، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- شرف الدين البوصيري: قصيدة الهمزية في مدح خير البرية، دار الإرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٩م.
- الشعراني (عبد الوهاب بن أحمد بن علي، ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م): الطبقات الكبرى، طبعة القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح، بدون تاريخ.

■ الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم المتوفى ٥٤٨هـ): الملل والنحل، تحقيق: أبي محمد محمد بن فريد، طبعة المكتبة التوفيقيـة، القاهرة، بدون تاريخ،

■ الشوكاني (محمد بن علي): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

■ الصاغاني: العباب الزاخر، دار الفكر، ط. ٢، ١٩٨٨م.

■ صائب النقيب: جغرافية ممالك الدولة العثمانية المفصلة، القسطنطينية، مطبعة أبو الضياء، سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م).

■ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي): الوافي بالوفيات، النشرات الإسلامية، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية بعنايـة: محمد عدنان بخيت، ومصطفى الحياري، بيروت، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م.

■ صلاح الدين الصفدي: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ.

■ صلاح الدين الصفدي: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ.

■ طاش كبري زاده: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م

■ الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني): المعجم الكبير، تحقيق: أحمد عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

■ الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان

■ الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

■ الظاهري (محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري الأصبهاني ت ٢٩٧هـ): الزهرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

■ عالي بك: رحلة عالي بك، ترجمة: محمد حرب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م.

■ عالي بك: سياحت جورنالي، استانبول عام ١٣١٤ رومية / ١٨٩٨ م.

■ العامي الفصيح: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

■ عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي،، شركة التجارة والطباعة، ببغداد، ١٣٧٧هـ.

■ عباس العزاوي: عشائر العراق، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢م.

■ العباسي (عبد الرحيم بن أحمد العباسي، ت: ٩٦٣هـ/١٥٥٥م): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م

■ عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت

■ عبد الرحمن البرقوقي: ديوان المتنبي مع شرحه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

■ عبد العزيز سليمان نور: تاريخ العرب الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

■ عبد العزيز نوار: دواد باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

■ عبد القادر بدران (الشيخ عبد القادر بن ابن مصطفى بن محمد ت ١٣٤٦هـ): تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، بيروت، مصورة من طبعة دار الطباعة العامرة، ١٣١٦هـ.

■ عبد الله بن عبد الحكم (عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري ت: ٢١٤هـ) : سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحاب، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

■ العبيدي، محمد بن عبد الرحمن: التذكرة السعدية في الأسفار العربية، تحقيق عبد الله الجبوري، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢م.

■ العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ): لسان الميزان منشورات، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط. ٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

■ العسكري (أبو احمد حسن ابن عبد الله): المصون، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

■ العصامي (عبد الملك المالكي): سمط النجوم العوالي، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

■ العظيم آبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤١٥هـ.

■ علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران، ١٤١٣هـ.

■ علي حسون: قفقاسيا بين العثمانيين والروس، دار الرؤية، دمشق، ٢٠٠٧م.

■ علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني والثالث عشر، دار الجمهورية، بغداد، العراق ١٩٦٧م.

■ علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

■ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: الدولة العُثمانية .. عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م.

■ عماد الدين الأصبهاني (محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد ابن أله أبو عبد الله عماد الدين الأصبهاني ت: ٥٩٧ هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

■ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.

■ العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الأولى، ١٤٢٣هـ.

■ العيدروس (محيي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروس): تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

■ فاضل بيات: الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.

■ فتح الدين محمد بن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير،، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

■ الفضل بن عاشور: التفسير ورجاله،، مطبعة الاستقامة، تونس ١٣٦٦هـ.

■ فهرس المؤلفين بالظاهرية.

■ فهرس دار الكتب المصرية.

■ فهرست المخطوطات.

■ في أصول التاريخ العثماني: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٠م.

■ الفيروزأبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ت: ٨١٧هـ): القاموس المحيط؛ تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. وطبعة دار الفكر، بيروت.

■ القاضي التنوخي (أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ت: ٣٨٤هـ): المستجاد من فعلات الأجواد، طبع بمطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر.

■ القرشي: (عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي ت: ١٢٩٩هـ): الحماسة تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م.

■ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله، ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٦٣م.

■ القنوجي (صديق بن حسن القنوجي): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

■ كبريت (محمد كبريت بن عبد الله الحسيني، المدني، الموسوي ت: ١٠٧٠هـ): رحلة كبريت (رحلة الشتاء والصيف) تحقيق: أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، طبعة دار أمواج، الوراق، عمان ٢٠١٦م.

■ الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

■ كمال الدين محمد بن محمد الغزى الدمشقي: العقود الجوهرية في حل ألفاظ الآجرومية،، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الكائنة بالهند ١٣٢٩هـ، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

■ لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م.

■ اللّكنوي (أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللّكنوي الهندي): الفوائد البهية في تراجم الحنفية،، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبي فراس النعساني، نشر دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

■ لويس شيخو (رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ت ١٣٤٦هـ): تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

■ لينارد كوتريل (إشراف): الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة: محمد عبد القادر، زكي إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.

■ م. شكري: دليل الآستانة، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، ١٩٠٩م.

■ ماجدة مخلوف: الحريم في القصر العثماني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

■ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

■ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت: ٢٨٦هـ): التعازي والمراثي، بعناية: خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

■ مجلة معهد المخطوطات.

■ المحبى (محمد أمين بن فضل الله ت: ١١١١هـ): نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، مطبعة المدني المؤسّسة السّعودية بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

■ محسن الأمين: أعيان الشيعة، دمشق، ١٩٣٦م.

■ محسن عبد الحميد، الآلوسي مفسرًا، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

■ محمد الأمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة القاهرة، ١٢٨٤هـ/١٨٦٩م

■ محمد الخانجي البوسنوي: الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة، تحقيق: محمد الحلو، هجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م.

■ محمد أمين بن عثمان: عقد الدرر والجواهر في نقد الأشباه والنظائر،، مطبعة الآداب، النجف، العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

■ عقد الدرر في شرح مختصر نخبة الفكر، للألوسي، تحقيق إسلام بن محمود دربالة،، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

■ محمد بهجة الأثري: الألسيون، موسوعة الحضارة الإسلامية، ١٩٨٩م.

■ محمد بهجة الأثري: أعلام العراق،١٩٥٧.

■ محمد بهجة البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٣هـ.

■ محمد بهجت الأثري: أعلام العراق، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ.

■ محمد حرب (تقديم وترجمة): مذكرات السلطان عبد الحميد، دار القلم، دمشق، ط. ٥، ٢٠١٢م.

■ محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، وبحوث العالم التركي، (القاهرة، ١٩٩٤م).

■ محمد حرب، وتسنيم محمد حرب: رحلات عثمانية في الجزيرة العربية والهند وآسيا الوسطى،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣م.

■ محمد حسين ذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٦.

■ محمد درى المصرى: النخبة الدرية في مآثر العائلة المحمدية العلوية، مطبعة بولاق، ١٣٠٧هـ.

■ محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.

■ محمد رفعت: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ١٩٣٤م.

■ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان فى علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

■ محمد عبد اللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

■ محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان عباس، دار النفائس، بيروت، ط ٨، ١٩٩٨م.

■ محمد فؤاد عبد الباقي (محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد ت: ١٣٨٨هـ): اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

■ محمد كرد علي: المعاصرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٠.

■ محمد ناصر الدِّين الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

■ محمد ناصر الدين الألباني،: سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

■ محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.

■ محمود العبطة: أبو الثناء الألوسي الكبير.. بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، مجلة الرسالة، الأعداد ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، بتاريخ ٨، ١٥، ٢٢، أكتوبر ١٩٥١م.

■ محمود شكري الألوسي (أبو المعالي): المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر،، تحقيق عبدالله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

■ محمود شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ.

■ محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م

■ محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

■ المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المطبعة الحنفية بدمشق، ١٣٠١هـ.

■ المرزباني (أبـو عبـد الله: محمد بن عمران بن مـوسى المرزباني ت: ٤٦٩ هـ): نور القبس (نور المقتبس)، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

■ المرزوقي: الأمالي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

■ المزي (الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، ت: ٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشـار عودة، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

■ مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

■ المعـافى بن زكريا (ابن يحيى الجريري النهرواني ت: ٣٩٠هـ): الجليس الصالح والأنيس الناصح، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكّة المكّرمة، المملكة العربية السّعودية.

■ المعجم الوسـيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشـروق الدوليـة، القاهرة، ط. ٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

■ المقـدسي (شـمس الديـن أبـو عبـد الله محمـد الشـافعي البشـاري، ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسـن التقاسـيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة،١٤١٠هـ / ١٩٨٧م.

■ المقـري (أحمـد بن محمد بن علـي المقري الفيـومي): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؛ للرافعي، ط.٢، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

■ المقري التلمساني (المقّري أحمد بن محمد التّلمساني): نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

■ الموسوعة الإسلامية المعاصرة

■ الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

■ موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

■ موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

■ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.

■ موطأ الإمام مالك -رواية محمد بن الحسن الشيباني- مع التعليق الممجد على موطأ محمد، شرح العلامة عبد الحي الكنوي، تعليق وتحقيق د. تقي الدين النووي، طبعة على نفقة الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان - نائب رئيس مجلس الوزراء، الإمارات العربية المتحدة، ط. ٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

■ المولى عطاء الله بن يحيى المعروف بنوعي زاده: حدائق الحقائق في تكملة الشقائق - «ذيل الشقائق النعمانية»، استانبول، مجمع التاريخ التركي، ١٩٩٢م.

■ الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٧٧م.

■ ميكال أبو الفضل الميكالى (عبد الرحمن بن احمد بن على بن إسماعيل ابن عبد الله بن محمد بن ميكال أبو الفضل الميكالى ت: ٤٣٦ هـ): المنتحل،

ويليه (المنتخل) في تراجم شعراء المنتحل لشارح المنتحل ومصحح روايته: الشيخ أحمد أبو علي أمين مكتبة الإسكندرية البلدية، المطبعة التجارية، الإسكندرية ١٣٢١ - ١٩٠٣.

■ النابغة الذبياني (زيادة بن معاوية بن ضباب الغطفاني المضري، ت: ٦٠٢م): ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د. ت.

■ نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نشره: جبرائيل جبور، بيروت، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م.

■ نخبة من تلاميذ الآلوسي: أريج الند والعود في ترجمة أبي عبد الله محمود، مطبوع فى مقدمة تفسير روح المعانى، الدار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

■ نخبة من علماء التاريخ بالعراق: العراق في التاريخ، د. ت.

■ النسائي (أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني): السّنن، بهامشه شرح الحافظ السّيوطي، وحاشية السِّندي، حقَّقه ورقَّمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

■ نعمان الألوسي: جلاء العين في محاكمة الأحمدين، دار المدني للطباعة، القاهرة، ١٩٨١م،

■ النووي (أبو زكريا يحي بن شرف النووي): الأذكار، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـ.

■ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وأحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

■ الهيثمي (الحافظ نور الدِّين علي بن أبي بكر الهيثمي): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

■ الوشاء (أبو الطيب محمد بن إسحاق الوشاء الأعرابي ت: ٢٩١هـ): الموشى، طبع في لايدن ١٨٨٧م، باعتناء العلامة برونو.

■ الوطواط (محمد بن إبراهيم الأنصاري الكتبي المعروف بالوطواط ت: ٧١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، المطبعة الأدبية المصرية ١٣١٨هـ.

■ وليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م.

■ الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ (إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ ت: ١٣٢٤هـ): نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٥م.

■ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وثمرة اليقظان، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

■ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

■ يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

■ يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥.

■ اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد الزفراف وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ط.١، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

■■■

فهرس المحتويات

إهداء ٥
مشروع الرحلات ٧
المقدمة ١٠
داود باشا، والولاة المماليك العراق ١٤
المؤلف: السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي ١٩
أسرته ١٩
نسبه ٢٠
والده ٢١
والدته ٢١
إخوته ٢٢
أبناؤه ٢٢
أساتذته وشيوخه ٢٣
مولده ونشأته ٢٨
تحصيله العلمي ٢٩
عمله في التدريس ٢٩
مؤلفاته وآثاره (المطبوعة والمخطوطة) ٣٠
محنته ٣٨
وفاة الألوسي ٤١
من مصادر ترجمة الألوسي ٤١
الرحلة: نَشْوَةُ الشَّمُولِ فِي السَّفَرِ إِلَى إِسْلَامْبُول ٤٤

الرحلة إلى استانبول ٤٤
رفقاء الرحلة إلى استانبول ٤٤
المراحل التي مرت بها الرحلة إلى استانبول ٤٥
عنوان الكتاب: نَشْوَةُ الشَمُولِ فِي السَّفَرِ إلى إِسْلَامْبُول ٤٥
نشوة ٤٥
الشمول ٤٦
إسلامبول ٤٧
منهج التحقيق ٤٩
سافروا تغنموا ٥٧
الموصل ٧٠
كركوك، إربل ٧٦
الجزيرة ٧٨
ديار بكر ٨٣
ماردين ٨٥
آمد السوداء ٨٧
تقريض لنا ٩١
حضرة أفندينا محمد حمدي باشا ١٠٣
مصطفى بك ١٠٥
علي برداغ ١٠٦
طوزله ١٠٧
يخكيك ١٠٨

جبقجول ١٠٩
برخين ١١٠
أغنوت ١١١
خمران ١١٢
قرة شيخ ١١٣
داشخور ١١٥
أرزن الروم ١١٦
حضرة أفندينا حمدي باشا ١١٨
سيواس ١٤٠
إيلجه ١٤١
جِنِس ١٤٢
طوبال جاوش ١٤٣
بكريج ١٤٤
قره قلاق ١٤٥
لوري / لوريه ١٤٧
بلور ١٤٨
جفليك ١٥١
شيران ١٥٣
تكية زخار ١٥٤
آليشر ١٥٧
قرة حصار ١٥٩

أندروس ١٦٥
كجه يردو ١٦٦
زاره ١٦٨
قوج حصار ١٧٠
سيواس ١٧١
قارخين ١٧٨
توقاد ١٨١
ترخال ١٨٥
أزينه بازاري ١٨٧
أماسيه ١٩٠
خان سليمان أفندي ١٩٩
قواق ٢٠٣
صمصوم ٢٠٦
سيناب ٢١٥
أَنَه بولي ٢١٦
القسطنطينية ٢١٨
جنكل كوي ٢٢١
إبراهيم أفندي الشرواني ٢٤١
ثم يا بني ٢٤٤
الملاحق: ترجمة الألوسي بقلمه من كتابه غرائب الاغتراب ٢٤٩
الكشافات / الفهارس ٢٨٥

أولا: فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٢٨٧
ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة ٢٨٩
ثالثا: فهرس الأشعار ٢٩٠
رابعا: فهرس الأمثال والأقوال المأثورة ٢٩٧
خامسًا: فهرس الأعلام ٢٩٨
سادسا : فهرس المواضع والبلدان ٣١٠
سابعًا: فهرس المصطلحات العثمانية ٣١٥
ثبت مصادر ومراجع التحقيق ٣١٨
فهرس المحتويات ٣٥٣

■■■

المركز الثقافي الآسيوي

مؤسسة بحثية مستقلة، تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، تخضع لقانون الجمعيات الأهلية المصري، مشهرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم ١٣٢٨ لسنة ٢٠٠٢م.

يتكون المركز الثقافي الآسيوي من الوحدات التالية:

وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية.

وحدة الدراسات الإيرانية.

وحدة الدراسات التركية والعثمانية.

وحدة الدراسات الأرمنية والقوقازية.

وحدة الدراسات اليهودية والإسرائيلية.

وحدة دراسات الشرق الأقصى.

وحدة دراسات الفنون والتراث.

وحدة دراسات تركستان الشرقية - شينجيانغ

يهدف المركز الثقافي الآسيوي إلى عمل البحوث والدراسات المتعلقة بقارة آسيا في النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكافة النواحي الحضارية.

يعمل المركز الثقافي الآسيوي على طباعة ونشر الدراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدراسات التي يتقدم بها الباحثون المتخصصون في مجال اهتمامات وحدات المركز.

كما يقوم المركز الثقافي الآسيوي بترجمة الإصدارات العالمية الخاصة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصة.

يسعى المركز الثقافي الآسيوي إلى إصدار عدة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصصة والتي تخدم الدراسات الآسيوية خاصة، والثقافة الإنسانية بشكل عام.

يمد المركز الثقافي الآسيوي يد التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلمية الأخرى، للقيام بالأنشطة العلمية والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها.

harpgeneration@yahoo.com

(٠٠٢) ٠١٢٢٩٣٦٥٣٤٨

■■■